محمد علي بك ابراهيم باشا

مير ميرانى كوردستان

"امير امراء كردستان"

ابراهيم باشا الملي
١٨٤٥-١٩٠٨

- اسم الكتاب: أمير أمراء كردستان – ابراهيم باشا الملي
- اسم المؤلف: محمد علي بك ابراهيم باشا
- دراسة وتحقيق: د. عبدالفتاح علي البوتاني - علي صالح الميراني
- الاشراف الفني والتصميم: بدرخان بكر
- الغلاف: ظاهر عمر
- عدد النسخ: ٥٠٠ نسخة
- رقم الايداع في المديرية العامة للكتبات في اربيل ()
- مطبعة حاجي هاشم – اربيل
- من منشورات الأكاديمية الكردية.. ()

دراسة وتحقيق

د. عبدالفتاح علي البوتاني/ استاذ التاريخ الحديث/ جامعة دهوك
علي صالح ميراني/ مدرس التاريخ الحديث المساعد/ جامعة دهوك

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم	٧
المقدمة	١١
الفصل الأول	٢٩
١) الملية (حزار مل)	٣١
٢) الأقسام الأساسية للملية	٣٤
٣) جدول عشائر الملية	٣٥
٤) حادثة ميلان	٣٧
الفصل الثاني: الباشوات قبل إبراهيم باشا	٤٣
١) لقب الباشوات	٤٥
٢) أهم شخصيات الباشوات قبل إبراهيم باشا	٤٦
١ـ كلش عبدي	٤٦
٢ـ بشار باشا	٤٧
٣ـ تيمور باشا	٤٨
٤ـ أيوب بك	٥٣
٥ـ تيماوى بك(تمر الصغير)	٥٥
الفصل الثالث : (الأمير إبراهيم باشا)	٥٧
١) حياته	٥٩
٢) صفاته وثقافته	٦٠
٣) في صعوده إلى الشهرة	٦٠
٤) علاقته مع السلطة العثمانية	٦٥
أ ـ العلاقة مع السلاطين	٦٥
ب ـ العلاقة مع الاتحاديين	٦٨
٥) علاقته مع العشائر الأخرى (غير الملية)	٧١
٦) صلاته بالأجانب	٧٥
٧) علاقته مع المسيحيين	٧٧
٨) عاصمة إبراهيم باشا	٨٠

٩) ثروة إبراهيم باشا ٨١
١٠) سجن الباشا ٨٢
١١) المستشار الخاص للباشا ٨٢
الفصل الرابع : (الباشوات بعد إبراهيم باشا) ٨٣
١) الباشوات بعد إبراهيم باشا ٨٥
٢)العلاقة مع الأتراك ٨٦
٣)العلاقة مع العشائر العربية ٨٦
٤)العلاقة مع الأجانب ٩١
٥)عودة الباشوات إلى ويران شهر مرة أخرى ونزوحهم عنها ٩٤
٦)الباشوات في رأس العين ٩٧
٧)زيارة قائد قوات الشرق الأوسط للباشوات
في عام(١٩٤٢م) وزيارة الباشوات للقدس ١٠٠
٨)زيارة مدام هلو(زوجة المفوض السامي الفرنسي العام)
للباشوات في رأس العين ١٠٣
٩)الكرم وعمل الخيرات عند الباشوات ١٠٤
١٠)الزواج عند الباشوات ١٠٥
١١)الموسيقى عند الباشوات ١٠٦
١٢)نبذة عن حياة محمد علي بك بن خليل بك بن إبراهيم باشا ١٠٧
١٣) الخاتمة ١٠٩
١٤) الملاحق ١١١

تقديم :

اثناء زيارتي لسوريا في نيسان١٩٩٩، تعرفت في مدينة حلب على شخصية في غاية اللطف والكرم وهو السيد ابراهيم محمد ابراهيم باشا الملي حفيد القائد القبلي المشهور ابراهيم باشا الملي، وفي جو هادئ اخذ يحدثني وبلهجة عربية بدوية رقيقة عن تاريخ اسرته ودورها السياسي في سنوات حكم السلطان العثماني عبدالحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩).

كان ابو طلال وهكذا كانوا ينادونه يتحدث باعجاب عن جده ابراهيم باشا الملي، وكيف كان يسعى من اجل حقوق الكورد القومية، فاصطدم بجمعية الاتحاد والترقي (التركية) التي اخذت بمحاربته ومطاردته الى ان توفي في اواخر سنة١٩٠٨ اثر تلك المطاردة.

بدأت الحديث معه وتعمدت ان يكون بالكوردية فقال : للأسف لا اجيد الكوردية ولكني افهمها، فبادرته فوراً : كيف لايعرف حفيد ابراهيم باشا الملي لغة آبائه واجداده؟ هكذا تحافظون على ارث ابائكم واجدادكم الذين تقولون عنهم بانهم كانوا يسعون من اجل حقوق الكورد القومية؟

كان ابو طلال واسع الافق رحب الصدر لايستفز بسهولة، تصرفاته تدل على اصالة الانحدار، وصفاته هذه شجعتني على التمادي في المزاح معه الى حد استفزازه وانا ضيفه، قلت له : ان معلوماتكم غير دقيقة، ومن حقكم التحدث عن امجاد جدكم، الا ان التاريخ يقول : ان جدكم كان من الموالين الجيدين للسلطان عبدالحميد الذي اضطهد الكورد في عهده حتى انه اخذ يحاول صهرهم في بوتقة الترك، هذا فضلاً عن ان جدكم كان يقود معظم الوية ماكان يسمى بالفرسان الحميدية السيئة الصيت والتي شكلت اصلاً لالحاق الضرر بسمعة الكورد القومية لاسيما بمشاركتهم في مذابح الارمن. وعلى العموم لم يكن لجدكم تطلعات وطموحات قومية كوردية، وهو كأي رئيس قبيلة كوردي متنفذ كان يعمل من اجل شهرته وتوسيع نفوذه، وان في التاريخ الكوردي العديد من امثاله، وهؤلاء لايقارنون بالبدرخانيين ولا بآل جميل باشا

الدياربكري الذين سار اولادهم واحفادهم على نهج اجدادهم في النضال من اجل الكورد وكوردستان، وابسط دليل على ما اقول هو انكم لاتعرفون لغة اجدادكم.

اخذ ابو طلال المتواضع جداً وبدلاً من ان ينفعل يقول: والله اذا كان كلامك صحيحاً لنرى ماذا ستفعلون انتم الافندية والمثقفين، هذا مااستطاع اجدادنا الاقطاعيون والباشوات فعله.

لقد احببت ابو طلال، وتوطدت علاقتي بشخصه الكريم، فأسال عنه عند زيارتي لسوريا، الا انه وبسبب كثرة حله وترحاله الى دول الخليج واوربا نادراً ماكنت احظى بضيافته. وعندما زرت سوريا في تشرين الاول٢٠٠٢، اتصلت به فوجدته في حلب فزرته هناك، وكالعادة بدأ الحديث عن الكورد وحركتهم القومية وعن تطورات الاوضاع العامة في اقليم كوردستان وعن مستقبل الكورد السياسي، فاخذت امازحه قائلاً : لقد كان جدكم مسيطراً على اجزاء واسعة من كوردستان ويحظى بدعم ومساندة السلطان عبدالحميد، الا انه لم يقدم للكورد شيئاً، فكان يرد وبسرعة : لنرى ماذا ستفعلون انتم الافندية... البركة فيكم.

السيد ابراهيم باشا الملي (ابو طلال) يتابع باستمرار تطورات الحركة الكوردية في عموم كوردستان، وصلاته مستمرة مع الشخصيات السياسية الكوردية، فضلاً عن انه يعمل للتعريف بحقوق الكورد وبعدالة قضيتهم القومية لاسيما في المملكة العربية السعودية ودول الخليج حيث علاقاته الواسعة هناك.

ان ابو طلال المحب لقوميته الكوردية، طلب من اقربائه في مدينة الحسكة ان يسلموني مخطوطاً عن جدهم ابراهيم باشا، وقال: بامكانكم طبعه ونشره اذا كان يخدم تاريخ الكورد، فوعدته بان اسعى لذلك، مع اني لاشجع التمجيد بتاريخ من لم يقدم شيئاً ملموساً لقومه الكورد، واذا نشرته فسوف لا انشره كما هو، فوافق.

مؤلف المخطوط هو المرحوم محمد علي بك (ينظر ترجمته في الكتاب)، للأسف رحل قبل ان يرى مخطوطه كتاباً، كتب عن جده وتاريخ قبيلته بشكل مسهب، لذا جاءت مسألة انحيازه وعاطفته طبيعية جداً، ومع هذا ففي الكتاب معلومات في غاية الاهمية ولم ترد في المراجع التأريخية المعتمدة. وللفائدة ولوقوف القاري على وجهة نظر اكاديمية في الموضوع الحقنا بالكتاب دراسة اكاديمية عن ابراهيم باشا الملي، وللتعرف بشكل جيد على مؤلف المخطوط الحقنا ايضاً مقابلة طويلة معه نشرتها مجلة الحوار الكوردية السورية.

اما الكلمات التي تعذرت قراءتها فوضعنا بدلاً عنها هذه العلامة (...)، والتي نتحفظ عليها وضعناها بين قوسين. طبعت المخطوطة كما هي نصاً، ولان بعض معلوماتها كانت تحتاج الى تعليق او تصحيح او اضافة فقد اشرنا الى ذلك في الهوامش بالعلامة (*) الى جانب هوامش المؤلف التي كتبت في نهايتها كلمة (المؤلف).

ولابد ان نشير هنا انه كان للمخطوط ملحق للصور وملحق آخر للوثائق كما هو مثبت في المحتويات، الا اننا لم نجدها في المخطوط، وذهبت جهودنا سدى في الحصول على الملحقين.

ويسر الاكاديمية الكوردية، لجنة الوثائق والمخطوطات ان تضع هذا المخطوط، بعد دراسته والتعليق عليه، في يد المعنيين بالتاريخ الكوردي، مساهمة منها في اغناء المكتبة التأريخية الكردية.

أ.د. عبدالفتاح علي البوتاني
رئيس لجنة الوثائق والمخطوطات

المقدمة

اختلفت الدراسات التاريخية والاجتماعية التي تناولت الأكراد في نواحٍ كثيرة، ولكنها أجمعت على نقطة أساسية وهي أنّ الشعب الكردي هو واحد من أقدم الشعوب التي سكنت منطقة الشرق الأوسط منذ القدم، وأنه ساهم في بناء الحضارة الإنسانية بشكل فعال، كما كان له دور كبير في تاريخ هذه المنطقة، وأن هناك محطات تاريخية أساسية لعب الأكراد من خلالها في توجيه الأحداث التاريخية بهذه الوجهة أو تلك، مما كان له أثرٌ حاسمٌ في رسم مصير هذه المنطقة في مختلف العصور.

ولقد استطاع الأكراد المحافظة على خصائصهم القومية المتميزة على الرغم من تعرّض مناطقهم طوال عهود تاريخية طويلة للغزو والهيمنة.

وحيث إنّ الفرصة لم تتح لهم لإنشاء كيان سياسي يشمل جميع أجزاء كردستان إلا أنهم استطاعوا إقامة العديد من الحكومات والإمارات والدول التي كانت صاحبة السيادة على أمورها الداخلية.

ومن هذه الإمارات(*)، الإمارة التي أقامها إبراهيم باشا الملي في (ويران شهر) في بداية القرن العشرين، وكانت إمارة مترامية الأطراف، امتدّت حدودها لتشمل الأراضي الواقعة بين أرزنجان* شمالاً ودير الزور* جنوباً والموصل شرقاً ونهر الفرات غرباً، وهي

(*) قامت مجموعة من الامارات الكوردية في مختلف المناطق الكوردية وفي عهود مختلفة؛ إلا ان معظمها شهدت نهوضاً قومياً ملحوظاً مع بدايات القرن التاسع عشر، وكان الطابع القومي لعدد من تلك الامارات الكوردية بادياً، منها الطموحات القومية للامير بدرخان بك ابرز امراء امارة بوتان ومواجهته مع السلطات العثمانية بشكل دراماتيكي، والتي انتهت بالقضاء مؤقتاً على مسيرة نهوض الوعي القومي الكوردي في جزيرة بوتان مركز الامارة.

* هي مدينة كوردية جبلية تشتهر ببساتينها، تتخللها أرضٌ خصبة تغذيها مصادر مياه جارية، وتشتهر أرزنجان بعينها المسماة بالأصبع الأسود، ومن معالمها الأثرية (التن تبه) وهي مستوطنة هامة تعود للأورارئيين (الألف الأول قبل الميلاد).

من أكثر الإمارات الكردية قوة* "وقد أخضع لنفسه حتى بعض العشائر العربية وكان لا يدفع الضرائب ومسيطراً على الوضع وإن دراستها تلقي أضواءً على مجمل تاريخ هذه المنطقة، ومع ذلك لم تتناولها أقلام الباحثين بالدراسة والتمحيص بعد.

ولا بدّ من الاعتراف بأنه ليس من السهل تناول موضوع هذه الإمارة وذلك بسبب ندرة المصادر التاريخية، ولقد استعنا بعدة مصادر لأجل إعداد هذه الدراسة المتواضعة الصغيرة أهمّها:

١ـ ما سمعه ودوّنه محمد علي بك شخصياً من والده خليل بك وعمه محمود بك والمعاصرين لهما من أبناء الجيل السابق لهما.

٢ـ الصور والوثائق التي احتفظ بها محمد علي بك.

٣ـ الأحداث التي عاصرها محمد علي بك وراقبها عن كثب.

٤ـ د.احمد عثمان أبو بكر ـ أكراد الملي و إبراهيم باشا، بغداد ١٩٧٣.

٥ـ د. كمال احمد مظهر ـ كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، بيروت ١٩٨٨.

٦ـ مينورسكي ـ الأكراد أحفاد الميديين ـ ص(٤٧) .

٧ـ م.س لازاريف ـ المسألة الكردية ـ (١٩١٧ ـ ١٩٧٣)، بيروت ١٩٩١ .

٨ـ ن.ف مينورسكي ـ الأكراد ملاحظات وانطباعات (الأكراد أحفاد الميديين)، بيروت ١٩٨٧ .

٩ـ محمد أمين زكي ـ خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ـ (الجزء الأول) .

١٠ـ محمد أمين زكي ـ تاريخ الدول والإمارات الكردية .

١١ـ مارك سايكس ـ ميراث الخليفة الأخير .

---

* كانت منطقة مهملة إلى أن جاء إبراهيم باشا المصري الى بلاد الشام فاهتم بإخضاعها و إسكان البدو في قرى جديدة، وهدأت في العهد المصري ثم تمردت بعد عودة العثمانيين، وأخضعها السردار عمر باشا وشكل فيها سنجقاً ضم (٤) أقضية و(٤) نواحٍ و(١٤٩) قرية، حكمها رسلان باشا أول متصرف في دير الزور سنة ١٨٥٧، وكانت تابعة لولاية حلب، للمزيد من التفاصيل ينظر: د.عبد الكريم غرايبة، سوريا في القرن التاسع عشر ١٨٤٠ ـ ١٨٧٦، منشورات جامعة الدول العربية، (القاهرة، ١٩٦٢)، ص٨٦ .

* مصطلح الإمارة لا ينطبق على التجمع العشائري الذي تزعمه إبراهيم باشا في اواخر القرن التاسع عشر، بل يمكن اطلاق صفة شبه امارة عليها، كون افتقار ذلك التجمع العشائري الكبير للعديد من مقومات ومكونات الامارة المستقلة في شؤونها وسياساتها.

١٢ـ البارون اوبنهايم ـ تل حلف .

١٣ـ عدد من الأبحاث والدراسات المنشورة في بعض المجلات والجرائد .

وإننا ندرك مقدماً، بأن إعطاء هذا الموضوع حقه من الدراسة يحتاج إلى الكثير من الشروط التي هي خارجة عن استطاعتنا، ولكننا نقول وبكل تواضع بأننا قد وضعنا بين أيدي القرّاء جهداً وصوراً ووثائقاً تلقي أضواءً على موضوع يحتاج إلى المزيد من الجهد والدراسة، أن يتصدى لبحثه ممن تتوفر لديهم الشروط المطلوبة.

وفي الختام نتوجه بالشكر الجزيل لكل من ساهم في انجاز هذه الدراسة المتواضعة.

المؤلف

محمد علي بك إبراهيم باشا

الحسكة في ١٩٩٢/٦/٢٢

مقدمة كتاب أكراد الملي وإبراهيم باشا
الكرد

الشعب الكردي من الشعوب الآرية والفروع الإيرانية، فهم بذلك من دوحة الإيرانيين والأفغان والأرمن ولا صلة لهم بالعربية والقحطانية ولا بالآشوريين والسريانيين القدماء، فهم عريقون في القدم منذ آلاف السنين ولكن التاريخ لم يحط علماً بعد بمنشئهم والعصر الذي ظهروا فيه[*]، وبلادهم الآن متوزعة بين دولة العراق وتركيا وإيران وسوريا وتمتد من جنوبي أرضروم وأرزنجان وضفاف بحيرة وان وشرقي

[*] لايشذ الكورد عن هذه القاعدة، فحالهم كحال معظم الشعوب في المنطقة والعالم، من ناحية الجزم بأصولهم التاريخية، وتبقى النظريات العلمية المختلفة تنقض الواحدة الاخرى في سعيها لاثبات اصل ذلك الشعب وغيرهم، وفي حالة الكورد، فانهم من المعروف ينتسبون الى الشعب الكوردي القديم الذي سكن كوردستان منذ الالف الثالث قبل الميلاد وبتسميات متعددة وفي فترات متلاحقة، وامتزجت به الهجرات الهندواوربية التي اندفعت باتجاه كوردستان فيما بعد، فنتج عن ذلك الخليط الذي جمع بين القديم والحديث، الشعب الكوردي الحالي على اكثر النظريات صحة عند المهتمين بموضوع اصل الشعب الكوردي التاريخي.

دجلة إلى قرب خليج البصرة طولاً، ومن شرقي مرعش إلى غربي أرومية والموصل وأصفهان عرضاً، ناهيك عن الجاليات الكردية المبعثرة في بلاد الأناضول والشام وإيران وبلوجستان والأفغان و روسيا، ويقدّر العارفون مجموع هذا الشعب بنحو (٣٠) مليوناً، والكرد ذو أطوار مختلفة ولهجات متعددة وكلمات مشتقّة وذلك بحكم اتساع ديارهم ووفرة جبالهم الشاهقة وأوديتها السحيقة وانتشارهم في الذروات والوهدات على هيئة عشائر عديدة فهم لم يؤسسوا في أيّ زمن دولة مستقلة موحدة على أساس الجنسية رغم الثورات والمحاولات العديدة التي قاموا بها فأخفقوا، وقصارى ما أوجدوه إمارات متفرقة صغيرة المساحة سريعة الزوال(*)، وقد ظلت بلادهم المذكورة طوال القرون الغابرة مسرحاً للحروب والفتن ومعتركاً للجيوش المتقاتلة ومطمعاً للفاتحين من الدول المختلفة كالآشوريين والإيرانيين واليونان والرومان والعرب والترك والمغول ونالها بحكم وقوعها بين أحر الرحى كثيراً من الأذى والخراب إلاّ أنّ الكرد قد قاوموا هذه الغارات والمناحرات وحفظوا كيانهم ولغاتهم وسجاياهم القومية وقد كانوا قبل الإسلام كالفرس على العقيدة الزرادشتية واشتركوا معهم في مدافعة الجيوش العربية المغيرة ثم اسلموا وحَسُنَ إسلامهم واشتركوا في جميع القلاقل والحروب التي نشبت في عهد الأمويين والعباسيين والبويهيين والسلاجقة وعملوا في خدمة الإسلام والذود عن حماه أثناء الغارات المغولية والحروب الصليبية، وكفاهم فخراً أنّ البطل العظيم صلاح الدين بن أيوب وأنجاله وأقاربه ملوك بني أيوب منهم وأنهم كانوا من جملة حزبه وجنوده يلبونه كلما استجاشهم.

أكثر الكرد مسلمون سنة شافعية وبعضهم في تركيا وإيران شيعة جعفرية ومنهم من لا يزال على دينه القديم المعروف بـ (زرادشت) ومنهم أُناس في أنحاء الموصل يُدعون بـ (العلى الهيه) يشبهون علوية جبال اللاذقية وآخرون يُدعون (شاباك)(*) لا يعرف مذهبهم على التحقيق أماالذين في جبل سنجار شمالي العراق فهم (يزيدية)، وبعض الكرد شبه رُحَل يصيفون في الجبال ويشتون في السهول والأودية.

(*) هذا استنتاج خاطئ، فلقد اسس الكورد في عصور ماقبل الميلاد على اقل تقدير حكومات ودول استمرت لفترات متفاوتة، منها الامبراطورية الميدية وغيرها.

(*) يبدو ان المؤلف يقصد الكورد الشبك، وهم كورد يعيشون في قرى تقع شرق الموصل/ وهم مسلمون سنة وشيعة.

ويقول أمين زكي في كتابه تاريخ الكرد وكردستان (ص٢٩٢) ((ليست الصفات القومية والأخلاق والعادات العامة في العشائر الكردية متحدة كلها بل إنّ هناك فروقاً واختلافات بارزة بين تلك الصفات والمزايا في جميع العشائر فإعطاء وصف عام عن الكرد في هذا الشأن يبعدنا عن الحقيقة إلاّ أنه يمكن أن يقال إن الكرد في الجملة أرباب زرعٍ وضرعٍ وأهل حربٍ وفتكٍ ويُعدّون من أحسن العناصر في الجندية ومسالك الدرك والخفارة كما أن نساءهم عاملاتٌ مجداتٌ يُتقنّ كثيراً من الأعمال المنزلية ويشاركن الرجال في الحروب والحفلات)).

واللغة الكردية لغة آرية انفصلت مع اللغة الفارسية من أصلٍ واحدٍ وقد انقسم كل منهما إلى عدة لهجات، فلهجات اللغة الكردية مختلفة عديدة لم يعمل احد على توحيدها وعلى إيجاد أبجدية خاصة وكتابة مشتركة وافية بحاجات جميع لهجاتها، وقد أدى هذا إلى تباعد اللهجات بعضها عن بعض حتى غدت كأنها لغات مختلفة يكاد لا يفهم أصحابها ما يقوله غيرهم(*).

أما تاريخ الكرد الحديث فهو سلسلة من الثورات التي كانت ترمي إلى التخلص من النير العثماني والإيراني المشترك وأهم هذه الثورات ما نشبت في مستهل القرن الثالث عشر الهجري، قام بها رجل يدعى عبد الرحمن باشا(*) حيث نادى باستقلال الكرد وراح يعمل على توحيد جميع البلدان الناطقة بالكردية لكن الحملة التي حضَّرها والي بغداد بأمر الباب العالي أجهزت على هذه الحركة.

أعاد الأكراد محاولاتهم بعد ذلك في سنوات(١٢٤٢ ـ ١٢٩٤ ـ ١٣٠٣ ـ ١٣١٧) هـ وغيرها ولكن مصير هذه الثورات كان الإخفاق بعد تكبد خسائر كبيرة بالأرواح والأموال.

وبعد الحرب العالمية الأولى وانكسار الدولة العثمانية ظنّ الأكراد أنّ فجر استقلالهم سيبزغ بعد التضحيات التي قدموها فقاموا بإرسال الوفود وتطيير البرقيات إلى مؤتمر السلام فأقرّت معاهدة (سيفر) بحقوق الكرد وباستقلال المناطق الكردية الواقعة في شرقي الفرات وجنوبي أرمينية وشمالي الحدود التركية العراقية، لكن هذا الاعتراف ظلّ

(*) هذا امر غير صحيح البتة، فكل لغات العالم افترقت وتنوعت الى لهجات مختلفة وكذلك حال اللغة الكوردية، ولكن تبقى الكوردية على الرغم من اختلاف لهجاتها لغة واحدة مفهومة من قبل الاغلبية الكوردية والكلمات الدخيلة عليها تبقى غربية، والنسق الصوتي للالفاظ الكوردية هو نسق مشترك وموحد لمعظم اللهجات الكوردية.

(*) يقصد به الامير عبدالرحمن باشا الباباني صاحب المطامح الاستقلالية والرغبة في الابتعاد عن نفوذ القوى الاقليمية التي كانت تتحكم بمصير الامارة البابانية وغيرها من الامارات الكوردية.

حبراً على ورق لقيام مصطفى كمال باشا بثورته المعروفة وتمزيقه معاهدة (سيفر) واستبدالها بمعاهدة(لوزان) التي تجاهلت مطالب الأكراد.

كما سبق وذكرنا أنّ الأكراد ينزلون في مناطق متقاربة ومتجاورة بين إيران وتركيا والعراق، فهم كما ثاروا على الحكومة التركية وقاتلوها عدة مرات ثاروا على إيران وعلى العراق أيضاً وكانت القوات المنظمة في كل مملكة من هذه الممالك تتغلب عليهم وتخمد حركتهم في النهاية(*).

ولعلّ في مقدمة ما يستوقف النظر من هذه الحركات الكردية أنها حدثت في أوقات متقاربة في تركيا وفي العراق وإيران، وبعد ختام الحرب العالمية الأولى وقيام الدول الجديدة في هذه الممالك الثلاث أو قبل ذلك (أي في العصرين الحميدي والقاجاري) فقد كان الهدوء يشمل المناطق الكردية على الغالب .

أول ثورة كردية أوقدها الأكراد على الترك هي ثورة الشيخ سعيد في ولاية ديار بكر سنة(١٣٤٢هـ)﴿١٩٢٥م﴾ أي بعدما استقرت الحكومة الكمالية، فقد نهض لقتالهم باسم الدفاع عن الدين الإسلامي ولكونها(أي الحكومة الكمالية) ألغت الخلافة وأقصت سلائل الخلفاء عن بلادها فوقعت أحداث مريعة جدا انتهت بإخماد الثورة والقضاء عليها وتشريد رجالها والفتك بهم وإعدام العشرات من زعمائها والذين اشتركوا فيها وكان ذلك في ساحة ديار بكر وفي وقت واحد(*).

(*) هذا غاية التسطيح من المؤلف، لان الكورد لاينزلون مناطق متقاربة ومتجاورة، وانما هم يعيشون على اراضيهم التاريخية، وانما تقسيم تلك الاراضي بين دول ذات نزعات استغلالية واستعمارية، حيث قامت بتوزيع مناطق كوردستان الى مناطق نفوذ، وبذلك صارت كوردستان بلاد مجزأة مقسمة، والحقيقة التي تؤكد على انها كانت بلاد واحدة ذات طبيعة وجغرافية واحدة هي ان الاجزاء الاربعة لها ذات حدود مشتركة موحدة حالياً، وليس صدفة ان الكورد يعيشون على حدود مشتركة لعدة دول تقتسم اصلاً بلادهم.

(*) معلومة تاريخية خاطئة، فلم تكن انتفاضة الشيخ سعيد بيران سنة ١٩٢٥ اول انتفاضة كوردية في العصر الحديث، ولم يكن العامل الديني لوحدة الباعث وراء نشوب الانتفاضة كما حاولت دوائر غربية الايحاء بذلك، بل كانت خيبة القوميين الكورد من ممارسات الكماليين سبباً وراء ذلك، لاسيما ان المناطق الكوردية كانت تعيش حالة من التململ والتذمر والخوف من ممارسات الكماليين الذين كانوا حتى امد قريب يوعدون الكورد بتحقيق المزيد من آمالهم القومية

وأوقد الأكراد بعد ذلك ثورة كبرى ثانية بقيادة اللواء إحسان باشا سنة (١٣٥١)هـ في جبال ارارات ﴿آكري﴾ "وان" وعُرفت الثورة باسم (ثورة آكري) فأرسل الترك قوة عظيمة أخمدت الثورة وشرّدت رجالها و لم يخلْ الأمر في الغالب بعد ذلك من وقوع اضطرابات موضعية فيخمدها الترك بدون صعوبة(*).

أما في العراق فقد حدثت اضطرابات في مناطق السليمانية الكردية سنة(١٣٣٨)هـ أي عقب استيلاء الإنكليز على العراق فقد ثار الأكراد أول ما ثاروا لأنهم وُعِدوا بإنشاء دولة كردية مستقلة في جبال السليمانية ثم أُخلِفوا.

وعاد الأكراد فثاروا في السليمانية مراتٍ عديدة منذ سنة (١٣٤١)هـ وإلى أيامنا هذه حيث حدثت عدة ثورات بقيادة الشيخ محمود والشيخ مصطفى البارزاني وكان الجيش العراقي يخمد الحركات في كل مرة(*).

أما في إيران فقد تولى الزعيم الكردي إسماعيل سمكو خان قيادة الثورة على الحكومة الإيرانية في عهد الشاه رضا بهلوي السابق فأرسلت القوى وأخمدت.

في الحرب العالمية الثانية ولما رجحت كفّة الحلفاء وأخذت دول المحور بالتراجع عاد الأكراد إلى التكتل وأخذت لجان التحرير تنشط من جديد وأرسلت برقيات عديدة إلى الأقطاب الثلاثة حينما كانوا مجتمعين في بوتدام مطالبة بألاّ يُنسَ الشعب الكردي حين تقرير مصير الشعوب، ولما قامت الحكومة السوفياتية في إيران بفصل أذربيجان والمناطق الكردية ومنحها الاستقلال الذاتي رأى الكرد الإيرانيون في ذلك بارقة أمل تسطع من الشمال فولوا وجههم نحوها علّهم يستطيعون بمؤازرة الحكومة المذكورة من تحقيق أمانيّهم ولبثوا ينتظرون، على أن العارفين بدقائق السياسة لم يعتقدوا بفائدة هذا الانتظار.

الكوردية حتى انهم اذا وقفوا الى جانب القادة الترك لطرد المحتلين للمناطق التركية، ولكن الايام اثبتت عكس تلك الادعاءات.

(*) اضطر الترك لاستعمال الطائرات الحربية للتخلص من انتفاضة (آكري) ولم تكن مهمة القضاء عليها سهلة أبداً للحكومة التركية.

(*) معلومات المؤلف بخصوص التاريخ السياسي لكوردستان – العراق يشوبها النقص وعدم تحري الدقة ومعرفة التواريخ الصحيحة، ولاتغدو كونها معلومات سطحية اولية، لاتفي بالغرض المطلوب فالبارزاني قائد الثورة الكوردية المعاصرة عرف ويعرف دائماً باسمه "ملا مصطفى البارزاني" ، فضلاً عن ان انتفاضته الاولى كانت بين السنوات (١٩٣١-١٩٤٥).

ما زالت بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية لا تنظران بارتياح إلى تأليف دولة كردية تتاخم بلاد إيران والعراق والشام وتركيا فحدث ما حسبوه وأخفقت حركة أذربيجان أيضاً وظلت فكرة الدولة الكردية معلقة في باب(الأماني القومية).

هذا وبعد أن مزّق الترك معاهدة(سيفر) عقب الحركة الكمالية وأبدلوها بمعاهدة(لوزان) عام ١٩٢٣ تنكروا للأكراد وقاوموهم واتخذوا أشد التدابير نحوهم وخصوصاً بعد حوادث الشيخ سعيد المعروفة وسلكوا سياسة سداهاولحمتها تزيك الأكراد وتجريدهم من قوميتهم وجعلهم أتراكاً فلا يشعرون بالشعور القومي ولا يتحسسون به، فزاد ذلك في نقمة الكرد عليهم وأوجدوا هذه الهوة السحيقة بين الأمتين، (ومثل هذا الخلاف غير واقع للأكراد السوريين) .

أكراد بلاد الشام:

يكثر وجود الأكراد في شمالي بلاد الشام على مقربة من الحدود التركية الحالية في محافظتي الجزيرة وحلب وكل هؤلاء أكراد أقحاح لم تتصل إليهم العربية بشيء، أما في وسط بلاد الشام فعدد الأكراد قليل إلاّ أن لهم بقاعاً يؤلفون فيها كتلاً مجتمعة كالذين في ناحية جبل الأكراد التي بين جسر الثغور واللاذقية وفي حي الأكراد في دمشق وفي قرية أكراد إبراهيم في وعر حماة غربي العاصي، في حين أن مجيء الأكراد إلى وسط بلاد الشام فهو قديم وربما كان أول من أتى بهم هو عامل حمص شبل الدولة نصر بن مرداس سنة ٤٢٤هـ وأسكنهم في حصن الصفح ليحفظوه ويصونوا الطريق بين حمص وطرابلس، فسمي ذلك الحصن منذ ذلك الحين بـ(حصن الأكراد) وهو في قضاء (تلكخ)من أعمال محافظة اللاذقية وقد بقوا فيه نحو قرن ونيف إلى أن جاء الصليبيون واستخلصوه منهم سنة ٥٣٠هـ فتشتتوا، ثم كثر توافد الأكراد في عصر الدولتين النورية والصلاحية لخوض غمار الحروب الصليبية والإبلاء فيها[*].

---

[*] يبدو للوهلة الاولى من خلال التدقيق فيما يورده المؤلف من معلومات وحقائق عن الكورد في كوردستان-سوريا وكذلك عن الجالية الكوردية الموجودة في دمشق ولبنان، انه ينقل تلك المعلومات بالاستناد الى ماأورده وكتب عنه الباحث السوري المعروف احمد وصفي زكريا، صاحب الكتابين المهمين عن الحياة الاجتماعية في سوريا خلال بدايات القرن المنصرم، وهما كل من كتاب (جولة اثرية في بعض البلاد الشامية، وكتاب عشائر الشام)، حيث ان المذكور اعلاه كان قد اشار وبموضوعية وحيادية الى

ولعل كل من أدى واجبه في الجهاد من هؤلاء كان يعود أدراجه والذين بقوا منهم استعربوا وذابوا في البيئة الشامية ولم يحتفظ بماضيه الكردي إلاّ الذين وفدوا في العصور الأخيرة ومنهم سكان ناحية جبل الأكراد، ومن أهم العوائل الكردية في هذه المنطقة آل مرعب في عكار والذين جاؤوا من أنحاء هكاري منذ قرنين ونصف استعربوا تماماً وقد بقيت من الآثار الكردية لهؤلاء طولهم وعرضهم وعجمة لهجتهم وضخامة لبادتهم التي يلبسونها تحت الكوفية والعقال، فهي طويلة وثقيلة أكثر من اللزوم ويلقبون بلقب بك منذ أن صار جدهم علي الأسعد المرعبي باشا وحاكماً في طرابلس.

ويليهم آل البرازي في حماة والذين قدموا من الرها(*) واندمجوا مع البيئة الجديدة وكذلك سكان حي الأكراد في دمشق وهؤلاء على الرغم من اختلاطهم بالدمشقيين في عهد الدولة الصلاحية﴿الايوبية﴾ واقتباسهم اللغة والأزياء العربية لا يزالون محتفظين بلغتهم وعقليتهم الكردية وأكثر طباعهم الأصلية وذلك لاستمرار مجيء الوافدين من هكاري و وان وغيرها من بلاد الأكراد الشمالية إلى هذا الحي.

على أن السواد الأعظم من عشائر الأكراد يقطن في محافظة الجزيرة ويمتد من أقصى شمالها الشرقي في قضاء ديريك قرب دجلة ويتجه نحو الغرب إلى قضاء القامشلي ثم إلى ناحية رأس العين ثم إلى عين العرب في محافظة حلب ثم إلى جبل الكرد(كرد داغ) شمالي حلب ثم إلى الباب شرقي حلب ثم إلى ناحية جبل الأكراد في الحفة في محافظة اللاذقية.

إنّ العشائر الكردية الموجودة في قضائيي ديريك والقامشلي متحيرة بين الحدود التركية والعربية بعضها هنا وبعضها هناك على أنّ كثيراً من بلاد الترك صار يتهافت نحو المنطقة العربية في الجزيرة ويساهم في إحياء القرى وإنشاء المزارع، فالفلاح الكردي يحسن العمل ويؤدي الواجب في زراعته ومعاملته، ومن

الكورد السوريين واهم عشائرهم واماكن تواجدهم، بعيداً عن الروح العنصرية التي طغت على من جاء من بعده من المؤرخين والجغرافيين السوريين في الفترات اللاحقة من تاريخ سوريا المعاصر.

(*) يذكر الاديب والسياسي الكوردي عثمان صبري، ان عشيرة البرازي كانت تسكن مدينة (روها-اورفا)، وانها كانت تنقسم على (١٢) فخذاً، وعدد بيوتها تعد بـ (١٧٠٠٠) بيت.

زعماء الأكراد الذين يذكرون في الجزيرة (نايف بن مستو باشا[*]، حسن بن حاجو آغا[*]، وعبدو آغا المرعي[*]) بالإضافة إلى آل إبراهيم باشا الملي ومن شيوخ (خزنة) في قرية تل خزنة شرقي القامشلي.

بعد هذه الدراسة عن الأكراد في بلاد الشام سوف نقوم بذكر أهم العشائر الكردية الموجودة مع شرح موجز لكل عشيرة من هذه العشائر ونبدأ بـ :

١ـ عشيرة ميران: ويدعون أيضاً(كوجار- كوجر) ومعناه بالكردية(بدوي رحالة) وأصلهم من بلاد الكرد وهم رعاة متنقلون منطقتهم في قضاء ديريك من الدجلة حتى جهة تل رميلان في عدة قرى أهمها(كره صور وكربلات وباشكفت وشكرحاج ووادي السوس)، وقد يصلون في الصيف إلى(سعرد) في تركيا وعددهم (٦٥٠ ـ ٧٠٠) بيت، وهم محاربون على غاية من الشجاعة والشراسة وهم في رئاسة نايف بك بن مصطفى باشا وهو قريب حاجو آغا[*] رئيس الهويركان[*] وفرقهم البركالا ـ السنياكا ـ الوارا ساري ـ

(*) هو نايف باشا بن مصطفى باشا زعيم عشيرة ميران الكوردية، برز اسمه كأحد رؤوساء العشائر ذوي النفوذ على ابناء عشيرته والعشائر المحيطة بها، توفي سنة ١٩٦٦ ودفن في جبل قرةجوخ بقبر معروف ومنظور من بعيد.

(*) هو حسن بن حاجو آغا، الذي تزعم عشيرته هڤيركان بعد والده حاجو آغا، عرف بمواقفه الانسانية القومية تجاه قومه الكورد، متوفي وخلف العديد من الابناء والاحفاد.

(*) هو عبدي آغا المرعي، رئيس عشيرة آليان الكوردية التي تقطن القرى المحيطة برميلان وديريك متوفي.

(*) معلومة خاطئة الشخصان لايمتان الى بعضهما بصلة قرابة.

(*) هڤيركا وليس الهويركان.

الاياسا كاو ـ آليوكان ـ البرزاري ـ أوماوالا[*] ـ اليركان[*] ـ الموسوباشا[*]، وقد كان بينهم وبين شمر عداء قديم[*].

٢ـ الحسنان ﴿هسنيان﴾: أكراد من بلاد تركستان الشرقية[1] منطقتهم في قضاء ديريك سهل جزيرة ابن عمر﴿بوتان﴾، من آخرأعضاد الجبل في الشمال حتى جبل قراجوق﴿قرةجوخ﴾ في الجنوب ومن الدجلة في الشرق حتى أنحاء المصطفوية في الغرب، عددهم (١٢٠٠) بيت وقد كانت رئاستهم في يد أسرة الحاج عبد العزيز، وفرقهم الحاج عبد العزيز وسليمان الحسين وميرو بن ميرو.

٣ـ آليان: أكراد نصف بدو مقيمون في القامشلي، يزرعون ويحرثون بين نهر الجراح والسفوح الغربية من جبل قراجوق، وعددهم(٥٥٠) بيتاً منهم(٤٣٠) داخل الحدود الشامية ورئيسهم عبدي أغا محمد المرعي وقد اشترك مع حاجو آغا بالثورة على الترك.

٤ـ شيتية: أكراد نصف حضر مقيمون شرق القامشلي بين بربح في الغرب ونهر الجراح في الشرق وعددهم(٨٠٠) بيت وهم أحلاف طي(عشيرة عربية) ويعد من أهم رؤسائهم محمد الأحمد اليوسف وخليل الإبراهيم وعبد العزيز سميل، وأشهر قراهم البوير والسيمة والخزنة وسميل.

٥ـ أطراف شهر: عشيرة مختلطة من أكراد وعرب، تقطن في تسع قرى داخل الحدود الشامية ومثلها في الحدود التركية، وهم فلاحون أجراء لدى الملاكين من أهل نصيبين والقامشلي وليس لهم رئيس عام.

(*) الاصح، برگەلی، سینەکا، وارة سەری، ئیسکا، ألیوطا، بەڕ زەری، ئەرمەدەلا وفروع اخرى.

(*) هذا الفخذ غير موجود ولايمت الى عشيرة ميران بصلة.

(*) يبدو ان المؤلف يقصد عشيرة موسا رەشان، وهم ليسوا من ميران بل تجمعهم بعشيرة ميران اواصر الجيرة

والتحالفات القديمة وكونهم ايضاً من عشائر الكوجر الكوردية.

(*) لم يكن بين ميران وشمر خلال هذه المدة اي عداء قديم، بل على العكس من ذلك فكثيراً ماساندت ميران زعماء شمر بسبب الجيرة والحدود المشتركة للعشيرتين. الا ان العلاقات ساءت بينهما في بداية ثلاثينات القرن الماضي.

(١) هسنان: عشيرة كوردية قديمة ولم يسمع انهم جاءوا من مكان آخر كما يورد المؤلف.

٦ـ بوبلان: أكراد نصف حضر غرب القامشلي عددهم(٣٠٠) بيت، رئيسهم يوسف كاسو﴿قاسة﴾ القاطن في تركيا وهو من صناديد الغارات والحروب.

٧ـ هاروكية ـ هاويركان ﴿هڤيركان﴾: أكراد انضم إليهم بعض عناصر سريانية ويزيدية، منطقتهم قبور البيض﴿تربة سبي﴾ وما حولها الواقعة شرقي القامشلي على طريق ديريك، وهم نحو(٩٠٠) بيت ثلثهم مسلمون سنة والثلثان الباقيان نصارى سريان يعاقبة وقليلهم يزيدية وكان رئيسهم بلا منازع حاجو آغا وابنه حسن آغا.

٨ـ المرسينية: عشيرة كبيرة تجاور عشيرة بينار علي، يقطنون شرقي ناحية عامودة، رئيسهم عبدي آغا خلو، عددهم نحو(٣٠٠٠) بيت وفرقهم الرمان والعبد المنصور وهم خصوم عشيرة بوبلان الكردية.

٩ـ بينار علي: عشيرة كبيرة ذات ثروة وزراعة هامة، تقطن القسم الغربي من القامشلي وتبعد ١٥ ـ ٣٠ كم ويبلغ عددها(٣٠٠٠) بيت بعضها داخل الحدود التركية وأكثرها داخل الحدود السورية حيث لها قرى عديدة أهمها أبو راسين وجرنة.

١٠ـ ملاني خضراني: أكراد نصف حضر من غربي وجنوب غرب عامودة أكثر قراهم داخل الحدود السورية ينجعون أودية الخابور وجغجغ وعددهم(٦٠٠) بيت.

١١ـ دقورية: عشيرة كبيرة تقطن ناحية عامودا لها عشرات القرى داخل الحدود السورية يرأسها سعيد آغا بن محمد أغا ولهذه العشيرة ولا سيما لرئيسها ماضٍ محمود في الوطنية ومقارعة الفرنسيين.

١٢ـ الكابارة: عشيرة كردية كبيرة تقطن في ناحية عامودة وأخص قراها قره تبة وماريت وسلندر ولرؤسائها سمعةٌ حسنة وأخصهم عبد الرحمن آغا الحصو﴿الهسو﴾ وشيخو داود بريجان.

١٣ـ الكيكية: عشيرة كبيرة معتبرة تقطن الدرباسية، أكثرهم لا يزال داخل الحدود التركية وقليلهم داخل الحدود السورية يشتهرون بالزراعة وإنتاج المواشي والحبوب وعددهم حوالي(١٠٠٠) بيت ثلثهم شمالي الحدود وثلثاهم في جنوبي الحدود، والذين في الجنوب هم في رئاسة الحاج درويش الحاج موسى التوفي وعيسى آغا الملقب بالكطنية وفرحان آغا العيسى وغيرهم المقيمين في قرية تل أيلول ولرؤساء هذه العشيرة ذكر محمود في سجل الوطنية، وفرقهم داخل الحدود السورية العزيزان والكمكان وقد ظل

هؤلاء الكيكية حتى سنة ١٩٢٦م(*) على نزاع مع شمر مشعل باشا بسبب امتناعهم وقتئذٍ عن دفع(الخاوة) إليه وفي سنة ١٩٤٤م اقتتلوا اقتتالاً شديداً مع عشيرة البقّارة إثر نزاع على ملكية بعض الأراضي وعظم الخطب بينهم رغم تدخل الحكومة وإقرار الصلح بينهم.

١٤ـ ملية الخضر: عشيرة هامة كبيرة العدد والملك تقطن في غربي عامودة وجنوبها ولها تسع عشرة قريةً داخل الحدود الشامية وقريتان داخل الحدود التركية عددهم نحو(٦٠٠) بيت، اشتهروا بخصب أراضيهم وإتقانهم الحراثة والزراعة فيها، وفرقهم هي الخضر والبادينا والسيدان والجمالدينا والدشناوي والصوان ورئيس هذه العشيرة اليوم هو عيسى الأغا العبد الكريم القاطن في قرية كندور في العامودة وكان لهذا الأغا ماضٍ محمود في باب الوطنية.

وملية الخضر هم جزء من الملية وجدهم خضر هو الكبير بالنسبة للبامري وقد أطلقت عليهم تسمية ميلان كبير وذلك لأن جدهم هو الأكبر سناً ومنذ أكثر من(١٥٠) سنة كان هناك خلافٌ بين الباشوات والخضر حول رئاسة العشيرة وقد أدى ذلك إلى حدوث انقسام في عشيرة الملية حيث انقسمت إلى قسمين أحدهم وقف إلى جانب ملية الخضر والقسم الآخر وقف مع الباشوات وحدثت معركة ضارية بين الطرفين وكانت الخسائر فيها بالغة إلاّ أن الانتصار في النهاية كان لمصلحة الباشوات مما أدى إلى نزوح ملية الخضر والقبائل الموالية لها إلى منطقة ماردين حيث مازال قسم كبير منها موجوداً هناك.

وملية الخضر ينحدرون من فخذ يدعى بالخضركان وكانوا يقيمون في منطقة ويران شهر وما زال إلى وقتنا الحالي يوجد منهم عدد لا بأس فيه في هذه المنطقة وكان كبيرهم يدعى سنان أغا أما بالنسبة لملية الخضر الموجودين في سوريا فقد سبق وذكرنا أنهم بزعامة عيسى العبد الكريم وقد ظهر من هذه العشيرة شخصيات عديدة فذة ومنهم نواف أغا الذي كان يتمتع بدرجة كبيرة من الشجاعة والذكاء وهو الذي استطاع أن يحافظ على جميع أراضي هذه العشيرة والتي ما زال أفرادها يملكونها ويستثمرونها.

(*) وتوجد عدة قرى لعشيرة الكيكان الكوردية شرق دجلة تابعة لقضاء تلكيف محافظة الموصل واهمها: تل عدس، منارة، تلسين، مزكلاط.

وقد خطب نواف أغا ابنة نايف باشا الذي سأله عن أصله فأجابه"أنا ملي" وكانت شهادة محمود بك إبراهيم باشا كبير المليـة لصالح نواف أغا فتم الزواج بين نواف أغا وابنة نايف باشا، بعد هذا كله نستطيع أن نقول بأن مليـة الخضر هم جزء هام من عشيرة الملي وهم من المقربين جداً لآل إبراهيم باشا وعلاقتهم ما تزال قوية إلى وقتنا الحاضر.

١٥ـ البرازيـة: هم مجموعة عشائر متحالفة اسمها علادينان وبيجان أو بيزان وشراوان وزروان ودنان وقره كيجان وأوكيال ومعافان وويران، ويقدّر العارفون عددهم بـ(٩٠٠٠) بيت يقيم معظمهم داخل الحدود السورية في قضاء عين العرب والباقي داخل الحدود التركية في سهل سروج الفسيح .

رئيس حلف البرازية اليوم مصطفى بك شاهين وهو من عيون الأكراد البارزين وقد عُرف بينهم برجاحة الفكر والهمة والنشاط ووفور النفوذ والكرامة، يشاركه أخوه بوزان بك في الرئاسة وهما يقطنان في قرية(مكفلة) .

وفيما يلي نقوم بعرض وصف مختصر لبعض عشائر البرازية:

١٦ـ خلجان: أكراد برازية لكن رؤساءهم يدعون الانتساب إلى آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وهم نصف حضر يقطنون في أنحاء قرية خراب نياز شمالي الخط الحديدي وجنوبه وباديتهم بين الفرات والبليخ وعددهم(٣٥٠) بيتاً ورئيسهم الشيخ نوح موفور الكرامة وحسن السيرة.

١٧ـ علاء الدين: فرقة كبيرة من البرازية في رئاسة مصطفى بك وأخيه مباشرةً، وعدد نفوس هذه الفرقة نحو(١٢٠٠) وهم موزعون في شمالي قضاء عين العرب إلى الغرب في(٣٦) قرية متاخمة للحدود التركية.

١٨ـ الرزوان: فرقة من الشيخان في حلف أبناء شاهين وتقدر بنحو(٥٠٠) بيت يقيمون في سبع قرى قريبة من الحدود التركية، ومن هؤلاء الرزوان نشأ برازية حماة.

١٩ـ البيجان: أكراد من لواحق البرازية أكثرهم داخل الحدود التركية وقليلهم وهو نحو الربع(٢٥٠٠) نسمة داخل الحدود السورية، رئيسها الأصلي مصطفى بك بن غالب بك المقيم في تركيا ومن مشايخها المعروفين أحمد محمود و مجمان علي.

٢٠ـ الشدادان: أكراد من فرق البرازية وشيخهم فياض خليل أغا ولهذه الفرقة فخذ اسمه أوخ ومن هنا كان اسم الفرقة شدادوأوخ وتعدادها نحو(٣٠٠٠) نسمة ومثل هذا العدد منهما في ناحية تل أبيض إلاّ أن أكثر شدادوأوخ لا يزال داخل الحدود التركية أمّا

أماكنهم ففي شرقي قضاء عين العرب وهم متصلون مع بقيتهم الموجودين في ناحية تل أبيض وهم ينجعون في فصل الربيع بوادي الرقة ويملكون نحو عشر قرى.

٢١ـ الشيخان: أكراد من فرق البرازية لكن رؤساءهم يدعون أنهم من أصل عربي ومن آل البيت وهم لا يعلمون متى هاجروا إلى هذه الأنحاء ولا كيف تغلبت عليهم اللغة الكردية وهم يقطنون في (٦٧)قرية في منطقة مخفر الحلمية وخرابنياز وعددهم(٣٨٠) بيتاً ورئيسهم الشيخ نوح بن الشيخ بوزان يقطن قرية ترمك وهذا الشيخ موفور الكرامة وحسن السيرة.

٢٢ـ الكتبكان: أكراد أقحاح لا يعرفون سوى الكردية إلاّ أنهم يدّعون الانتساب إلى أصل عربي(*) ويؤكد رئيسهم بصراوي أغا بأن أصل عشيرته من كندة واستوطنوا في زمن مجهول في جبل الكرد وصاهروهم فغلبت عليهم الكردية، وان رئيسهم السابق كان اسمه مختار الأسور ومن هنا صارت هذه العشيرة تلقب بالسورة ورئيسهم بصراوي أغا وأولاده خشمان وقطوان وشوكت، وفرق هذه العشيرة كرشيان وطبانلي ويبلغ عددها(١٣٠٠) بيت يقيمون في ناحية حرين وإيليجت ولهم نحو(٥٠)قرية مثل زرعة باباروس وخربة باركير وبعضهم الآخر في منبج في قريتي محسنة و عسلية وكذلك في الباب في صابويران وكذلك في أعزاز في قرية قصر القابين .

٢٣ـ أكراد عثمانوا: في مصياف من محافظة اللاذقية أكراد يدعون بـ أكراد عثمانوا لا يزالون رحالة نزحوا من شمالي الجزيرة منذ قرنين أو ثلاثة بحكم الفتن التي كانت وقتئذٍ ولم تتحقق لنا نسبتهم الأصلية وهم ينزلون قرب قرى عقرب وصخور وأصلية وشيتون في قريتي تل سحلب والعشارنة وهم ما يزالون محتفظين بأوصافهم القومية رغم وجودهم في وسط عربي ، عدد بيوتهم(٨٠) بيتاً ورئيسهم محمود محمد سعيد .

(*) هذا ليس بالمستغرب عند بعض العشائر الكوردية، فكثيراً ماكان يدعى زعماؤها انهم من اصول عربية قديمة تعود الى سلالة النبوة، وحتى بعض الامراء الكورد المعروفين باصلهم الكوردي البين ادعوا مثل تلك الادعاءات، ويبدو ان الرغبة في تأكيد احقيتهم بمناصبهم وتميزهم عن العشائر المجاورة لهم، واستثمار المكانة العالية التي اكتسبها (آل البيت) عند الكورد المسلمين نتيجة اعتناق الاغلبية الساحقة من الكورد الدين الاسلامي الحنيف، كان الباعث الاكبر وراء تلك المزاعم التي لاتقوى مع الحقائق التاريخية المؤكدة في ذلك المجال.

٢٤ـ الجوم: كانوا في البداية في أنحاء قونية إلى أن أمر السلطان سليم الأول بنقلهم إلى قضاء عفرين فاستقروا فيه وتحضروا وهم الآن في ناحية الحمام وعددهم(٤٥٠٠) بيت ينتشرون في(٨٢) قرية ويؤلفون عشيرة جسيمة ومشهورة منذ أجيال بجفوتها وكثرة أشقيائها.

٢٥ـ العميقي: كانوا بادية في تخوم العجم ثم نقلهم السلطان سليم إلى قضاء عفرين وهم نحو(٢٧٠) بيتاً في قرى عديدة ومثلهم عشيرة الوصلي وعددهم(١٢٥) بيتاً في تسع قرى وكذلك عشيرة خورمالي الذين اختلطوا بالعرب ويقطنون أنحاء جبل ليلون.

٢٦ـ دنادية: أكراد من فرقة الشرقيان الملية جاؤوا إلى جنوبي مدينة حلب من أنحاء أورفة وسروج وهم حضر يقطنون قرى تل عرن وتل حاصل و(...) الصغيرة في الباب وقد حفظوا خلالهم و تقاليدهم القومية وسط البيئة العربية وهم يبلغون(٢٥٠) بيتاً وأفخاذهم قره كج وكتبكان وشيخان وشب آلتي.

٢٧ـ اليزيدية: يوجد في عفرين قسم من الأكراد اليزيدية الذين أصلهم من جبل سنجار موطن اليزيدية الأصلي، ويزعمون أن السلطان سليم هو الذي جاء بهم إلى هنا وهؤلاء لا يزالون متمسكين بمذهبهم، وهم حضر قرويون وقد اختلط بعضهم بالأكراد إلاّ الذين في قريتي قرطل وقراباش وعدد الجميع نحو(٧٠٠) بيت ولهم رئيسان: درويش شامو في قرية عرش قيبار وإيبو أمسقان في قرية قراباش.

٢٨ـ أكراد إبراهيم: هؤلاء يقطنون قرية أكراد إبراهيم المسماة باسمهم في حماة غربي العاصي وأصلهم من الأكراد اليزيدية جلوا عن بلادهم في أنحاء سروج منذ قرن وكان رئيسهم يُدعى إبراهيم، سميت القرية والعشيرة باسمه على أن هؤلاء بعد أن كانت لا تؤكل ذبيحتهم ولا يُلعن الشيطان أمامهم ما لبثوا أن امتزجوا بالبيئة فأسلموا واستعربوا ولم يبق للغة الكردية عندهم إلاّ أثرٌ قليل بين معمريهم وهم الآن قلّما يختلفون بالأزياء والعادات عن الفلاحين العرب.

عشيرة الميلان﴿الملان﴾ غاواست يا:

باعتبار أن عشيرة الملّي وبعد خسارتهم للثورة التي قاموا بها ضد إيران في منطقة هكاري وبالتحديد في قلعة موك والتي كانت معقل للملي،اضطرت هذه العشيرة إلى النزوح إلى منطقة وان حيث يوجد إلى الآن ما يقارب الخمسين قرية جميع سكانها ملّية ويطلق عليهم تسمية الميلان﴿الملان﴾ غاواست يا والمقصود بذلك باللغة

العربية(الملية الذين تعبت أبقارهم فلم يتمكنوا من الرحيل) حيث إنهم اضطروا إلى البقاء في تلك المناطق.

ويرأس هذه العشائر التي تشكل فرقة من الملية علي إحسان بك الذي كانت له صلات كبيرة بآل إبراهيم باشا باعتبار هذه العشيرة هي جزء من عشيرة الملي التي يتزعمها إبراهيم باشا(*).

(*) المعلومات التي وردت عن العشائر الكوردية البارزة في كوردستان الغربية، تعود الى فترة بدايات القرن المنصرم كما سبق والاشارة اليه سابقاً، لذا فان الكثير من الامور قد تغيرت ومن ذلك ان اعداد منازل تلك العشائر قد تضاعفت وطرأ الكثير على بناها القبلية والاجتماعية والاقتصادية واصبح نفوذ رؤوساء العشائر في الغالب فخرياً ورمزياً اكثر منه عملياً، وانحسر دور العشيرةلصالح فكرة الاصل الكوردي المشترك لعموم ابناء العشائر المختلفة بعد ان لمس معظم هؤلاء ان سوريا ومع دخولها فترة العهد الوطني بعد الانسحاب الفرنسي عنها، تتجه نحو ابراز المضمون القومي العروبي للشعب السوري، دون الالتفاف الى ان هناك عشائر كوردية سكنت مناطقها التاريخيةفي فترات موغلة في القدم وتشكل في عمومها القومية الثانية في البلاد بعد ان الحقت مناطقها بالدولة السورية حديثة التكوين.

الفصل الأول

١ـ الملية(حزار مل)
٢ـ الأقسام الأساسية للملية
٣ـ جدول عشائر الملية
٤ـ حادثة ميلان﴿ملان﴾

١ـ الملية(حزار مل)*:

الملية(حزار مل)، تعتبر من أكبر التجمعات البشرية في الشرق الأوسط ومناطق انتشارها تقع في الولايات الشرقية والجنوبية من تركيا وشمال شرق سورية، أي جنوب جبال طوروس وعاصمة الملية هي مدينة ويران شهر* التي تقع ما بين ماردين وأورفا، وكانت الملية تضم بالإضافة إلى الأكراد عدداً من العشائر العربية والطوائف المسيحية* .

وقد زار عدد من المستشرقين مضارب الملية وقدموا بعض الملاحظات عنهم، حيث يشير اينسورث* الذي زار الملي سنة(١٨٣٤م) إلى أن "الملي وعدد قليل آخر من العشائر الكردية مترحلون أيضاً ويجوبون المنطقة ولكن معظمهم يستقرون في قرى ثابتة ويترك لهم الاحتفاظ بالحكم الرئاسي..." (١) .

ويعتبر الدكتور هيلموت كريستوف الذي يقسم الأكراد إلى أربعة مجاميع بحسب ظروفهم الاجتماعية إلى أن سكان طوروس الجنوبي الذين يرتادون بادية سورية وما بين النهرين ـ وبين هؤلاء عشائر الملي بالطبع ـ يؤلفون النموذج الكردي الأصيل الذين يحافظون على خصائصهم بشكل أفضل وما الأكراد الآخرون سوى فروع مشتقة عنهم(٢) .

---

* (حزار مل) أي (هزار مل) بمعنى (الألف فرع)، أي أن الملية ونتيجة تنوع الأعراق والأطياف المنضوية تحت رايتها كانت تضم نحو الألف فرع وفخذ من الفروع المختلفة.

* هي العاصمة التاريخية للعشيرة الملية تقع في منتصف الطريق الواصل بين ماردين واورفا هي الآن تقع في الجهة التركية للحدود السورية التركية.

* تتميز عشائر كوردية كثيرة أخرى غير الملية بأنها جمعت تحت لوائها عشائر أخرى ومن طوائف مختلفة، منها عشيرة (هه فيركا) حيث يمكن أن يجد المرء من أبناء هذه العشيرة المسلم والمسيحي والايزيدي. وذلك يدل دلالة واضحة ان الشعور بالانتساب الى الارض كانت عند الكوردي اقوى من غيرها من الولاءات الاخرى.

* هو الجراح والجيولوجي وليم فرانسيس اينسورث، قام سنة ١٨٣٧ برحلة كلف فيها بكتابة تقارير عن أحوال الكورد، للتفاصيل ينظر: د. عبد الفتاح علي بوتاني، تقديم لكتاب مارك سايكس، القبائل الكوردية في الإمبراطورية العثمانية، ت: د. هه وراز سوار علي، تقديم ومراجعة وتعليق: د. عبد الفتاح علي بوتاني، (دهوك، ٢٠٠٢)، ص ١٩.

(1) د.أحمد عثمان أبوبكر: أكراد الملي وإبراهيم باشا، ص٩. (المؤلف).

(2) المصدر السابق، ص٩. (المؤلف)

ويقول ميللنجن* بمناسبة مروره على منازل أكراد جنوبي أرضروم: ((يجب أن أعترف بأنني شغفت بهذا المنزل، وإذا كنت أعجبت بمظهر المكان رحت أفكر بأن الأكراد لا ينقصهم الذوق كما يُظن، بل إنهم لم يهملوا أن يوفروا في منازلهم بعض أسباب الراحة واللياقة)) (٣) .

ويتحدث نفس الكاتب في فصل(صفات الأكراد) في كتابه عن بعض صفات الإنسان الكردي وعن نساء عشيرة ميلان ممتدحاً صفاتهن ومكانتهن الرفيعة في المجتمع وقيامهن بمسؤوليات كبيرة وحتى استلام القيادة عند غياب أو وفاة أزواجهن .

وقد زار لايارد* عالم الآثار الشهير بعض طوائف الملي المترحلة بين نهر الخابور وماردين وحلَّ ضيفاً على رئيسهم موسى أغا، وكتب يقول:

((كانت تقوم خيام الأكراد على مرمى قصير من النهر منصوبة على شكل صفوف متراصة متوازية تخترقها أزقة منتظمة معتدلة.. وكانت ترعى قطعان المواشي الغفيرة العدد المنتشرة في السهل على امتداد البصر.. ورحت أستقبل رؤساء الأكراد الزائرين لي في خيمتي، وقد حوت أحاديثهم معلومات قيِّمة وحكايات عن أحداث مفيدة مسلية، فهؤلاء عموماً أذكياء وصرحاء وكرماء.. لكن هذا الفريق يميل إلى التراجع والتدهور تحت ضغط النظام ـ والجيش النظامي.. وسنحت لي الفرصة لأزور خيام الملي حيث دعاني رئيسهم موسى آغا لإحتفاء بي ومررنا في طريقنا على أكراد كيكي(*) الذين ألحوا علينا لقبول ضيافتهم، كانت خيمة الرئيس الواسعة مقسمة إلى عدة أجنحة، وكان أفراد القبيلة الذين شاهدت بينهم عدداً غفيراً من الرجال الطوال

---

* من الضباط البريطانيين الذين كتبوا عن الكورد بعد ان كان قد عمل في احدى الفرق العثمانية في ارمينيا.

(3) المصدر السابق، ص٩. (المؤلف)

* هو المستشرق البريطاني اوستن هنري لايارد، عالم الآثار وعضو مجلس العموم البريطاني في خمسينيات القرن ١٩، جاء إلى العراق وألف كتاباً عنه في ١٨٩٤، أرشيفهم وتاريخنا، www. Aljazeera . net

(*) عشيرة كوردية كبيرة تسكن الدرباسية على بعد (٥ ـ ٢٥)كم، القسم الأكبر منها داخل الحدود التركية، كانت عندهم قطعان كبيرة من الغنم والبقر وأراضي خصبة و واسعة، رئيسهم الحاج درويش الحاج موسى، وعيسى اغا وفرحان اغا العيسى، ولهم ذكر محمود في سجل مقارعة الفرنسيين وأهم فرقهم هي العزيزان والكمكان على وصف الباحث السوري، احمد وصفي زكريا، عشائر الشام، (دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٨٣)، ج٢، ص ٦٦٣ .

القامة الجميلي الطلعة يرتدون الثياب النظيفة اللائقة، وقد تجمع عددٌ كبيرٌ منهم، ثم زرنا جناح الحريم واستقبلتنا أم الرئيس التي وجدتها عجوزاً من أكثر نساء الشرق اللواتي قابلتهن حرمةً واعتباراً، وكانت بين النساء فاتنات كثيرات.. وكُنَّ أميل إلى الفتنة الأوربية.. وكانت السجاجيد والرياش من أحسن الأنواع ـ والملّيون يتفوقون في هذه الصناعة لحد الإجادة ـ ويُقدِّر الأكرادُ بنات الملّي عالي التقدير، وقد دُفِع مائة جنيه كمهر في طلب يد إحدى الحسناوات، وقد تناولنا أفخر وأشهى الأطعمة في ملا مليك ـ مضيف ـ الرئيس)) [٤] .

ويقول الأب انستاس الكرملي[*] في مخطوطة له:

((وأهم قبائل الأمة الكردية هي اليوم الكرد الملية القاطنة في كردستان الغربية والحسنانله الساكنون في نجد أرمينيا)) [٥] .

ويقول محمد أمين زكي[*] :

((إنّ الميلان هم أصل عشيرة الملي الشهيرة والآن بينهم صلات وثيقة من التزاور وغيره)) [٦] .

ويضيف قائلاً: ((ميلان ـ عشائر تقيم في أطراف جبل أرارات فيما بين نهر آراس وجبل/ سوكمار/ بأطراف " كاليني" بقضاء ماكو)) [٧] .

---

(4) المصدر السابق، ص١١. (المؤلف)

(*) هو بطرس جبرائيل يوسف عواد المعروف بالأب انستاس الكرملي (١٨٦٦ ـ ١٩٤٧)، رجل دين مسيحي ولغوي عراقي لبناني وضع كتباً مهمة وابحاث جديدة، ألف معجماً سماه بـ (المساعد)، له العشرات من الكتب، احمد تمام، في معبد العربية، انستاس الكرملي، www. Islam oneline net

5) الأب انستاس الكرملي : مخطوطة من متحف بغداد، رقم ٩٠٤، ص٣٢ . (المؤلف)

(*) هو العلامة محمد امين بن الحاج عبد الرحمن زكي بن محمود بابير، قائد عسكري ومؤرخ من وزراء العراق في العهد الملكي، ولد بالسليمانية ١٨٨٠، تعلم فيها وفي بغداد، ثم انتقل إلى المدرسة الحربية بالأستانة ١٨٩٩، فتخرج ملازماً ثانياً ١٩٠٢ والتحق بمدرسة الأركان الحربية وتخرج برتبة رئيس ركن ١٩٠٤، بعدها عُيّن في الجيش السادس ببغداد، تدرج في المناصب حتى عين وزيراً للأشغال والمواصلات في ١٩٢٥، و وزيراً للدفاع في ١٩٢٩ ...، توفي في بغداد في تموز ١٩٤٨ ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه في السليمانية، وله عشرات من المؤلفات الهامة، للمزيد من التفاصيل عن حياته ينظر : د . محمد علي الصويركي، معجم أعلام الكرد في التاريخ الإسلامي والعصر الحديث في كردستان وخارجها، (السليمانية، ٢٠٠٥)، ص ٥٨٣ ـ ٥٨٥.

(6) محمد أمين زكي : خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ص ٢٩٦ . (المؤلف).

(7) المصدر السابق نفسه، ص ٤٣٢ . (المؤلف)

٢ـ الأقسام الأساسية للملية (حزارمل) هي :

١ـ الباشوات: وهم أسرة العبدي .

٢ـ خضركان:(يسمون ميلان﴿ملان﴾ كبير وإن كان عددهم صغير لأنّ أباهم هو العم الأكبر لكلش عبدي، حاول اغتصاب الزعامة منه بعد أن كان وصياً عليه، إلاّ أنّ الملية اقتصّت منه فطرد من الإمارة وقطن مع بعض أفراده نواحي عاموده منفصلاً عن تاريخ الملية)، ويسمون الآن بملية الخضر .

٣ـ كوران .

٤ـ كم نقش .

٥ـ جمكان .

٦ـ هاجكان .

٧ـ جبكان .

وجميع هؤلاء هم أحفاد لجد واحد يطلق عليه اسم(الباقمرية) وهم جذور قبائل الملية .

٨ـ دوكان .

٩ـ مندان .

١٠ـ ناصريان .

١١ـ شيخان .

١٢ـ صوركان .

١٣ـ محليان .

١٤ـ متينان .

١٥ـ سيدان .

١٦ـ جملدينان .

١٧ـ مشكوية

١٨ـ رشان .

١٩ـ بركمان

٢٠ـ ديوان .

٢١ـ تركهان .

٢٢ـ كجان .

٢٣ـ ايزولا .

٢٤ـ الطرن .
٢٥ـ حيدرا .
٢٦ـ دكرليه .
٢٧ـ بادليه .
٢٨ـ برازيه .
٢٩ـ خلجان .
٣٠ـ قره كيج .
٣١ـ اليزيدية (شرقيان والدنادية) .. الخ .

وهذا تعداد تقريبي وغير دقيق لأكبر العشائر الكردية المنتمية إلى الملية، وكانت هناك عشائر كردية أخرى تعتبر نفسها من الأرومة الملية وهي عشائر كبيرة جداً كعشائر /جبرا وحسنا / التي تعيش في المناطق الشمالية الكردية وكذلك عشائر قزلباش الكردية .

وكانت هناك عشائر عربية أيضاً تعتبر ملية، حيث إن العلاقة القوية بين هذه العشائر العربية وبين الباشوات تعود إلى أيام تيمور باشا، وأهم هذه العشائر هي :

١ـ جيس(بني قيس في تركيا) .
٢ـ العدوان: وكان شيخهم عقيداً للغزوات أيام إبراهيم باشا .
٣ـ العبرة .
٤ـ البكّارة: وقد نصب لهم إبراهيم باشا شيخاً من بيت البشير .
٥ـ البو شعبان .
٦ـ الشرابيون .
٧ـ حرب .

وبالنسبة لقبيلة شمر فقد انقسمت إلى قسمين:

١ـ العمشات والصايح والغداقة والعامود ـ فقد تحالف هؤلاءمع الباشوات ـ
٢ـ الخرصة ـ وكانوا ضد الباشوات ـ .

٣ـ جدول عشائر الملية :

لقد ثبت أمين زكي في كتابه خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ص (٣٩٨) جدولاً يبين عشائر الملية، وعلى الرغم من عدم دقة هذا الجدول وعدم شموله لكل العشائر الملية فإننا نثبته هنا لفائدته :

العشيرة	الملاحظات
الملي	اسم لعشيرة تعدادها(٣٠) أسرة وهي بمثابة (بشت مالة)أعني أن الرجال الذين يشملهم هذا الاسم هم أخصاء رئيس عشيرة الملي، وهناك أسماء الفرق والبطون التي خضعت للملية: وانا — خلجان سيدان — كالندان كيران — حاجي بيرام دوديكان — حسنكان مندان — سارتان كومان — توسياخان شرقيان — هوشينان علكوان — يسكي داش — جاجيمانلي مشنكلي
ميللي	ماتمية جميكان — كلياني باكوريان — جقالي جيارش — مرديي زبروفكان — عطركشي طاغباش — جانبك بوجاق — دريجان بتادان — بكليان تبركان ناصريان — كاوى جوان — قره كيج موليكان خاتون أوغلي عمرانلي حاجي بانلي ماخاني جهان بكلي

٤ـ حادثة ميلان﴿ملان﴾:

وردت قصة هذه الحادثة في كتاب الدكتور أحمد عثمان أبو بكر " أكراد الملي وإبراهيم باشا[*]، في صفحة / ١٤ /وما بعد"، نوردها هنا بحرفيتها وذلك لما لها من أهمية بالغة، حيث توضح هذه القصة السياسية اللا أخلاقية التي كانت تتبعها الحكومتان المستعمرتان لكردستان وهما : الحكومة التركية والفارسية، تجاه الأكراد، وكذلك توضح هذه القصة سذاجة التفكير السائد لدى بعض الأكراد عندما يتحالفون مع الآخرين ضد أبناء قومهم والمصير الذي ينتظرهم فيما بعد على أيدي حلفائهم أنفسهم .

رواية ميللنجن[*]:

عيّنت الحكومة العثمانية ميللنجن الإنكليزي قائداً لقوات (باش بوزق) في منطقة قوتر على الحدود التي كانت مثار خلاف مستحكم بين الدولتين الإيرانية والتركية خلال سنين طويلة وكذلك لأجل تقوية السيطرة الحكومية على القبائل الكردية الساكنة بين بحيرة وان والحدود مع إيران .

يقول ميللنجن في الفصل العاشر من كتابه:

كانت ميلان﴿ملان﴾ قبيلة اضطهدها حلف مؤلف من عدة عشائر معادية، وكانت هذه العشائر تريد طرد ميلان إلى ما وراء حدود إيران ولم ينقذ العشيرة سوى حضور

---

[*] كان الباحث التاريخي الدكتور احمد عثمان ابو بكر من اوائل الاشخاص الذين الفوا كتاباً عن الملليين ورئيسهم التاريخي ابراهيم باشا الملي في بداية السبعينات من القرن المنصرم، بالاعتماد على مصادر اجنبية، وفي مقدمتها روايات مارك سايكس وغيره من المستشرقين والرحالة الاوربيين الذين زاروا مضارب العشيرة واحتكوا بابناءها، لذا يعد المذكور اعلاه رائداً في مجال البحث في البنية الاجتماعية العشائرية الكوردية من بين المؤلفين الكورد في الفترة المعاصرة.

[*] هنا يورد المؤلف رواية لضابط انكليزي، هو الضابط ميللنجين، الذي كان على اطلاع واسع بالحوادث التي مرت على عشيرة الملي خلال فترة النصف الثاني من القرن التاسع عشر والاساليب الملتوية التي كانت تستخدمها الحكومات المتحكمة في مصير العشائر الكوردية بغية تفريقها وتمزيقها كي يسهل السيطرة عليها، وكون الرواية تأتي من شاهد عيان ومطلع عن كثب على مجريات الامور، فان الرواية تصلح لان تكون شهادة حية وحجة دامغة على ان الكورد كانوا دوماً ضحايا لسياسات كانت تعد في الكواليس بغية التخلص منهم وذلك بضربهم بعضهم البعض.

القوات التي كان يقودها هو فقام بمساعدة ميلان في وضعهم السيء بسبب احتلال القبائل الأخرى لمساكنهم، فآواهم مؤقتاً في القرى الواقعة في أطراف قوتر .

ويقول هو في الفصل الثاني عشر :

يجري الحديث دوماً حول المشاريع في تركيا ولكن يؤجل تنفيذها أبداً إلى أجلٍ غير مسمى، وكذلك يجري نفس الحديث عن المشاريع في كردستان والتي لا ترى النور عادةً، وكان أحمد أغا رئيس عشيرة موكورو يخطط مع رؤساء آخرين لتحطيم عشيرة ميلان.

ويروي ميللنجن تفاصيل الحادثة في الفصل الرابع عشر (الشكاك وميلان) :

بدأت رحلتنا من الشمال وأول قبيلة صادفناها كانت باموري التي تسكن على مقربة من شمزدين، وبعدها لاقينا عشيرة موكورو وهي العشيرة التي تلعب دوراً مهماً في تلك البلاد، ويقطن اتحاد عشائر الشكاك في منطقة أبعد إلى الجنوب وينقسم هذا الإتحاد إلى أربع طوائف..يترأس إحداها (كور عمر) الذي يقود قوة من ألف خيمة يحسب لها الحساب.

وكانت عشيرة ميلان تحتل منطقة ستمانيس الغنية. ولكون ميلان أصبحوا من أقوى عشائر المنطقة فقد أخذت العشائر الأخرى تشكل تحالفاً ضدهم ، وقد انعقد هذا الحلف سنة (١٨٦٠م) وكان هدفه الوحيد القضاء على الميلان قضاءً تاماً، وقد تألف الحلف من موكورو وشكاك وباموري، وكانت قوة المتحالفين الموحدة تبلغ ألفين وخمسمائة فارسٍ.

من ذلك فقد كان ميلان الذين لم تتجاوز قوتهم (١٦٠٠) فارس تحت رئاسة قائدهم(عمر آغا) يقاومون هذا الحلف، لذلك أضطر أعداؤهم إلى اللجوء إلى الحكومة وبهذا الهدف دخل (أحمد أغا) رئيس المتحالفين في مفاوضات مع إسماعيل باشا حاكم مدينة وان في ذلك الوقت، وقد لاقت هذه المكيدة القبول لدى السلطات في وان، لأنّ المسؤولين كانوا ينتهزون كل فرصة ممكنة لبذر الفرقة والخلاف بين القبائل فشعار (فرّق تسد) هو المبدأ القديم الذي كان يتبعه العثمانيون عادةً، وجرياً على هذه السياسة لم يكن هناك شيء يطمئن أطماعهم مثل رؤيتهم القبائل الكردية وهي تتنازع وتتقاتل.

ولغرض تنفيذ خطة تأليب العشائر بعضها على البعض الآخر ولأجل القضاء على نفوذ وقوة ميلان اتفق المتآمرون والسلطات الحكومية على أن يلعب حاكم وان دوره الكامل فيها، واقتضى دوره منه القيام برحلة تفتيشية بين القبائل لغرض فرض الضرائب ونظام التجنيد الإجباري فرضاً كاملاً عليها، وقد تحتم على جميع رؤساء

القبائل الحضور أمام الباشا وكان قراره يقضي بأن يتهم كل من يمتنع عن إطاعة هذه الأوامر والأحكام بتهمة التمرد والعصيان، وكانت خطة (أحمد أغا) وسائر المتآمرين هي أن يتظاهروا بالتمرد الوهمي على هذه الأوامر إذا وافقت عشيرة ميلان على تزعم وقيادة هذه الانتفاضة برئاسة (عمر أغا)، فقد كان المتآمرون على يقين بأن شهامة (عمر أغا) تجعله يقبل بهذا الاقتراح، وإنه سوف لن يتردد في قيادة حركة وطنية لمقاومة تجاوزات الباشا.

وبعد أن تعهد (عمر أغا) بهذا الشكل ينسحب الآخرون من هذا الحلف الخيالي ويسلمون أنفسهم للحكومة بدون شرط، وعندئذٍ يزحف الباشا بجيشه على عشيرة ميلان لأجل إقصائها عن الأراضي العثمانية ورميها في داخل حدود إيران.

وقد برّر نجاح الخطة تماماً توقعات الذين كانوا البادئين فيها، فقد ذهب الباشا إلى المحمودية، وهي المكان المخصص لذلك الاجتماع العام، ورفض الرؤساء اقتراحاته وقاموا بحركة تمرد مزيفة، وكان (عمر أغا) هو الوحيد الذي أخذها على مأخذ الجد، لكنه سرعان ما وجد نفسه وحيداً وقد تخلى عنه المتحالفون معه، عندئذٍ أخذ يعتمد على وسائله وقدرات عشيرته وحدها، ولم يضيع الباشا أقل وقت بل نفذ الحملة على ميلان بالتعاون مع حلفائهم المتآمرين عليهم، فهاجم في اليوم التالي، وقد تواجهت القوات المتخاصمة وكاد أن يقع الصدام لولا حنكة ودراية (عمر أغا) القدير الذي استطاع أن ينسحب أمام أعدائه المهاجمين عليه وكان يحاول هو الاعتصام بموقع قريب من الحدود حتى يتمكن من إرسال قطعان وأموال العشيرة إلى مكان آمن، بهذه الصورة استطاع أن يتفرغ للمعتدين، وقد بدأت العمليات بشكل منظم فأرسل هو أولاً عدة كتائب من الفرسان الذين افتتحوا المعركة بالتقدم على الجناحين وهم يحاربون بأسلحتهم النارية وأعقبت هذه الصدمة معركة بالسلاح الأبيض، وحارب الطرفان بشجاعة مستعملين رماحهم وسيوفهم، في هذه الأثناء حاول الشكاكيون في قيادة (كور عمر) أن يلتفوا على الجناح الأيسر لميلان لكن (عمر أغا) كان مستعداً لهذا، فأختار كوكبة من الفرسان وهاجم مباشرةً في القلب بسرعة البرق وشق صفوف ـ موكورو وباموري ـ وهذا ما جعل الشكاك وباشاوان أن يبحثوا عن سبيل للنجاة، فتراجعوا تاركين (عمر أغا) سيد المعركة الظافر، عندئذٍ استطاع الميلان أن يواصلوا زحفهم وينجحوا في عبور الحدود من دون مضايقة من جهة أعدائهم، وقد دلت هذه المعركة التي وقعت بين ميلان وخصومهم على مدى انتشار المعرفة الحربية بين هؤلاء الأكراد، فالفرسان يشكلون

القوة الكردية الرئيسية، وإن الصفات التي تميز قوة الفرسان الكردية هي قابلية الحركة السريعة والخفة والمرونة وتحمل ما لا يوصف من المشاق والتعب.

وبعد أن حط (عمر أغا) رحاله في أرض إيران قوبل في البداية بالترحاب من قبل السلطات وقدمت الهدايا والأسلحة الجميلة الطراز له ولرؤساء العشيرة، وقدم الشهزاده الإيراني وعوداً كثيرة..ولكنه كان يقصد من هذه المجاملات أن يعرف كمية الأموال التي كانت في حوزة ميلان، ولما لم تفد طرق الإقناع والاختبار مع (عمر أغا) لكشف أمواله ومجوهراته عمد الحاكم الإيراني إلى القوة، لكن (عمر أغا) لم يكن من ذلك الطراز الذين يسلمون بسرعة فأزداد طمع الحاكم حتى أنه أمر بتعذيب (عمر أغا) وعدد من أنصاره لحملهم على الكلام ولكن الأكراد تحملوا العذاب بثبات لا يلين، وفضلوا أن تسمل عيونهم على أن يحققوا رغبات هذا الطاغية، ثم قطع الحاكم رأس (عمر أغا) ورؤوس أنصاره.

وبعد مقتل عمر أصبحت ميلان فرائس في أيدي الموظفين الفرس فراح أفراد ميلان يتمنون العودة إلى ديارهم في تركيا، وقد عين في هذه الأثناء رسول باشا (وهو أخ محمد باشا راوندوزي أمير سوران الشهير) حاكماً لـ(وان)، وكان هذا الحاكم الكردي رحيماً كريماً، فتقدم ميلان إليه ملتمسين منه السماح لهم بالعودة إلى موطنهم الأول، فوافق رسول باشا مُرَحِّباً بهم، لكن ما أن اجتازت ميلان حدود تركيا حتى هاجمهم شكاك وموكورو والآخرون..ولكن برغم فداحة الخسائر التي لحقت بهم لم ترجع ميلان إلى الحدود مرة أخرى.

وفي هذه الأثناء ذهب ميللنجن بقواته إلى قوتر،ويقول كان هو وسائر قواته يتعاطفون مع ميلان بعمق لما لاقوه من الاضطهاد والتنكيل حتى إن أعداء ميلان أخذوا يخاصمونه فراحوا يسمونه (كرد فران ـ جلاد الأكراد).

كان رسول باشا ينوي القيام بحملة عامة لإعادة الأمن إلى المنطقة، وقد ذهب أحد الحكام (درويش بك) إلى مضارب ميلان لإنهاء الوضع المتوتر ولكنه أشغل نفسه بملء جيوبه من الأسلاب، فتدخل ميللنجن وعاون ميلان على استعادة البقية الباقية من ممتلكاتهم، وكان رسول باشا يعطف على ميلان ويستنكر أفعال سلفه .

كان ميلان﴿ملان﴾ يمتلكهم شعور عارم بالهوان وراحوا يطالبون بإعادة منطقة ستمانيس إليهم، فالتجأوا إلى السلاح مرة أخرى ووقع أفراد من الجانبين قتلى وجرحى، وسرعان ما ثارت انتفاضة من (وان) إلى ما وراء حدود إيران، فقد كان لميلان أصدقاء وروابط عدة فجاءت الكتائب المسلحة من ماكو وأنحاء تبريز وحتى من حدود روسيا،

واستعد الطرفان للحرب، إلاّ أن ميللنجن تدخل بقواته واصطدم أولاً بالشكاك الذين خسروا (٢٤) قتيلاً، ويقول هو أن ميلان كانوا مثار إعجاب الجميع، فقد أتوا ببطولات لا تحلم حتى القوات الأوربية الإتيان بمثلها، وقد حدثت المعارك في جول ـ جيمن وقرية انفيس، وكان فرسان ميلان أبطال الموقعة.

هذه هي حادثة ميلان﴿ملان﴾ وعلى الرغم من طرافتها إلاّ أنها تطفح بالعبر والدروس وتلقي أضواءً كاشفةً على سياسة المستعمرين تجاه الأكراد و وسائلهم الغريبة في إبقائهم مستعبدين وخاضعين لهم.

الفصل الثاني

(الباشوات قبل إبراهيم باشا)

١ـ لقب الباشوات
٢ـ أهم شخصيات الباشوات قبل إبراهيم باشا :
كلش عبدي .
بشار باشا
تيمور باشا
أيوب بك
تيماوي بك(تمر الصغير)

١ـ لقب الباشوات [*] :

يطلق على أجداد وأحفاد الأمير إبراهيم باشا لقب الباشوات، وذلك لكثرة تتالي الباشوات في هذه العائلة قبل إبراهيم باشا وخلال عدة قرون متتالية، حيث لم يعرف التاريخ الكردي عائلة استمرت في توليها الزعامة على مناطق واسعة من كردستان[*] وعلى امتداد مئات السنين، وفي مختلف الظروف كهذه العائلة فضلاً عن ذلك فإن عائلة الباشوات لم تهادن يوماً القوى التي حاولت السيطرة على كردستان، فقد انتفضوا تارةً ضد الفرس وتارةً ضد الأتراك وكان الهدف الأول هو الاستقلال عنهما[*]، وفي بعض الأحيان نجحوا في ذلك ولفترات طويلة (كما كان الحال حين أنشأوا إمارة في هكاري في بداية الغزو العثماني لكردستان وهذه الإمارة التي استمرت أكثر من مائتي عام قبل أن يقضي عليها الأتراك[*])، وفي بعض الأحيان لم ينجحوا وكان مصيرهم آنذاك القتل والاعتقال والتشريد .

وبسبب وضعهم هذا فإن الأكراد كانوا يبجلونهم تبجيلاً كبيراً وقد كونوا من حولهم وضعاً أسطورياً مهيباً، وتناولهم الفلكلور الشعبي الكردي[*] بمختلف أشكاله وصوره بالأناشيد والأغاني والمراثي التي تؤرخ لبطولات بعض الشخصيات وكرمهم، وكذلك لبعض الأزمات التي حلّت عليهم، كما إن قسماً كبيراً من الأكراد كانوا يعتبرونهم

---

* استعمل المؤلف مفردة الباشات في مؤلفه والأصح هو الباشوات وليس الباشات، فالثانية على اللهجة البدوية أكثر منها على الطريقة النحوية الصحيحة.

* مبالغة غير صحيحة، فمثلاً الأسرة البدرخانية حكمت منذ أواسط القرن الثالث عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر.

* عُرف عن زعيم العشيرة الأبرز إبراهيم باشا أنه كان قريباً جداً من السلطان عبد الحميد الثاني على الأقل وهذا ينفي ما ذهب إليه المؤلف.

* ليست هناك معلومات وإشارات تاريخية أنه كان للمليين إمارة في ذاك الوقت المبكر.

* وعن الفلكلور الشعبي لعشيرة الملي والاغاني التي ألفت عنهم، ينظر مثلاً: جريدة هاوار، العدد (٢٤ ـ ٢٥)، ص ١٦.

(بافي كرد) أي أبو الأكراد، وكذلك (ديركي كردستان) أي عامود كردستان* والخلاصة : إن عائلة الباشوات كانت سباقة في إعلان الانتفاضات والثورات ضد الفرس والأتراك منذ أكثر من خمسة قرون، وقد عدد أمين زكي في كتابه(تاريخ الكرد وكردستان) خمس ثورات كردية ضد الأجانب، كانت اثنتان من هذه الثورات من نصيب الباشوات هما ثورة تيمور باشا وثورة إبراهيم باشا.

وقد سها أمين زكي عن ثورة ثالثة للباشوات هي أعظم الثورات وهي ثورة بشار باشا الجد الأكبر لإبراهيم باشا .

٢ـ أهم شخصيات الباشوات قبل إبراهيم باشا :

١)**كلش عبدي** : بعد أن قضى الأتراك على إمارة الباشوات في هكاري* وتشتت شملهم لجأ كلش عبدي إلى الجبال المحيطة بأورفا وجمع حوله عدداً كبيراً من الأكراد ثم بدأ بالتعرض للقوافل الحكومية المتجهة من أروفا إلى الشرق وكذلك القوافل القادمة إليها، وبعد أن استفحل أمره وذاع صيته بين الناس حاولت الحكومة العثمانية القضاء عليه ولكن دون جدوى، وبسرعة امتدت منطقة نفوذه لتشمل مناطق واسعة تمتد بين ديار بكر وأورفا وسويراك، وفي أحد الأيام أسر رجاله مفتشاً حكومياً مع زوجته كان قادماً من الأستانة لتفقد أحوال المنطقة، وعندما قابله كلش عبدي، أُعجب به المفتش كثيراً وقال له : (إن والي أورفا قد صورك لي كقاطع طريق ومتوحش جبلي ولكن حسن استقبالك ومعاملتك الجيدة لي دلت على عكس ذلك).

وبعد أن فكَّ كلش عبدي أسره وعاد المفتش إلى الأستانة أبلغ الباب العالي بأن الحاكم الفعلي للمنطقة هو كلش عبدي وليس والي أورفا المعين من قبل السلطة العثمانية وأنه من الأفضل للدولة أن تكسب ودَّه وترضيه لأن ذلك سيساعد على استتباب الأمن في المنطقة، حيث إن الدولة عاجزة عن فرض إرادتها على كلش عبدي بالقوة العسكرية، وبالفعل أصدرت السلطة

---

* لم يعرف أن احداً من الكورد اعتبر الملية، أبا الكورد، فهي كانت ولا تزال عشيرة كوردية كبيرة كغيرها من العشائر الكوردية الأخرى.

* لم يعرف أنه كان للملية إمارة في هكاري، ويجوز أن العشيرة كانت قد انحدرت من تلك المنطقة في اول عهدها وأنها تعد منطقة هكاري الموطن الأصلي لها قبل نزوحها.

العثمانية أمراً عيّنت بموجبه كلش عبدي والياً على أورفا ومنحته لقب (الباشوية) * وخلعت والي أورفا السابق، وبذلك استطاع كلش عبدي أن يفرض نفسه على السلطة العثمانية وأخذ يعمل من خلال مركزه الجديد على توطيد نفوذه ونفوذ عائلته وأتباعه في المنطقة ويعد العدة للتمكن من التحرر من الأتراك وسيطرتهم * .

٢) **بشار باشا** * : هو حفيد كلش باشا حاول السير على خطى جده ومتابعة مد نفوذه وسلطته، ونجح في ذلك فأصبحت أقسام واسعة من الأناضول تحت سيطرته، اشتهر بالحزم والعدل ويعتبر أقوى أمير ظهر في عائلة الباشوات وأكثرهم طموحاً، فإذا كان بقية الأمراء من الباشوات يسعون إلى الاستقلال عن السلطة العثمانية وتأسيس إمارة أو مملكة كردية مستقلة إلاّ أنّ بشار باشا كان يسعى إلى تقويض دعائم السلطنة العثمانية ذاتها وتنصيب نفسه سلطاناً بدلاً عن السلطان العثماني.

خاض معارك كثيرة ضد الأتراك وانتصر في معظمها حيث ألحق خسائر فادحة بهم وحرَّرَ مناطق واسعة وسيطر على مناطق واسعة يسكنها الأتراك ولكن وبسبب عوامل متعددة ولجوء السلطة العثمانية إلى الحيلة والخداع تمكنت من إلقاء القبض عليه في مدينة قونية وأعدم هناك على(الخازوق) * ليكون عبرةً لغيره ومن الجدير بالذكر أن تنفيذ الإعدام بهذا الأسلوب كان يتم فقط للأشخاص الذين سببوا ضيقاً وإزعاجاً شديدين للسلطة العثمانية.

---

* للأسف إن المؤلف لا يورد معلومات كافية عن شخصية كلش عبدي باعتباره أول شخصية بارزة في الأسرة الحاكمة الملية، وعن كيفية حصوله على رتبة الباشوية وعلى يد أي سلطان عثماني.

* كيف يرضى أن يخدم العثمانيين وأن يأتمر بأوامرهم ثم يفكر أن يتمرد عليهم وهو الذي كان متمرداً أصلاً عليهم !!؟

* لم يذكر المؤلف من كان والده، ولا الفترة الزمنية التي ظهر فيها .

* عقوبة الخازوق : هي وسيلة إعدام وتعذيب في الوقت ذاته، تمثل إحدى أشنع وسائل الإعدام، حيث يتم اختراق جسد الضحية بعصا طويلة من ناحية وإخراجها من الناحية الأخرى، يتم إدخال الخازوق من فم الضحية احياناً، وفي الأعم الأغلب من الشرج بعدها يتم تثبيت الخازوق في الأرض ويترك الضحية معلقاً حتى الموت، وفي معظم الأحيان يتم إدخال الخازوق بطريقة تمنع الموت الفوري وبالتالي إطالة معاناة الضحية لأطول فترة ممكنة تصل إلى عدة ساعات، وبعد دخول العثمانيين إلى مصر تم استخدام الخازوق على نطاق واسع وكانت الدولة تدفع مكافآت للجلاد الماهر الذي يستطيع أن يطيل عمر الضحية لتصل إلى يوم كامل، الماركيز، الخازوق، www. Tomaar . net, 2007

٣) **تيمور باشا:** ولد عام(١٧٧٠م) ولقب بـ(زنكي زيـرين) أي ذي الكعـب الـذهبي، امتدت منطقة نفوذه لتشمل جميع أنحاء كردسـتان الـشمالية كـأمير مطلـق الـصلاحية وشملت منطقة نفوذه أيضاً جنوب سوريا وترك آثاراً تدل على ذلك في مدينـة الزرقـاء في الأردن ولا زالت تذكر باسمه حتى الآن .

قاد حملة عسكرية مؤلفة من الأكراد ضد نابليون بونـابرت عنـدما حاصـر مدينـة عكا بقيادة واليها أحمد باشا الجزار (الكردي الأصل) وكانت حملته تضم أكثر مـن سـتين ألف مقاتل كردي* واستطاع أن يحاصر بدوره قوات نابليون، وكانت لحملته الأثر الحاسـم في اندحار قوات نـابليون* وتراجعها عـن متابعـة سيرها بـراً باتجاه فرنـسا وعودتها إلى مصر منهارة المعنويات بعـد أن خـسرت أكثـر مـن أربعـة آلاف جنـدي فرنـسي، بعـد هـذه الحملة عاد إلى منطقة سويراك قبل ثورته على الأتراك، خاض حروباً كبيرة ضـد بعـض القبائل العربية كقبيلة العبيد في العراق والموالي في سوريا وفي إحدى غزواته ضـد العبيـد

---

* أمرٌ فيه الكثير من المبالغة، حيث كان من الصعوبة بمكان أن يتمكن قائد عشائري في تلك الفترة من جمع مثل ذاك العدد الكبير من الجيش وأن يقودهم إلى منطقة بعيدة مثل عكا. وعن علاقة الكورد بالجزار، يذكر مصدر تاريخي هو عبارة عن مخطوط لشاهد عيان أن السلطان العثماني سليم الثالث (١٧٨٩ ـ ١٨٠٧) عندما أراد أن يتخلص من الأخير جمع جيشاً وقام بتوجيهه إلى عكا، إلاّ أن واليها الجزار تمكن من التخلص من الخطر المحدق به، عندما تمكن من استمالة احد قادة الكورد البارزين وهو إسماعيل الكوردي، وانه وبسبب تراجع الكورد عن دعم السلطان سليم الثالث، فإنه فشل في احتلال عكا وإلقاء القبض على واليها، للمزيد من التفاصيل ينظر تاريخ بلاد الشام في القرن التاسع عشر، دراسة وتحقيق د. سهيل الزكار، (دمشق،٢٠٠٦)، ص٩٩

* سار نابليون بونابرت في أوائل شباط ١٧٩٩ من القاهرة واحتل غزة في ٢٥ شباط وفي ١٣ آذار جاء إلى يافا وقتل الكثير من العثمانيين هناك لإرهاب السكان المحليين وللإستيلاء على سوريا دون مقاومة، وفي ١٩ آذار جاء أمام عكا وكانت أقوى قلعة محصنة، وكان واليها جزار احمد باشا، وفي ٧ آيار ١٧٩٩ جاءه الإمداد من استانبول مؤلف من (٣٠٠٠) جندي، مما جعل وضع الفرنسيين في خطر، حيث كان نابليون قد ترك عدة آلاف من جنده في القاهرة، وعلى أثر فشله في عكا علم بقيام عصيان في القاهرة وانسحب منها وقال: ((لولا أن وقفت عكا في طريقي لأستوليت على الشرق برمته))، يلماز اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ت: عدنان محمود سلمان، مراجعة: د. محمود الأنصاري، (تركيا، ١٩٨٨)، ص٦٥.

أحضر أعمدة بيت شيخهم عبد الله الشاوي إلى منطقة سويراك واستخدم هذه الأعمدة في بناء طاحونة آثارها لا زالت موجودة*.

بعد أن أعدّ جيشه الإعداد المناسب أعلن الثورة على الأتراك وطالب باستقلال كافة المناطق الكردية عن الدولة العثمانية واستمرت هذه الثورة سبع سنوات تكبدت فيها السلطات العثمانية خسائر فادحة مما اضطرّت معها إلى الاعتراف باستقلاله واقتطعته كافة المناطق التي كانت تحت سيطرته ومنحته لقب أمير أمراء كردستان* وقلدته الوشاح الممتاز الذي حازه خديوي مصر والصدر الأعظم وبعده حفيده إبراهيم باشا، إلاّ أن الدولة العثمانية كانت تتحين الفرص للقضاء على إمارة تيمور باشا فقررت تعيين سليمان باشا الكبير والي بغداد قائداً عاماً للجيوش الزاحفة ضده سنة (١٧٩١م) وقد ضم الوالي إلى جيوشه الألوف من الفرسان غير النظاميين من الأكراد وغيرهم منهم قوات كوسة مصطفى باشا والي حلب وأزون إبراهيم باشا والي الرقة وعمر باشا متصرف ملطية، وزحفت هذه القوات بقيادة سليمان باشا على ماردين

---

* وطدت عشيرة العبيد موقع قوتها بالسيطرة على العشائر العربية الأضعف منها الجبور وطي، وخدمت الأسرة الشاوية التي قدمت الرؤساء لعشيرة العبيد، بعد ذلك باشوات بغداد وبصفة جنود ومستشارين وسياسيين، وكان ذاك التدخل الوثيق في شؤون الولاية كثيراً ما ترك آل الشاوي ورجال عشيرة العبيد في الجهة الخاسرة في منازعات السلطة في البلاد، وفي سنة ١٨٠٠ كان محمد بك الشاوي يشغل منصب (باب العرب) في عهد سليمان باشا وكان منصبه ذاك قد جعل منه الوكيل في بلاط الباشا عن شيوخ جميع العشائر التابعة للولاية، وفي ١٧٩٩ اعتقل علي باشا كل من محمد بك الشاوي وأخاه الأصغر عبد العزيز بك وأعدمهما فوراً ، فخاف جاسم بن محمد بك على حياته ففر مع رجال عشيرته العبيد نحو نهر الخابور وانضمت شمر إلى علي باشا في حملتين خاسرتين ضد ثوار العبيد ١٨٠٣ وبعد سنتين في ١٨٠٥ قامت قوة حكومية كبيرة بضمنها مساعدون من شمر بإمرة فارس الجربا لدحر عشيرة العبيد نهائياً في ملتقى نهري الخابور والفرات وبذلك ضعفت عشيرة العبيد عسكرياً فعبرت نهر دجلة وتوطنت بين الزاب ونهر ديالى، للتفاصيل ينظر: جون فريدريك وليامسون، قبيلة شمر العربية مكانتها وتاريخها السياسي ١٨٠٠ ـ ١٩٥٨، ت : مير بصري، (لندن، ١٩٩٩)، ص ٥٥ ـ ٥٦ .

* ومما له دلالته ويلقي الضوء على المكانة المرموقة التي وصل إليها تيمور باشا أن مفتي ماردين الشيخ عبد السلام والذي كان معاصراً للأول، وصف تيمور باشا بأنه كان (سلطان البر) وأنه كانت له اليد الطولى في التدخل بشؤون مدينة ماردين وغيرها واستطاع أن، يكون من أصحاب النفوذ فيها، للمزيد من التفاصيل ينظر: مفتي ماردين الشيخ عبد السلام المارديني، تاريخ ماردين من كتاب (أم العبر)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، تحسين إبراهيم الدوسكي، (دهوك، ٢٠٠٢)، ص ١٠٢.

وواجه بها تيمور باشا الذي عجز عن مغالبة ومقاومة هذه الجيوش الجرارة، فأخلى هو قلعة موك، بعد ذلك أخذ سليمان باشا يقمع الانتفاضة بقسوة ويعاقب عشائر الملي، وأعدم أكبر رؤسائهم وقادتهم منهم (سعدون بك) أخ تيمور باشا و(محمود بك) ابن عمه وعين (إبراهيم بك) أخا تيمور رئيساً أعلى للعشائر المليـة وعزل حاكم ماردين من منصبه [٨] .

عند ذلك قرر تيمور باشا الذهاب إلى سليمان بك أمير قبيلة العبيد العربية طالباً مساعدته ضد العثمانيين أعداء العرب والأكراد معاً، وعلى الرغم من الخصومات السابقة بين تيمور باشا وأمير العبيد إلاّ أنّ أمير العبيد هبّ مباشرةً لمساعدته حيث أبقى تيمور باشا في ضيافته وسافر إلى بغداد فقابل واليها وأنذره بأن القبائل العربية والكردية قد قررت العمل معاً ضد السلطة العثمانية في حال عدم العفو عن تيمور باشا وهنا اضطر والي بغداد إلى رفع كتاب إلى الباب العالي شارحاً الموقف الحي للسلطة العثمانية ومطالباً إياها بإصدار عفو عام عن تيمور باشا، وبالفعل أصدر الباب العالي فرماناً يقضي بالعفو عن تيمور باشا كما أصدرت فرماناً آخر قضى بتسمية تيمور باشا والياً على أورفا وملاطية سنة (١٨٠٠م) *، ومن جديد بدأ بتجهيز نفسه مرةً أخرى وأخذ يتحين الفرص وينتظر الظروف المناسبة لإعلان ثورة أخرى ضد السلطة العثمانية فأعاد قلعة موك من جديد، وهذه القلعة لا زالت قائمة حتى الآن ومعروفة باسمه، إلاّ أن الدولة العثمانية شعرت بخطره المتزايد وخشيت من إبقائه في هذه المنطقة فأعلنت تسميته والياً على سيواس سنة(١٨٠٢م) وثم والياً على الرقة وبقي في منصبه إلى أن توفي، وما يزال قسم من الأكراد الذين قدموا معه إلى الرقة يقيمون فيها

---

(8) د. أحمد عثمان أبو بكر : أكراد الملي وإبراهيم باشا، ص٣٢ .(المؤلف)

* يذكر شاهد عيان هو مفتي ماردين والذي كان بحكم وظيفته يراقب الأحداث عن كثب بخصوص الحادثة ما يلي: ((جاء سليمان باشا والي بغداد إلى ماردين وضرب خيامه بحزرم في شهر شوال وأقام أربعة أشهر بنواحي ماردين، والسبب في مجيئه أنه أتى بأمر السلطان لتأديب تيمور آغا الملي، وبقدومه انهزم تيمور آغا إلى سنجار ثم توجه بعد سنين إلى بغداد، ففرح بقدومه سليمان باشا وأرسل يطلب العفو والوزارة له من السلطان فأنعم السلطان عليه وزارة الرها فتوجه تيمور باشا إلى الرها سنة ١٢١٥هـ ، ولم يتيسر له الدخول ومنعه أهلها عن الدخول إلى ان نسخ السلطان ذكره عن الوزارة))، نقلاً عن: مفتي ماردين الشيخ عبد السلام الماردييني، المصدر السابق، ص ١٠٧ .

وكانوا يسمون بـ (القول) وهم من فخذ (كم نقش) الملية ومنهم (الخلف والقاسم والجدوع والملة).

وكان للأمير تيمور باشا شقيقاً من غير أمه أنجب ذرية تقطن حالياً في تركيا في مناطق ويران شهر وسويراك وأورفا وتضم هذه الذرية كل من العائلات المعروفة بـ(العمر والحمده والعيسى اليوسف والأغوات) أي أحفاد سعدون بك .

ومن الجدير بالذكر أن تيمور باشا كان له قواس، وإن كلمة قواس تعني خادم مراسم شرف كان يمشي أمامه في جميع زياراته الرسمية وكان يحمل في يده عصا مرصعة بالذهب، وإن القواس بالأصل كان شرابياً ومنه أتوا الشرابيون المسمَّون بالقواويس وهم حالياً في رأس العين، وباختصار فإن القواس كان يشبه إلى حد كبير دور مدير المراسم في الوقت الحاضر، وكان من عادة تيمور باشا أن يسير أمامه في الغزوات مجموعات استطلاعية لتحديد قوة العدو وأماكن توزعه..الخ، وقد عُرفت هذه المجموعات باسم (طرن تيمور باشا) ولا زال قسم من هؤلاء يُعرفون بهذا الاسم (طرن) حتى يومنا هذا .

تيمور باشا وعبد الله الفاضل شيخ الحسنة(ساري) :

تقطن عشائر الحسنة منطقة حمص، وتعتبر من أكبر العشائر العربية هناك، وقد أُصيب أبن شيخهم بمرض الجدري فتخلت عنه عشيرته وأهله ـ وذلك جرياً على عادة تلك الأيام ـ وتركوه في الصحراء وحيداً يواجه مصيره المحتوم، وقد عثر عليه جماعة من ﴿الغجر﴾ الرحل فأسعفوه وهو في حالة يرثى لها وأتوا به إلى مضارب تيمور باشا لمعالجته، ويبدو إنه كان مخيماً بمنطقة قريبة منهم آنذاك، وبعد أن شفي من مرضه لم يخبر أحداً بأصله وقصته، حيث عمل في خيمة تيمور باشا صانعاً للقهوة المرة ولفترة طويلة جداً وباعتباره شاعراً كان ينشد الشعر في الليالي وبعد أن تخلو الخيمة من الضيوف ما عدا الخدم، وفي شعره كان يستذكر أهله ومكانتهم الرفيعة وكرمهم حتى إنه كان يقارن كبر حجم الأواني التي يصنع أهله الطعام فيها للضيوف مع صغر حجم الأواني الموجودة في خيمة تيمور باشا، فلما سمع الخدم هذه القصائد من عبد الله الفاضل عدة مرات أخبروا تيمور باشا بما سمعوه من صانع القهوة فأرسل تيمور باشا في طلبه وقال له : (إذا لم تخبرني بحقيقة أمرك فسأقطع راسك).

عندها أضطر لقول الحقيقة، فغضب تيمور باشا وعاتبه على عدم تعريفه بنفسه منذ البداية وأمر على الفور بتجهيز بيت من الشعر خاص له وأعطاه قطيعاً من الأغنام والخيول وأرسل معه خمسين فارساً أوصلوه إلى مضارب قبيلته معززاً مكرماً.

وقد عرض التلفزيون العربي السوري مسلسلاً عن حياة هذا الشاعر وقصته بعنوان (ساري)(*).

علاقة تيمور باشا مع القبائل الكردية الشمالية:

كانت علاقة تيمور باشا مع القبائل الكردية قويةً جداً وذلك بحكم الجوار والقرابة وقد كان تيمور باشا يقوم بزيارات متواصلة لهذه القبائل، ومن أهم هذه الزيارات الزيارة التي قام بها لكبير الشكاك سمكو خان* وكان برفقته سبعمائة خيّال حيث مكث عنده عشرة أيام وعندما بدأ يستعد للرحيل قال له سمكو خان : (يا باشا إني لا أعرف ماذا أهديك فإنك تملك من المال والجاه ما يكفي العالم كله ولكني أهديك هذا الحصان الأبيض ذو السرج والرشمة والركابة المصنوعة من الذهب الخالص لنقول عنك " تمر باشا زنكي زيرين كوردستان" أي تمر باشا أبو ركابات ذهب عامود كردستان، ومن يومها سمي تيمور باشا بهذا اللقب.

زواج تيمور باشا: كان زواج تيمور باشا قد تم بناءً على حادثة مشهورة حيث إن تيمور باشا وفي إحدى رحلاته التي اعتاد على القيام بها صادف في طريقه أفراد عشيرة متنقلة ولفت انتباهه في هذه المجموعة من الأفراد امرأة تحمل كبشاً كبيراً من الغنم على ظهرها وتغزل في يديها، وكانت امرأة على قدر كبير من الجمال والقوة، فسأل عنها وعرف

(*) عرض المسلسل في فترة الثمانينات واللافت للامر ان بطل المسلسل كان ممثلاً من اصول كوردية هو الفنان طلحت حمدي المعروف بـ(ابو هەڤال)، وكعادة الاعلام السوري الرسمي، لم يتم الاشارة الى القصة الحقيقية، بل تم نسبها الى احد شيوخ القبائل العربية، وهذا امر طبيعي من التلفزيون السوري الذي كان ولايزال يتجاهل وجود القومية الثانية في البلاد، وكأن الكورد وعشائرهم غير موجودون اصلاً في سوريا البتة.

* إذا كان يقصد الزعيم الكوردي سمكو شكاك، فالمعروف أن هناك مدة تاريخية كبيرة تفصل بين الرجلين.

أنها تدعى (هوني) خاتون الزركية وهي ابنة كبير الزركية فأعجب بها وتزوجها حيث إنها أنجبت منه ولدين هما أيوب ومحمود، حيث إن أيوب لم يرزق بأبناء أما محمود فقد رُزق بأولاد كثيرين، ونحن الباشوات نُعتبر من ذرية هذا الشخص.

٤) **أيوب بك:** في عهد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ ـ ١٨٣٩م) لم يكن للسلطة العثمانية أي نفوذ فعلي على جنوب الإمبراطورية بل كان يحكم هذه البلاد ثلاثة أمراء، اثنان منهم أكراد والثالث عربي وهم:

أ ـ الأمير أيوب بك(الجد الأكبر لإبراهيم باشا) * وكان يحكم المنطقة الممتدة بين بحيرة بنغول وجبل سنجار.

ب ـ وكان محمد باشا راوندوزي سيد البلدان الممتدة بين الموصل والحدود الشرقية للإمبراطورية .

جـ ـ أما الشيخ صفوك (شيخ شمر) * فكان يحكم المراعي الجنوبية .

وكان هؤلاء الثلاثة يحكم كل واحد منهم منطقته دون الالتفات إلى رغبات السلطة العثمانية وأوامرها، وفي مراتٍ كثيرة خاضوا حروباً مع السلطة العثمانية وهزموا قواتها واستطاعوا توسيع حدود إمارتهم، وبعد أن استفحل أمر هؤلاء الثلاثة ولم يعد بإمكان الأتراك تحمل تصرفاتهم أكثر من ذلك، لأن التغاضي عنهم يعني الاعتراف باستقلالهم وهذا غير وارد في عرف الأتراك، لذلك جهزت السلطة العثمانية

---

* يذكر مفتي ماردين أيوب بن تيمور باشا بهذا الأسم: (أيوب بك بن تيمور باشا اسكان باش أورفا) وعن دوره ومكانته يقول: ((إنه العمدة في العشائر والقبائل))، مفتي ماردين الشيخ عبد السلام ماردیني، المصدر السابق، ص ١٣٨.

* هو الشيخ صفوك بن فارس نجل فارس الجربا، عرفت قبيلته العربية شمر المجد على يديه نتيجة الشجاعة والفصاحة المقرونتان بالبسالة الحربية، واستطاع النجاح خلال ثلاثين سنة ويمكن تقسيم عهده إلى مرحلتين الأولى (١٨١٨ـ ١٨٣٠) تنافس فيها مع داوود باشا للسيطرة على الجزيرة، وبعد خلع الأخير ١٨٣٠ دخل في المرحلة الثانية خلال ١٧ سنة التالية تفادى خلالها هجمات الولاة العثمانيين، جون فريدريك وليامسون، المصدر السابق، ص ٦٧.

حملة عسكرية كبيرة ضدهم بقيادة رشيد باشا* وبعد حروب طويلة استطاع رشيد باشا إلقاء القبض على محمد راوندوزي* ثم قتله، كما استطاع من إلقاء القبض على كل من أيوب بك والشيخ صفوك* حيث نقلا إلى ديار بكر وسجنا هناك وبقيا في السجن حتى توفيا فيه .

وبذلك استطاعت السلطة العثمانية إعادة فرض نفوذها على هذه المناطق مرةً أخرى*، ومن الجدير بالذكر أن أيوب باشا لم ينجب ذرية فاستلم قيادة الإمارة من بعده الأمير تيمور الملقب بـ(تيماوى بك) حفيد تيمور باشا .

---

* على أثر انتصار الجيش المصري على الإمبراطورية العثمانية سنة ١٨٣٢، شنت جيوش السلطان محمود الثاني حملات عسكرية مباشرة على الحكام المستقلين الذين رفضوا دعم جهوده العسكرية، فوالي الموصل كوالي بغداد قبل خمس سنوات، كان قد وضع تحت السيطرة الإدارية العثمانية المباشرة ١٨٣٥ حين حل محمد باشا اينجه بيرقدار محل الأسرة الجليلية، وحدثت تغييرات جسيمة أخرى حيث خرج رشيد باشا الصدر الأعظم السابق من دياربكر على رأس قوة ١٨٣٥ وتحرك نحو ماردين وضرب المدينة، ثم مضى جنوباً إلى الجزيرة، وكجزء من الحملات على الحكام المستقلين أغرى رشيد باشا الشيخ صفوك بالقدوم إلى معسكره بوعد الأمان واعتقله مع ولده الشاب فرحان، المصدر نفسه، ص ٩٣ ـ ٩٤.

* للتفاصيل حول حركة ونهاية الأمير محمد باشا الراوندوزي ينظر : جمال نه به ز: الأمير الكردي مير محمد الرواندوزي الملقب بميرى گەوره، ت: فخري سلاحشور، (اربيل، ٢٠٠٣).

* معلومات المؤلف خاطئة على الأقل بخصوص مقتل صفوك زعيم قبيلة شمر، لأنه وفي أواخر تشرين الأول ١٨٤٧ غادرت بغداد مفرزة عثمانية بقيادة كنج آغا، وقابلت صفوك في مخيمه على بعد ساعات قليلة خارج العاصمة، وتحركت القوة نحو الجنوب وقد بدأ كل شيء عادياً، حين تقدم الشخص المطلوب إلى بُعد مسافة ملائمة للضرب، وقد اتحد فرحان بأبيه وقاد مفرزة من محاربة شمر إلى المعركة بينما بقي صفوك في المؤخرة بحماية حرسه الخاص، وهنا حصلت الفرصة لكنج آغا لتنفيذ أوامر القائد العثماني نجيب باشا السرية وبإشارة متفق عليها سلفاً قام جندي عثماني بإطلاق النار على صفوك في ظهره وقطع رأسه، ولما علم فرحان بموت أبيه هرب إلى عشيرة عنزة وطلب حمايتها الآنية، جون فريدريك وليامسون، المصدر السابق، ص ١٠٩.

* يشير مفتي ماردين الشيخ عبد السلام المارديني، إلى أن القائد العثماني رشيد باشا كان قد استطاع إلقاء القبض على كل من (أمراء السليفية، الزازا، وعلى أيوب بك بن تيمور باشا الملي، وعلى صفوك شيخ العرب الشمر، وأيوب السركجي وحمو الدنبلي)، ينظر إلى كتابه، المصدر السابق، ص ١٥٥.

٥) **تيماوى بك** (تمر الصغير): أشعل تيماوى بك ثورة جديدة ضد العثمانيين في محاولة أخرى للاستقلال عنهم، وقد تزامنت ثورته مع وصول قوات إبراهيم باشا ابن محمد علي الكبير والي مصر إلى منطقة الأناضول وهي تحارب قوات السلطان العثماني وتدحرها وهي في طريقها إلى عاصمة السلطنة* وهنا تحالف تيماوى بك مع إبراهيم باشا المصري ضد السلطنة العثمانية لأنّ عدوهما كان واحداً فزحف تيماوى بك على الجيوش العثمانية المرابطة في ماردين لكي يمنعها من الالتحاق بالقوة الرئيسية التي كانت تزحف من ملطية باتجاه ماردين* إلاّ أنّ تيماوى بك قتل في مناوشة بعد فترة قصيرة، ثم بدأ انسحاب المصريين وعودة السلطة العثمانية إلى البلاد، حيث أدّت إلى إصابة الأكراد المليين بشقاء ومجاعة كبيرين، ولم يكن هناك أحد يقودهم ويأخذ بناحرهم فأخذوا يتنازعون فيما بينهم ويتعرضون على الدوام إلى النهب، وبقيت الحالة على هذه الصورة لفترة من الزمن إلى أن كبر محمود بك والد إبراهيم باشا

---

* يبدو أن علاقات إبراهيم باشا بن محمد علي باشا والي مصر، كانت متفاوتة مع الشخصيات الكوردية المتنفذة في بلاد الشام، ولم تكن على السوية نفسها، فما أن عينت الدولة العثمانية الكوردي علو باشا والياً على الشام خلفاً لواليها الأول، وما أن بلغه خبر تقدم إبراهيم باشا إليه حتى جمع جيشاً من المقاتلين وخرج بمقدمتهم إلى خارج المدينة ولما أشرف إبراهيم باشا استكشف عددهم وقوتهم فاطلع على مركز الفرسان الكورد ومركز رجال دمشق، فأمر فرسان العرب على مقاتلة الكورد، وبقية الجند حوله لمقاتلة رجال الشام، ويذكر شاهد عيان أن الكورد قاتلوا قتال الشجعان ولكنهم انهزموا بسبب تفوق الجيش المصري عليهم وأن الوالي علو باشا قرر الفرار،وما كان من إبراهيم باشا إلاّ أن عين الكوردي الآخر والياً على الشام هو احمد بك ربيب كورد يوسف باشا، ويمكن الإستنتاج أن الكورد كانوا قوة كبرى في ولاية الشام في تلك الفترة بدليل أن العثمانيين اختاروا كوردياً لتولي الولاية وأن إبراهيم باشا المصري والذي آلت إليه الأمور فيما بعد، آثر أن يعين هو الآخر كوردياً لتولي الولاية، تاريخ بلاد الشام في القرن التاسع عشر، المصدر السابق، ص ١٦٣ ـ ١٦٤.

ويذكر الدكتور عبد الكريم غرايبة " أن الكورد كانوا يشكلون قوة عسكرية كبيرة في تلك الفترة في الشام "، ينظر كتابه : المصدر السابق، ص ٥١ .

* من المهم أن نشير أن مستشرقاً بارزاً هو (ب . لرخ) الروسي، اشار إلى أن جيش إبراهيم باشا المصري كان يعتمد في تموينه خلال الحرب السورية على خراف كوردستان، ينظر كتابه: دراسات حول الكورد الإيرانيين وأسلافهم الكلدانيين الشماليين، ت: د. عبدي حاجي، منشورات سبيريز، (دهوك، ٢٠٠٨)، ص ٣٠ .

وأصبح رئيساً للقبيلة إلاّ أنّ القبيلة كانت على حالة من البؤس والضعف بذلك الوقت بحيث لم يستطع محمود بك فعل أي شيء يذكر إلاّ أنه استطاع إبعاد البدو وجمع شمل قبيلته في ويران شهر .

ولم تمض إلاّ بضع سنين حتى حقق ثروة وجاهاً كبيرين إلاّ انّ عمر باشا حاكم ماردين سحق هذه النجاحات بسرعة واعتقل محمود بك وأحرق قلعته[٩] .

وكان إبراهيم باشا يومها شاباً يافعاً .

(9) المصدر السابق نفسه ، ص٣٢ . (المؤلف)

الفصل الثالث

(الأمير إبراهيم باشا)

١ـ حياته
٢ـ صفاته وثقافته
٣ـ في صعوده إلى الشهرة
٤ـ علاقته مع السلطة العثمانية
أ ـ العلاقة مع السلاطين
ب ـ العلاقة مع الاتحاديين
٥ـ علاقته مع العشائر الأخرى(غير المليّة)
٦ـ صلاته بالأجانب
٧ـ علاقته مع المسيحيين
٨ـ عاصمة إبراهيم باشا
٩ـ ثروة إبراهيم باشا
١٠ـ سجن إبراهيم باشا
١١ـ المستشار الخاص للباشا

١ـ حياته : ولد الأمير إبراهيم باشا عام(١٨٤٥م) وتوفي عام (١٩٠٨م) وهو سليل عائلة كردية عريقة تمتد جذورها إلى أعماق التاريخ الكردي، تحمّلَ المسؤوليات الجسام منذ بداية حياته عندما كان في الرابعة عشرة من عمره بسبب اعتقال والده محمود بك من قبل السلطات التركية واستمر في ذلك حتى آخر لحظة من حياته، حيث لم يعرف الهدوء والسكينة وراحة البال بل على العكس كانت حياته كلها رحلات وحروب وصراعات وفعاليات اجتماعية واقتصادية متنوعة وكل ذلك إن دلَّ على شيء فإنما يدل على سعي هذا الأمير الكردي إلى تحقيق شيء غير عادي في حياة أمته وشعبه(*)، وقد لاحظ السير مارك سايكس ذلك فقال عنه : ((كان إبراهيم باشا شخصية عجيبة حقاً فكان بلا شك قائداً طبيعياً للرجال يمتاز بمقدرة عجيبة على ضبط النفس كما هي صفات أولئك الرجال الذين اختبروا الجوانب الأكثر قسوةً واضطراباً في الحياة، مع ذلك فقد كان في بعض الأحيان عنيداً في عناد الطفل، فهو يشكل لي أهمية كبيرة لدراسته كشخصية ففيه نرى صفات الوروبك الإنكليز، من ذلك الطراز الذين لا يجدون لأنفسهم قريباً مكاناً لهم حتى في تركيا، فنرى فيه البارون الإقطاعي والمستبد الشرقي ورئيس الرحالة ففي معسكره بين الخيام نستطيع أن نتخيل بعض أوجه الحياة في معسكرات تيمور وأتيلا، وفي صعوده الى السيادة هناك بعض ملامح نجاح العثمانيين الأوائل، ففي قوته وضعفه تكمن بعض ميزات ومعايب ميرناد)) (١٠) .

له عدة ألقاب منها: أمير أمراء كردستان (مير ميران)، و(سلطان البحر) و(ابن السلطان عبد الحميد)، وكان العرب يسمونه (الحوت) و(أخو نورة) و(خيال الشعلة)، أما أكراد الشام فكانوا يدعونه (برهو باشا) .

(*) السبب يعود في ذلك الى ان الفترة التي عاش فيها ابراهيم باشا (١٨٤٥-١٩٠٨) كانت فترة عصيبة وحبلى بالاضطرابات، حيث كانت العواصف السياسية تضرب بقوة على البنى التي كانت تكون المجتمع العثماني، وبدا للمراقبين ان رياح التغيير ستزلزل كيان الرجل المريض، في الوقت الذي كانت قبضة الدولةبدأت فيه بالتراخي على الرغم من سياسات سلطان عبدالحميد الثاني الساعية الى تأكيد سلطة السلطنة على رعاياها وباستخدام القوة المفرطة، وفي الوقت الذي كان فيه مجموعة من الشباب العثمانيين ومن قوميات مختلفة قد جهدوا لنفسهم للتخلص من نير السلطان، ونتيجة كل ماسبق فان الدولة كانت تعيش مرحلة اصطفافات عميقة وتصفية حسابات عسيرة، وفي غضون ذلك حدث ان كان ابراهيم باشا الملي الى الجانب الخاسر، فخسر بذلك نفوذه وحياته.

(10) مارك سايكس، المصدر السابق ، ص٤١ . (المؤلف)

٢ـ صفاته وثقافته : كان الأمير إبـراهيم باشـا طويـل القامـة، نحيـف البنيـة وذو وجهٍ كردي صميمي، وله عينـان نافـذتان ذكيتـان تلمعـان تحت جـبين عـالي وذو فـمٍ واسعٍ، وكانت ابتسامته أثنـاء الحـديث منـشرحة وأسـاريره منبـسطة مستبـشرة، وعلـى خلاف تقاطيع وجهه كانت أطرافه دقيقة غاية في الدقة .

وقد كان على معرفة واسعة بـشؤون عـصره وخاصـة مـا يتعلـق بـشؤون وأحـداث أوربا ومنها علاقة انكلـترا بأيرلنـدا، حتـى إنـه سـأل سـايكس عنـدما قابلـه عـن مـصير مـؤتمر الجيـسيراس، هـذا المـؤتمر الـذي عُقـد في الجيـسيراس الواقعـة في جنـوب اسـبانيا سنة(١٩٠٦م) بين الدول العظمى لحل الخلافات بين ألمانيا وفرنسا حول المراكز .

كمـا كـان يقـوم بالتقاضـي بـين النـاس في دعـاويهم وفي أمـور الـضرائب والتجـارة وسائر الأمور المتعلقة بمصالح الإمارة وشؤونها الداخلية والخارجية .

كان ملماً بالعلوم التاريخية وخاصة التاريخ الكردي حيث كان يقـول بـأن العنـصر الكردي ينقسم إلى ثلاث فرق : الأكراد الملي، وأكراد زيـلان، وأكـراد بابـا، وإنـه لا يوجـد فرق بين جميع هذه الفرق الكردية .

٣ـ في صعوده إلى الـشهرة: لقـد تفتحـت عبقريـة الأمـير إبـراهيم باشـا منـذ سـن مبكرة وهذه العبقرية التي أوصلته إلى المجد والشهرة بعد أن قامت الـسلطات العثمانيـة باعتقال والده محمود بك وإحراق قلعته ومصادرة أمواله المنقولة وغير المنقولة وإتباع كل الأساليب اللاانسانية تجاه قبائله من سلب ونهب وقتل وتشريد، تفتـق ذهـن الأمـير إبراهيم باشا عن فكرة وجود علاقة قديمة بين أسرته وأسرة خديوي مصر[١١] ، حيـث سـبق وأن سـاعد جـده الأمـير تيمـاوى بـك الجيـوش المـصرية في مواجهتهـا للجيـوش العثمانية، عند ذلك لم يتردد في اللجوء إلى خـديوي مـصر حيـث اسـتقل مـع مجموعـة من خدمه وعبيده سفينة بحرية أوصلته إلى الإسكندرية ومن هناك أبرق إلى الخديوي إسماعيل مبلغاً إياه بأنه الأمير إبراهيم بك حفيد تيمور باشا قادم لزيارته ومعه بعض

---

(11) أن عائلة خديوي مصر هي عائلة كردية الأصل وهي من أطراف منطقة ديار بكر وقد هاجرت إلى ألبانيا التي كانت تابعة للدولة العثمانية أولاً ومن ثم هاجرت إلى مصر. وقد اعتراف بالاصل الكوردي للأسرة احد ملوك مصر (الخديوي) في مقابلة اجراها معة عباس محمود العقاد ونشرت في مجلة المصور.

الهدايا الثمينة، فاستقبله الخديوي في قصره واستضافه المدة الكافية حيث استعرضا العلاقة القوية بين عائلتيهما وتاريخ التعاون بين أجدادهما ونضالهما المشترك ضد الدولة العثمانية، وفي هذه الفترة كان الخديوي إسماعيل قد تصالح مع السلطان العثماني فتوسط لدى الباب العالي للإعفاء عن أسرة إبراهيم باشا وبالفعل صدر فرمان بالعفو عنها وإطلاق سراح محمود بك والد الأمير وإعادة كافة أموالهم المنقولة وغير المنقولة إليهم، كما أوعز الباب العالي إلى والي ديار بكر بجمع شمل قبيلة المليه التي كانت قد تفرقت نتيجة الضربات الكثيرة التي أنزلت بها وبأمرائها، كما اتفق الخديوي مع الأمير إبراهيم بك على الالتقاء ببعضهما في الأستانة من أجل مقابلة السلطان عبد العزيز، وهنا عاد الأمير إلى منطقته وعاون والده في إدارة الأمور في ويران شهر، وفي الوقت المتفق عليه مع الخديوي سافر الأمير إلى الأستانة حيث التقيا هناك وذهبا معاً إلى السلطان عبد العزيز حينئذٍ قدمه الخديوي للسلطان قائلاً له: " أحم شرقك بهذا الأمير وإني أتوسم به خيراً"، فكان له ما أراد حيث منحه السلطان رتبة الباشا على شرق تركيا وبعد أن عاد الأمير إلى منطقته وتوليه قيادة قبيلته واصل الاحتفاظ بتقاليد القبيلة ولكن الحكومة أمرت باعتقاله وإبعاده منفياً إلى سيواس وكان يرافقه ستة آخرون من رؤساء العشيرة وبقي إبراهيم هناك متذمراً كاسف البال مدة تربو على ستة أشهر وأخيراً استطاع أن يرسل كتاباً إلى والدته، وكانت تعيش في ويران شهر يتوسل فيها إرسال بعض الجياد إليه لاستخدامها في الرياضة والترفيه، فأدركت أمه ما يجول في خاطره فأسرعت وأرسلت الجياد فوصلته فعلاً وقد سمح للرؤساء الأكراد هؤلاء بالخروج ومعاينة جيادهم وبإشارة من إبراهيم باشا قفز كل واحد منهم على ظهر جواد اختاره لنفسه وانطلقوا مسرعين تجاه ملطية، وسرعان ما تعقبهم الجنود والشرطة والمتفرجون ودامت المطاردة ثلاث ساعات متعاقبة وبعدها بدأ التعقيب يخف رويداً رويداً إلى أن وجد الناجون أنفسهم يطاردون من قبل أربعة جنود فقط، فوقف إبراهيم ورفاقه فجأة وانتظروا هؤلاء الجنود الذين وجدوا أنفسهم بين الأكراد على حين بغتة، فسألهم الأكراد : ماذا تريدون ؟

وقد أخذ الجنود بالمفاجأة تماماً، فقالوا في ترددهم أنهم يودون مساعدتهم إلى النجاة، فقال إبراهيم باشا لهم : أفضل طريقة لعمل ذلك هو أن يرجعوا إلى سيواس، فأخذ الجنود بنصيحته .

تأمل الهاربون خطورة الطريق العام لذلك مالوا إلى الجبال، وقد أوشكت هذه الفكرة أن توردهم الهلاك وتقضي على خطتهم، فقد ضلّوا طريق السبيل نحو الماء،

وقضوا الليل كله على السفح يجهلون مواقعهم وفي الصباح تابعوا ممراً مجهولاً أوصلهم إلى الاتجاه الصحيح لحسن حظهم، ولكن عند الظهيرة سقط جواد سالم بك ولم يستطع حراكاً فنصح إبراهيم الجماعة بالاختفاء بين أغصان الشجر وما أن فعلوا ذلك حتى بلغت أسماعهم أصوات طابور الجنود الزاحف لتعقبهم، وعند مساء اليوم التالي كانت المطاردة شديدة وبلغ الإعياء بالهاربين حداً كبيراً إضافة إلى جهلهم لاتجاههم في الطريق حتى بدا أنّ أمرهم ميؤوس منه، في تلك اللحظة التمعت في ذهن إبراهيم فكرة ملهمة، فكرة تكتيكية جريئة أغرب ما سمعت به، فقد أوحت إليه الفكرة إنه إذا كان الجنود المتعقبون قد أضاعوا أثرهم فهو ولا بدّ أنهم متجهون إلى مدينة أورفا نظراً لأن الهاربين ينوون الوصول إليها وعلى هذا الأساس أخذ الأكراد هم يتعقبون الجنود المطاردين لهم ثم ضبطوا القرية التي أوى الجنود إليها وانتظروا عن بعد ميل واحد عن أعدائهم أثناء الليل، وقد صدق إبراهيم، ذلك لأن الجنود لا يمكن أن يرجعوا خاوي الوفاض وإنما يواصلون مطاردتهم لهم .

هكذا حدث أنه لمدة خمسة أيام كاملة استخدم الأكراد أعداءهم أنفسهم كأدلاء لهم في بلاد مجهولة لديهم، لكن حتى هذا التكتيك أخفق في ضواحي ملاطية، فهناك أضاع الأكراد آثار أدلائهم الجنود ووجدوا أنفسهم ذات صباح منهوكي القوى في بلاد مجهولة وبين ناس غرباء، وداهمهم فلاح ثري كان يسوق عربة تجرها الثيران وبعد السلام عليهم سألهم:

- إلى أين أنتم متجهون ؟

أمّا إبراهيم فأجاب بحضور ذهن بأنهم قومٌ من الرحل أضاعوا بعض الإبل في هذه الأنحاء.

فأجاب الفلاح :

- أنتم أكراد وأنا الآخر كردي، وأما أنت فإبراهيم الملي، فأما أنا فمن أغوات عشيرة سينا ميللي التي تمت إلى الأرومة الملية، يفتش الجنود عنكم داخل القرية فتعالوا معي حتى أخبأكم .

وما هي إلاّ ساعة حتى راح الرجال السبعة يأكلون أول وجبة طعام ساخنة منذ أيام من مطبخ الأغا القزلباشي(العلوي)، إلاّ أنّ معاناتهم لم تنته بعد، حيث كان لا يزال مائة وخمسون ميلاً من الطريق يفصل بينهم وبين بلادهم، وبينما كانوا يتباحثون في سبيل لقطع هذه المسافة سمعوا صوت البوق آتياً من خارج القرية

وعرفوا بأنّ الجنود جادون في تعقبهم، إلاّ أنّ الأغا القزلباشي(العلوي) أخفاهم في غرف الحريم وطفق ينتظر الجنود .

دخل ضابط الفرسان البيت وقال :

ـ السلام عليكم، هل يختفي الرجال السبعة هنا .

فأجاب الأغا :

ـ أنت لن تجدهم هنا .

وفجأة صرخ الضابط :

ـ ما هذا ؟

والتقط عباءة سالم بك الذي تركها على أرض الغرفة ، فكانت تلك العلامة على وجودهم هناك .

لكن الآغا قال: ((قلت لك لن تجد الرجال الذين تبحث عنهم هنا فإذا أتيت مع لواء من الجند يكون بإمكانك البحث عنهم، أما إذا تجرأت واقتحمت غرف الحريم فسنحاربك ونحن نملك(٧٠٠) بندقية، وهناك(٣٠٠٠) أخرى على أهبة الاستعداد.

أدرك الضابط عجزه التام وهو يقود قوة من عشرين رجلاً، فقبل بالواقع وأكل طعامه ومضى لحال سبيله، وفي تلك الليلة نُقل إبراهيم ورفاقه إلى قرية أخرى وهكذا ليلة بعد ليلة كانوا يسلمون من عشيرة قزلباش(العلوية) إلى عشيرة أخرى إلى أن وجدوا أنفسهم ذات يوم على ضفاف نهر الفرات على مبعدة يومين من ديار قبيلتهم وبوقوفهم هكذا على أعتاب منازلهم لم يكن من الصعب على الرؤساء تنظيم السلم مع الحكومة التي كانت تقف على عتبة الحرب مع روسيا، فكانت مشغولة بأمور غير تعكير السلام من جهة القبائل .

وبعد الحرب الروسية ـ التركية (١٨٧٧ ـ ١٨٧٨م) * أخذت تظهر قدرات إبراهيم باشا وبعد نظره، ثم بدأ يجمع تحت جناحه رؤساء وشيوخ من القبائل المجاورة ويضمهم إليه، وبهذه الصورة ضمن تشكيل فرق مؤلفة من(١٠٠) إلى (٢٠٠) خيمة، وقد أتقن هذا الفن الدبلوماسي لدرجة أنه لم تمض إلاّ بضع سنين حتى أصبح الأكراد الملي قوة لا

---

* اعلنت روسيا الحرب رسمياً على الدولة العثمانية في ٢٤ نيسان ١٨٧٧ واستمرت تلك الحرب التي عرفت بحرب ٩٣ بسبب موافقتها لعام ١٨٩٣ في التقويم الرومي تسعة أشهر وأسبوع، حتى هدنة ادرنه، للتفاصيل ينظر : عمر فاروق يلماز، السلطان عبد الحميد خان الثاني بالوثائق، ت : طارق عبد الجليل السيد، مراجعة : د. الصفصافي احمد المرسي، (استانبول، ٢٠٠٠)، ص ٤٨.

تقاس بما كانوا عليه في السابق* وقد تحقق ذلك عن طريق الدراية والمكر والمؤامرة في المقام الأول ولم يكن يدرك كنه هذه السياسة الآخرون الذين كانت تشغلهم نزاعاتهم وعصبياتهم، لقد قامت سياسة إبراهيم على مصادقة القوى وإرضاء الضعيف وإرهاب الأضعف(١٢) .

وما أن تولى السلطان عبد الحميد الثاني الخلافة حتى توطدت علاقة إبراهيم باشا بالدولة العثمانية أكثر فأكثر حيث مُنح الرتب المختلفة واستلم قيادة الفرق الحميدية(الآليات الحميدية) * ، ومع كل يوم كان يمر كانت ثروته تتعاظم مع تعاظم

---

* وصف الضابط والباحث الفرنسي بيير روندو المختص بالشؤون الكوردية منذ كان ضابطاً أيام الانتداب الفرنسي على سوريا وصاحب عدة دراسات عن العشائر الكوردية مهارة إبراهيم باشا الملي في توحيد العشائر بما يلي: ((هي آخر محاولات التوحيد التي خططت في بداية القرن العشرين وقادها إبراهيم باشا الملي، وخصوصيتها تكمن في حداثتها، وهي محاولة فريدة من نوعها ومثيرة من جوانب متعددة، لأنها ظهرت في أقصى منطقة من كوردستان بين دياربكر وحلب، أي خارج المراكز الاعتيادية للحركة الكوردية، فضلاً عن قيام قبيلة ملي بها وهي نفسها عبارة عن اتحاد عشائر ومزيج لعناصر كثيرة متباينة...)) نقلاً عن : بيير روندو، روجيه ليسكو، القبائل الكوردية في سوريا، ت :د. عزالدين الكردي، ب . ايفا، (سوريا، ٢٠٠٠)، ص ٥٩ ـ ٦٠.

أما جون فريدريك وليامسون، فكتب بخصوص قوة العشائر الملية تحت قيادة إبراهيم باشا يقول: ((ويحتمل أن أقوى التحديات في الجزيرة لتفوق شمر قد أتى من الأكراد الملليين بعد غقود من السنين خسر فيها الأكراد الرحالة في العراق الشمالي حربهم ضد تجاوزات شمر اصبحوا أقوياء تحت زعامة إبراهيم الملي وتمكنوا من دحر الغزاة البدو وبعد أن انتهت الحرب الروسية التركية سنة ١٨٧٨ استعان الزعيم الكوردي بمهارة بالعشائر المجاورة لإحكام اتحاد كبير قرب ويران شهر))، ينظر كتابه: المصدر السابق، ص ١٨٦.

(12) المصدر السابق نفسه، ص٣٥ وما بعدها . (المؤلف)

* كلف سميح باشا القائد العسكري العثماني في أرضروم إبراهيم باشا الملي في كانون الثاني ١٨٧٧ بمهمة اقناع العشائر الكوردية ودفعهم للانخراط في تلك القوة لكنه فشل، بعد ذلك طلب السلطان من رؤساء العشائر الكوردية الحضور عنده في استانبول فرفض البعض وذهب البعض الآخر لتلبية طلبه، استقبلهم السلطان في قصره شخصياً وأكرمهم وكان يريد إنشاء قوة عسكرية منهم، وقامت السلطات العثمانية بتولية هؤلاء العناية وبكل السبل الممكنة لإقناعهم أثناء فترة مكوثهم في استانبول وبلغت نحو أربعة أسابيع، وفي ١٨٩١ أقرت الدولة العثمانية بتشكيل قوة مقاتلة من الكورد في معظم تشكيلاتها، على

بأسه وقوته وازدادت أهمية عاصمته ويران شهر وهي تجتذب إليها الثروة والقوافل التجارية، واستمر الحال هكذا حتى أواخر عام(١٩٠٨م) .

٤ـ علاقته مع السلطة العثمانية: لابدّ من التمييز بين مرحلتين لهذه العلاقة فهناك مرحلة العلاقة مع السلاطين ومرحلة العلاقة مع الاتحاديين .

أ ـ العلاقة مع السلاطين: بشكل عام تميزت هذه العلاقة بالتفاهم ولكن في بعض الفترات كان يشوب هذا التفاهم شيء من الحذر وعدم الثقة وأحياناً عدم إطاعة وتمرد على أوامر السلطان من قبل إبراهيم باشا .

فقد صدر في عام(١٨٧٣م) فرمانٌ عن السلطان عبد العزيز* قضى بمنحه رتبة الباشوية، وكان ذلك في اواخر عهده، واستمر إبراهيم باشا في وضعه هذا طيلة حكم السلطان عبد الحميد الثاني(السلطان الحديدي) *، كما مُنِح رتبة مير ميران(أمير أمراء كردستان) وذلك بعد انعقاد مجلس أمراء كردستان من الأمراء سيف الدين باشا وإبراهيم باشا وآل بدرخان باشا وآل بابان*، كما تبناه

شكل أفواج أطلق عليها تسمية (أفواج الحميدية) على اسم السلطان الذي أمر بتشكيلها، وجاءت الفكرة اقتباساً من القيادة الروسية التي شكلت قبل ذلك فرقتين من الكورد فيما وراء القفقاس تحت إمرة العقيد م . ت . لوريس ميليكوف وهي التي عُرِفت بالقوزاق في ١٨٧٨ وضمت الكورد وغيرهم، للمزيد من التفاصيل حول نشأة الألوية الحميدية، ينظر : ماجد محمد زاخويي، الفرسان الحميدية ١٨٩١ ـ ١٩٢٣، (دهوك، ٢٠٠٨)، ص ٦٧.

* حل السلطان عبد العزيز محل السلطان عبد المجيد في سنة ١٨٦٠ وتم خلعه في ١٨٧٦، للمزيد من التفاصيل عن فترة حكمه، ينظر : احمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، (بيروت، ١٩٨٢)، ص ٢٢٥ ـ ٢٣٠.

* السلطان عبد الحميد الثاني هو السلطان الرابع والثلاثون بين سلاطين الدولة العثمانية وهو الأبن الثاني للسلطان عبد المجيد، ولد سنة ١٨٤٢، كان في السن التاسعة عشر عندما توفي والده السلطان عبد المجيد، وأصبح الأمير مراد أخوه الأكبر سلطاناً بعد مقتل عمه السلطان عبد العزيز في ١٨٧٦، إلاّ أنه وبسبب مرضه لم يستمر على العرش أكثر من ثلاثة أشهر، وقد جلس عبدالحميد على العرش يوم الخميس ٣١ آب ١٨٧٦ وهو في الرابعة والثلاثين من عمره، عمر فاروق يلماز، المصدر السابق، ص ٢٤ ـ ٢٩.

* يذكر المستشرق الفرنسي المعروف بيير روندو، أن إبراهيم باشا أصبح منذ ١٨٦٣ يحكم مختلف العشائر المكونة للملية ان عشيرته المتحدة أبدت مقاومة ناجحة ومنتصرة وأن النهوض الملي يبرز إلى حد كبير

السلطان عبد الحميد إذ كان يلقبه بـ(ابني إبراهيم باشا)، حيث كان يرد جميع الشاكين من إبراهيم باشا والساعين للدس عليه من مختلف الفئات بعبارته المشهورة(كيف حال ولدي إبراهيم أرجو أن يكون بخير) وهكذا يعودون خائبين، وكان إبراهيم باشا من بين القلائل الذين يدخلون على السلطان دون استئذان وكذلك يدخل قصر الحريم السلطاني ويلتقي والدة السلطان*، عرفاناً من إبراهيم باشا بهذا الجميل السلطاني كان يرسل سنوياً(باسم الهدية) إلى السلطان أموالاً طائلة تعد بعشرات الآلاف من الليرات العثمانية ما عدا مؤونة قصر يلدز السنوية من مادة السمن والدهن والتبغ ...الخ .

كما تولى إبراهيم باشا قيادة قوات الآليات الحميدية، وهي قوات خاصة بلغ تعدادها أربعين ألف فارس وكانت مهمتها الرسمية مجابهة الضغط العسكري الروسي على الحدود الشمالية للإمبراطورية العثمانية، وكي تكون نظيرة لفرقة القوزاق الروسي الشهيرة وبالفعل أدت هذه الآليات مهمتها على أكمل وجه، إضافة لذلك فقد استفاد منها إبراهيم باشا في توطيد سلطته ونفوذه وتوسيع رقعة إمارته وإلحاق الهزيمة بخصومه مما سنأتي على ذكره فيما بعد، ومن الجدير بالذكر أن جميع عناصر وضباط هذه الآليات كانوا أكراداً وإن التكوين الكردي الصرف جاء نتيجة لفرض إبراهيم باشا شروطه على السلطان العثماني*، وهذا مؤشر لما كان يخطط له إبراهيم باشا ويسعى إلى تحقيقه من استقلالية في القوات العسكرية تساعده فيما بعد على الاستقلال عن السلطنة العثمانية* .

ميزة القومية الكوردية، للمزيد من التفاصيل ينظر : بيير روندو، روجيه ليسكو، المصدر السابق، ص ٦٠ ـ ٦١.

* والدة السلطان عبد الحميد هي (تيرموزغان)، وتنتسب إلى قبيلة (شابسيخ) الشركسية، وقد ولدت بالقوقاز ثم نزحت إلى استانبول في ١٨٣٩ وانضمت إلى حريم السلطان عبد المجيد وكانت وفاتها في قصر (بكلربكي) باستانبول، ودفنت بضريح مسجد (يكى جامع) وقد رحلت عن الدنيا في ريعان شبابها وابنها عبد الحميد لا يزال طفلاً، عمر فاروق يلماز، المصدر السابق، ص ٢٤.

* أمر ليس له صحة، فليس من المعقول أن يكون إبراهيم باشا الملي الزعيم العشائري قد فرض شروطه على السلطان العثماني والذي عرف بمكره وحيله وسطوته.

* وصف بيير روندو طموحات إبراهيم باشا الملي بما يلي: ((ومهما يكن من فروسيته إلاّ أن ولاءه الدائم للسلطان يحد من وجهة نظر كردية الحركة التي قادها))، نقلاً عن : بيير روندو، روجيه ليسكو، المصدر السابق، ص ٦٤.

وعلى الرغم من هذه العلاقة الجيدة مع السلطان العثماني إلاّ أنّ إبراهيم باشا لم يكن أداة طيعة بيد السلطان ويذكر التاريخ أنّ هذا الأمير الكردي قد تمرد أكثر من مرة على أوامر الحكومة العثمانية ورفض تنفيذها وذلك عندما كان يرى عدم تحقق مصلحة له في تنفيذها، فقد رفض الاشتراك في الحرب ضد اليونانيين سنة(١٨٩٧م) كما إنه تلقى الأوامر من السلطان بالتوجه مع طابورين من قواته إلى اليمن لقمع ثورة هناك لكنه رفض القيام بذلك رفضاً باتاً، كما حدث ذات مرة أن قتل إبراهيم باشا بنفسه ضابطاً عثمانياً كان يقود قوة حاولت منع الأمير من تنفيذ حملته التأديبية ضد قبيلة قرا كيج* سنة (١٩٠٤م) ونزع أسلحة قوته، وكان الناس يتوقعون في هذا الوقت أن يأفل نجم إبراهيم باشا ويشرف مجده على النهاية وذلك لأنه قتل أحد أبناء السلطان (يقصد مقتل الضابط المذكور) فكان كل ضابط وجندي يتعطش إلى سفك دمه.

وفي هذه اللحظات الحرجة بالذات قام إبراهيم متوكلاً على جرأة عجيبة بزيارة أورفا مقر الحكومة لقضاء الأيام الأخيرة من شهر رمضان وقد أمرت برقية وردت من استانبول بإلحاح بأن يقابل هو بالترحاب(١٣).

ومن الجدير بالذكر أيضاً أنه رفض الاعتراف بالمذابح التي أوعز السلطان بارتكابها ضد المسيحيين.

و رداً على هذه المواقف الاستقلالية التي اتخذها إبراهيم باشا فإن السلطان العثماني كان يداريه ويوجه إليه كتب شكر لأنه كان يخشى ثورته وسلطانه وبقي كل منهما يراقب الآخر على حذر إلى أن أُطيح بالسلطان عبد الحميد في عام(١٩٠٨م).

كما أن جون فريدريك وليامسون يقول: ((خلال التسعينات استخدم السلطان عبد الحميد الزعيم الكردي بصفة لواء في الجيش الحميدي الذي أنشأ في انحاء مختلفة من المناطق الكوردية، عدا منحه رتبة الباشا، تسلم إبراهيم باشا أيضاً كمية كبيرة من بنادق (مارسيني) وقد استفاد منها بتحويل الكورد إلى قوة عشائرية متفوقة))، نقلاً عن كتابه، المصدر السابق، ص ١٨٦.

* وصفهم مارك سايكس بما يلي: ((إن هذا اسم لقبيلة ضعيفة من شبه الرحل يسكنون قرب سويرك وهم قساة، متوحشون وقذرون بشكل يفوق الوصف، والأمر الغريب تماماً أن الكثير من أفرادها يتحدثون لهجة الزازا))، ينظر كتابه: القبائل الكوردية في الإمبراطورية العثمانية، ت: د. هه وراز سوار علي، تقديم ومراجعة وتعليق:د. عبد الفتاح علي بوتاني، (دهوك، ٢٠٠٢)، ص ٧١.

(13) المصدر السابق نفسه، ص٤٠ .(المؤلف)

ب ـ علاقته مع الاتحاديين: منذ اللحظة الأولى لاستلام الاتحاديين زمام الأمور في تركيا* وضعوا نصب أعينهم هدف التخلص من قوة إبراهيم باشا واغتصاب أمواله الطائلة ونهب خزائنه المليئة بالذهب، لأنهم يدركون حقيقة الأمور ويعلمون بأن الأحوال لن تهدأ بوجوده وأن خطره محدق بهم، لذلك لجأوا إلى الحيلة والخديعة بغية القضاء عليه، فأوعزوا إليه بأمر عبد الحميد ـ لأنه لن ينفذ أوامرهم ـ حتى يذهب بقواته لحماية الخط الحجازي من هجمات الأعداء وبالفعل جهّز إبراهيم باشا حملة واتجه إلى دمشق بعد أن اجتاز الرها وجرابلس عن طريق حلب فاستقبله والي حلب ورجالها وأعيانها باستقبالٍ فاق الوصف، وخيم هناك في منطقة تسمى (بستان الباشا) وأثناء إقامته هناك تواردت إليه تحيات السلطان ولكن ساورته الشكوك بأن في الأمر مكيدة، ومع ذلك فقد واصل السير إلى دمشق مع قواته وخيم في منطقة المرجة حتى موقع المعرض حالياً ـ ولا يزال الأقدمون يطلقون على هذا المكان مرجة برهو باشا ـ وقد جرى له حفل استقبال كالسابق وزاره كل من الوالي والمشير كما زاره سفراء فرنسا وانكلترا وزعماء الأكراد هناك أمثال يوسف باشا وشمدين وزلفو وأخبروه أن المشير سيدعوه مع ولده إسماعيل لدار الحكومة لتناول الطعام وهناك سوف يتم القضاء عليهما، وبالفعل تلقى الدعوة من الوالي والمشير فأرسل ابنه إسماعيل بك إلى مشير الشام ولكن برفقة خمسمائة فارس حاصروا قلعة المشير وأبلغ إسماعيل بك المشير بأن والده الباشا قد رفض الدعوة وإنه ارتحل بجيوشه عائداً إلى بلاده والحقيقة أن إبراهيم باشا جهز حملة للعودة بعد أن أدرك مجريات الأمور وأمر جيشه بضرب المدينة كيداً بمشيرها وبالاتحاديين وفي طريق عودته اجتمعت عليه الجيوش من حمص وحماة وحلب مع النجدات التي أرسلها والي أزمير لمحاربته، واستمر يقاتلهم حتى تمكن من الوصول إلى المسكنة وعبر نهر الفرات و مرّ على الرها ولدى وصوله إلى مدينة ويران شهر وجد أنها محاصرة من قبل أربعة آلاف جندي تركي يطلبون القبض على البيكات عبد الحميد و معمو وخليل و عبد

---

* أسس عدد من تلامذة مدارس الطب العسكري بوجه خاص جمعية سرية في عام ١٨٨٩ والتي تحولت فيما بعد إلى (لجنة الاتحاد والترقي) وفيما بين عامي ١٩٠٢ ـ ١٩٠٦ أخذت حركة (تركيا الفتاة) في الانتشار، وكان مجرد موافقة عبد الحميد الثاني على عودة الدستور بمثابة إعلان عودة الحياة الدستورية واستسلامه أمام الاتحاديين، وانتشرت شعارات اللجنة (الحرية والعدالة والمساواة) في كل مكان، للمزيد من التفاصيل ينظر : احمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص ٢٦٣ ـ ٢٧٠ .

الرحمن أبناء الباشا وإظهار الذهب الموضوع في صناديق الحديد المدفونة في أماكن مختلفة تحت الأرض .

إنّ سعادة الباشا لما كان في الشام تحقق بتمام المعرفة نوايا الاتحاديين المنعقدة لإعدامه ومحو أولاده، أراد أن يسعى لإخماد الشر وإطفاء نار الفتنة فأرسل لهم خبراً ينصحهم فيه لكي يكفوا عن ذلك وينجلوا عن ويران شهر فأبَوا ونهبوا الأموال الموجودة في الأسواق وصاروا يتحروا قصر الباشا ومنازل الأهالي الذين أرسلوا إليه يشكونه ضيمهم ويلجأون إليه حتى ينقذهم من هذا التعدي، فحركته النخوة وأضطر بأن يأمر عشائره بالهجوم عليهم فدارت رحى القتال بين الطرفين، وعندها التف حولهم الفرسان المحاربون وبعد مناوشات طويلة دامت خمسة أيام بلياليها أجبروهم على تسليم السلاح والخروج من البلدة فخرجوا منكسي الرؤوس مغلوبين بخسارة أربعمائة قتيل، فبعثوا الرسائل إلى والي ديار بكر يطلعونه على نتيجة حربهم ، فحادث الجمعية التي أعطت أوامرها عن طريق البرق إلى القواد العسكريين الذين توجهوا بجنودٍ يقدر عددهم بخمسة وثلاثين ألفاً مستصحبين معهم خمسة وثلاثين مدفعاً سيقوا من ديار بكر و ماردين والموصل ودير الزور، ففي مدة لا تقل عن العشرين يوماً اجتمعوا في زيارة النبي أيوب غربي ويران شهر فلما باشروا بالهجوم صار ملتقاهم مع أنجال الباشا المصطحبين ستين ألفَ مقاتل عند نهر الجرجب الواقع بين ويران شهر والنبي أيوب، وعندما صوبوا عليهم المدافع الآنفة الذكر جرت معركة هائلة بينهم دامت طوال النهار وأسفرت عن إتلاف أرواح كثيرة من الطرفين، فرجع الفرسان إلى نفس القضاء فجال الأتراك على بعضهم واغتصبوا مواشي الأمير أحد عشر ألفاً من الإبل وعشرة آلاف رأس غنم وستة آلاف من الخيل الأصايل وألف ومائتي جاموس وعثروا على خزينتين من خزائنه كلٌ فيهما مليون ليرة* وكسروا أبواب حوانيته ونهبوا ما فيها من الأموال، وفتحوا مستودعاته وذخائره و

---

* ولو أن في ذلك بعض المبالغة، فإنه من المعروف أن إبراهيم باشا كان يعد ثاني أغنى رجل في الدولة العثمانية بعد السلطان، وكان يقود لوحده خمس ألوية حميدية من مجموع سبعة ألوية، وكانت تلك القوة العسكرية قد وفرت له وضعاً استثنائياً إذا علمنا أن كل لواء حميدي يتألف من نحو (١٠٠٠ ـ ١٢٠٠) فارس، د. عثمان علي، دراسات في الحركة الكردية المعاصرة ١٨٣٣ ـ ١٩٤٦ دراسة تاريخية وثائقية، تقديم : د. محمد هماوندي، (اربيل، ٢٠٠٣)، ص ٥٥ ـ ٥٦.

* من المفيد أن نذكر هنا، أن قبيلة شمر كانت تدور وتسعى للوصول إلى الهضاب الكوردية في جنوب الأناضول، فدفعت ببطء حدود مراعيها إلى الشمال حتى بلغت المنطقة حول ويران شهر، قبل بروز إبراهيم باشا في التسعينات لم تقدم العشائر الكوردية الضعيفة وغير المتحدة المقيمة في المنطقة سوى مصاعب قليلة إلى شمر العربية، ومع أنهم كانوا أعداء أللداء، فإن المعركة الأولى من المعارك العديدة

أخذوها ما خلا أثمان المواشي فكان يقدر قيمته بخمسمائة ألف ليرة، فذهب الفرسان بحضرة الباشا وآله إلى قصر حسين قنجو، وثاني يوم توجه إليهم عسكر الموصل لكي يقطعوا أمامهم خط الرجعة فاضطروا للتوجه نحو الشرق وساروا يومين متماديين والجنود تتعقبهم فوصلوا نهر زركان الفاصل بين قصر حسين وتل أسود على طريق جبل سنجار، وعند وصولهم هناك عارضوهم في الطريق شمر المحمد وشيوخهم العاصي ومحمد الجربا وفارس الشيوخ وعلي الشيوخ ومشعل بن فارس وطلبوا أن يعطوهم بعض حمول الطعام التي ظنوها ذهباً فعاركوهم ودحروهم* ، ودامو في مسيرتهم يومين آخرين وصلوا بهما نهر صفيا(نهر الجغجغ) الواقع ما بين تل أسود والحسجة وهناك توفي الباشا وانتقل إلى رحمة مولاه، وعند الغروب دفنوه مقابل مخاضة نهر صفيا فصار طريقهم على تل أسود والخاتونية حيث كانوا مصممين على إدراك جبل سنجار والاستحكام فيه ولكن مقاومة العشائر لهم أجبرتهم على التوجه شمالاً إلى نصيبين ووصلوا إليها ودخلوا زيارة زين العابدين ليستريحوا حيث أنهكهم التعب، عشرة أيام ينتقلون فيها من محل لآخر لم يذوقوا فيها سوى القليل من الطعام وهناك التف حولهم العساكر بمدافعهم فأجبروهم على تسليم السلاح فعادوا إلى مركز الولاية وبصحبتهم البيكات عبد الحميد الملقب بحمود ومحمود وإسماعيل وخليل وتمو وعائلاتهم وأعمامهم السادات أيوب وخليل وبشار ومحمد، أما خليل وتمو بك مع كافة النساء فقد أذنوا لهم بالعودة إلى وطنهم والباقين وضعوهم في السجن، وبعد أن مكثوا زهاء عشرين يوماً سقت الحكومة سماً لـ(عبد الحميد بك) فمات من ساعته، وأما أخوته وأعمامه المسجونين فقد سفرتهم إلى مدينة ديار بكر وهناك فرقت شملهم ونفتهم إلى طرابزون[١٤] .

وهكذا نجد بأن علاقة إبراهيم باشا بالاتحاديين كانت منذ اللحظة الأولى علاقة تضاد وصراع والسبب في ذلك هو سياسة التتريك الشوفينية التي اتبعها هؤلاء تجاه كافة شعوب الإمبراطورية العثمانية ومحاولتهم صهر هذه الشعوب ومحو هويتها القومية[*] فما كان من إبراهيم

الكبيرة بين شمر والمليين لم تحدث إلاّ في اواخر التسعينات حين أغار الشيخ علي الشيوخ على إبراهيم الملي، وقد انتهت تلك الغارة بصورةٍ فاجعة حين أسر إبراهيم باشا علي الشيوخ وأرسله إلى الأستانة، وقد بقي في العاصمة التركية عدة شهور قبل إطلاق سراحه، جون فريدريك وليامسون، المصدر السابق، ص ١٨٩ .

(14) المصدر السابق ، ص ٥٤ ـ ٥٥ .(المؤلف).

(*) فضلاً عن ماورده المؤلف، الا ان سبب العداء هو ايضاً ان ابراهيم باشا كان من الموالين الجيدين للسلطان عبدالحميد، العدو اللدود للاتحاديين.

باشا إلاّ دعوة الجماهير الكردية إلى الثورة ضدهم فكان له ذلك، وسرعان ما شملت الانتفاضة بلاداً واسعة امتدت من ارزنجان على البحر الأسود إلى دير الزور ولم تتمكن الحكومة الاتحادية من إخمادها إلاّ بعد أن قضى زعيمها إبراهيم باشا نحبه.

ويذكر ث. ز أليف في بحثه المفصل عن تركيا في عهد الاتحاديين بأن تحرك إبراهيم باشا أثار تخوفاً كبيراً في نفوس الأتراك الفتيان لعلمهم بأن من المحتمل أن يؤدي انتصاره إلى هز كل أساس للحكومة التركية في آسيا الصغرى، لذلك وجهوا ضده قوة كبيرة تتألف من اثنين وعشرين كتيبة بقيادة نشأت باشا تمكنت من قمع الحركة بعد معارك دامية[١٥] .

٥ـ علاقته مع العشائر الأخرى (غير المليـة): سبق وأن ذكرنا بأن العديد من العشائر الكردية والعربية قد انضوت تحت لواء المليـة(حزار مل) وقد شمل إبراهيم باشا كافة هذه العشائر برعايته وحمايته، ولكن علاقته مع العشائر الأخرى لم تكن على ما يرام* وقد مرت بعض الفترات اضطر فيها إبراهيم باشا إلى مقاتلة عدد من هذه العشائر بغية المحافظة على رقعة إمارته، ومن هذه العشائر عشيرة شمر العربية القوية التي فرضت زعامتها على معظم العشائر العربية وبعض العشائر الكردية أيضاً في المنطقة، والمعركة الأولى التي وقعت بين إبراهيم باشا وشمر كانت بسبب ترؤس إبراهيم باشا حملة لتأديب قبيلة شمر التي كانت تحاول التحرك ضده فاجتاح مناطقهم وأسر شيخهم علي الشيوخ وأخاه محمد الشيوخ وأتى بهما مكبلين إلى عاصمته ويران شهر فثار بعد مدة فارس الجربا شيخ شمر وجمع عدداً من القبائل العربية والكردية(جبور، طي، شيتية، كيكية، دقورية، ملية الخضر)، وهاجم الأمير إبراهيم باشا عن طريق مستشاره حسين قنجو الذي كان مستحكماً في قلعته الحصينة فقاوم هذا الهجوم مع فرسانه من الدنادية، عندها اضطر فارس الجربا لتغيير طريقه إلى مواقع الباشا بسبب هذا الصمود وفي محاولة للخداع فوصل إلى قرى ويران شهر وهناك باغتهم الأمير إبراهيم باشا بجيوش كبيرة تعد بعشرات الآلاف حيث حاربهم وأوقع بهم خسائر كبيرة بالأرواح وصادر أموالهم وممتلكاتهم وطاردهم حتى ديارهم، وهذه الواقعة كانت في عام(١٩٠٢م) ودعيت باسم سنة فارس أي وقعة فارس، ولكن لم تركن شمر للهدوء فعادوا من جديد برئاسة شيخهم الهادي مستهدفين إبراهيم باشا

---

(15) د. كمال احمد مظهر : كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى ، ص٩٧ ـ ٩٨. (المؤلف)

* M.M.vanBruinessen,Agha,Shaikhand state on the social and political organization of Kurdistan,p 237

فأنذره الباشا إلاّ أنه استمر في محاولته فجرد عليه إبراهيم باشا حملة مؤلفة من اثني عشر ألف فارس فأوقع بالهادي هزيمة نكراء جديدة وسميت هذه السنة بسنة الهادي وكانت عام(١٩٠٥م)، وبعد أن خسر الهادي المعركة جاء والده العاصي إلى إبراهيم باشا وأخذ يرجوه ويتوسل العفو عن شمر وعن ابنه الهادي ولكن إبراهيم باشا رفض ذلك وأصر على الزحف إلى الموصل وهنا دخلت امرأة مقنعة على إبراهيم باشا وقالت له :

ـ أنا ابنة عمك كردية الأصل ومن عشيرة الگرگريه (الجرجرية) وأتيت ألتمس العفو عن الهادي وعن شمر.

فما كان من إبراهيم باشا إلاّ وأن استجاب لرجاء هذه المرأة الكردية بدافع النخوة، وعفا عنهم ثم رجع إلى عاصمته ويران شهر *.

---

* يورد جون فريدريك وليامسون وصفاً دقيقاً للصراع الذي نشب بين العشيرة المليـة وقبيلة شمر، ويذكر أنه وبعد عودة الزعيم الشمري الشيخ علي الشيوخ من الأستانة إلى الجزيرة مهاناً طلب ثأراً سريعاً بشن هجوم شمري آخر ضد خصومه الملليين، وقد ساعده ابن عمه محمد الشيوخ، فأعد علي الشيوخ محاربيه، ولكن قبل أن تتمكن شمر من الوصول إلى مضارب الملي بجوار رأس العين، علم إبراهيم باشا بخططهم وتقدم مع فرسانه الكورد في أثناء الليل وفاجأ شمر في تل حرمل شرقي رأس العين، وبعد الاندحار الثاني أنهت شمر الغربية والشرقية برئاسة الشيخ فارس والشيخ عاصي بن فرحان مؤقتاً عداءهما وخططت لهجوم على أوسع مقياس ضد الكورد الملليين، وتحرك جيش شمر الضخم إلى الشمال قاصداً ويران شهر بعد أن ناشد المساعدة من كورد الدقوري والكيكي وعرب طي والجبور وحرب والشرابيين، ثم اتخذت شمر موقعاً شمالي ويران شهر لشن الهجوم، لكن لسوء حظ العرب علم إبراهيم باشا بواسطة جواسيسه تفاصيل خطة شمر الحربية وفاجأهم مرة أخرى في لحظة خطيرة وللمرة الثالثة والحاسمة دحر الكورد أعداءهم البدو، وإن النصر الكوردي الساحق أثر في شمر بثلاث طرق:

أولاً : سمح للكورد الملية باسترجاع قسم كبير من المراعي الشمالية التي خسروها والتي استولت عليها شمر خلال القرن الماضي .

ثانياً : بعد ذاك التحول في التفوق العشائري أعاد الزراع الأرمن الإقامة في الأراضي الزراعية المهجورة حوالي رأس العين.

ثالثاً : سرعان ما أنهى النصر الكوردي التعاون المؤقت بين شمر الشرقية والغربية ، ينظر كتابه : المصدر السابق، ١٩٠ ـ ١٩١.

ومن الجدير بالذكر أن مؤلف كتاب آل محمد جربا ودور شمر في التاريخ السياسي الحديث لإقليم الجزيرة، يظهر تحيزاً واضحاً وميلاً لتشويه الحقائق فيما يخص الصراع الملي ـ الشمري، من خلال إدعائه بأن العثمانيين وجهوا إبراهيم باشا كي يحاول جر شمر الزور إلى صراع عسكري للحد من قوتها وقوة شيخها فارس بك، خاصة بعد أن ازداد نفوذها وسلطانها على الأقاليم الشمالية

ومـن الجـدير بالـذكر أن حملـة إبـراهيم باشـا التأديبيـة لم تقتـصر علـى عـشيرة الشمر فقط بل تجاوزتهم إلى حلفائها، ومن ذلك وحيث إن علاقـة إبـراهيم باشـا كانـت ودية مع شيخ الجبور مسلط باشا وكان يوجد نزاع بين مسلط وأخيه زوبـع لأن زوبـع وقسم من الجبور كانوا متحالفين مع شمر وبسبب ذلك أنذرهم إبراهيم باشا بـضرورة الكف عن مناصرة شمر ولكنهم لم ينـصاعوا فـأمر الباشـا بحـبس زوبـع والفاضـل ومـن معهم لمدة شهر تقريباً ودون توجيه إهانات لهم، وأثناء تواجدهم هناك أقـنعهم الباشـا بوجهة نظره بأن البدو وخاصة شمر هم أعداء للجميع وبضرورة وضع حد لهم .

للجزيرة الفراتية بعد إلحاقها الهزيمة بالجراكسة، فقام إبراهيم باشا بإعـداد قواتـه مـن الكورد المليـة وبعض من القبائل الكوردية والعربية الصغيرة النازلة أراضيه، ثم أخذ بالتحرش بشمر الزور وذلـك بشن الغارات التعرضية على مضارب شمر ونهب قطعان أغنامها في أعالي الخابور، ممـا حـدى بالـشيخ فارس أن يدخل في صراع عسكري مباشر معه، ينظر: ثائر حامد صوفي خضر، آل محمد الجربا ودور شمر في التاريخ السياسي الحديث لإقليم الجزيرة الفراتية ١٨٠٠ ـ ١٩٢١)، (الموصل، ١٩٩٦)، ص ٢٨٥ .

كما أن المؤلف وفي سعي واضح لتجريد إبراهيم باشا من مقدرته العسكرية المتفوقة والتي انتصر بها على قبيلة شمر، والإدعاء بأن العثمانيين هم من حققوا النصر على شمر وليس الكورد المليـة، يذكر أن الشيخ فارس وجه ابن أخيه عبد الرزاق الشيخ علي مع قوة من شمر لمواجهة إبراهيم باشا في حدود ١٨٩٨ ولكن فرسان شمر لم يستطيعوا أن يواجهوا خطط وحيل إبراهيم باشا العسكرية، وسقط الشيخ علي بيد إبراهيم باشا أسيراً وبعد عودته أراد أن يشن غارة ثانية على الأخير وكان نصيبها الفشل أيضاً، مما دعا الشيخ فارس أن يطلب العون من الشيخ العاصي وشمر الشرقية لمساندته ضد ذاك العدو الشرس فكان ما أراد، فتجمعت القبائل الشمرية تحت قيادة العاصي وفارس بك بن صفوك واتجهت نحو ويران شهر لتسديد ضربة شديدة إلى إبراهيم باشا وقواته، وهنا كان دور السلطات العثمانية في دعم الأخير إذ أرسلت له السلطات العثمانية في الموصل وديرالزور المعلومات الكاملة عن القوة الشمرية علاوة على إرسال بعض القطعات من الجيش العثماني ضد شمر وهنا أنزل إبراهيم باشا خسائر كبيرة بهم، وإن شمر لم تعد إلى مراعيها حتى تمت هزيمة إبراهيم باشا الملي في ١٩٠٨، المصدر السابق، ص ٢٨٦ .

ومما يؤكد هذا الرأي، ما قاله الضابط الفرنسي بيير روندو، وهو شخص محايد بقوله (إن أول حملة للشمر بمساعدة الكيكان وقراكيج والطي قد اخفقت بسبب هجوم فجائي قام به إبراهيم باشـا، لأنه أخبر من قبل زعـيم الطي الـذي خـشي مـن توسـع نفـوذ حلفائـه الـشمر، والحملـة الثانيـة الـتي جمعت إلى جانبهم العرب الجبور والبكارة والدقوران و الكيكان لم تشهد نجاحـاً أكثـر مـن الأولى، وأمـا عن الحملة الثالثة فلم يستطع الشمر التحالف مع توابعهم الكورد، لأن الكيكان تحالفوا هـذه المـرة مـع إبراهيم باشا الذي لقن الـشمر هزيمـة مدويـة قـرب الزركـان، وإن تلـك الـصراعات حفظـت في مخيلـة الكورد بسحر عظيم لاتزال ذكراها محفوظة في الأذهان على شكل مقطوعـات نـصف ملحميـة ونـصف غنائية تغني صراع الشمر ضد الملي، ينظر كتابه : المصدر السابق، ص ٦١ ـ ٦٢.

ومن العشائر الأخرى التي جرد إبراهيم باشا حملات تأديبية ضدها عشيرة قراكيج (قره كيج) الكردية، هذه العشيرة التي دأبت على نهب القوافل التي كانت تمر عبر أراضيها مما أثار ذلك استياءً شديداً لدى إبراهيم باشا، وفي سنة (١٩٠٤م) احتج إبراهيم باشا على أفعال قراكيج إلاّ أنّ احتجاجه لم يلق الاهتمام وبعد ذلك التمس من حاكم أورفا أن يحافظ على النظام إلاّ أنّ الحاكم أخذ يماطل في الأمر عندئذٍ أخذ إبراهيم باشا بنفسه يتوجه إلى الحرب ضد قراكيج، وكانت من عادة الحكومة التركية ألاّ تتدخل في الخصومات بين القبائل إلاّ عندما تلوح إمكانية نجاح عمل حاسم، وفي هذه المناسبة أرسلت الحكومة ضابطاً على رأس قوة خيالة لتفريق الطرفين المتنازعين فجاءت هذه على إبراهيم باشا وقواته في ضواحي سفريك وطلب الضابط من الزعيم العودة إلى بلاده فرفض إبراهيم باشا وثارت معركة كلامية فكان أن قتل إبراهيم باشا الضابط بالرصاص ومن ثم نزعوا أسلحة جنوده وأعادوهم إلى أورفا، في ذات الوقت واصل أكراد الملي تقدمهم لمحاربة قراكيج، ولم يمض وقت طويل حتى لحقت هزيمة تامة بقراكيج ونقلت خيامهم وأموالهم إلى ويران شهر فأضطر قراكيج على طلب الصلح وتعهدوا بالامتناع عن التعرض للقوافل في المستقبل، ولأجل توطيد هذه المعاهدة جرت عقود زواج بين أبناء وبنات الطرفين المتعاقدين وأعاد إبراهيم باشا جميع أموال قراكيج وأضاف إليها مقداراً كبيراً من أمواله هدية لهم[١٦].

أما القبائل الأخرى المنتشرة على أطراف إمارة إبراهيم باشا ومنهم قبائل العنزة المنتشرة على جانب الفرات الغربي حتى حلب ـ وهم الفدعان والسبعة ـ فكانوا مهادنين لإبراهيم باشا وكانوا لا يتجرؤون على تجاوز حدودهم التي رسمها لهم بنفسه هو وأجداده من الأمراء السابقين .

وهناك كلمة مشهورة قالها عند عنزة وهي :

(ما من علوم الباشا كوم الرحيل اليوم وكل من يعبر الفرات كوماني) .

وعن علاقة إبراهيم باشا بالجيجان فكانت جيدة حيث أمن لهم الحماية وساعد بكواتهم ووفر لقسم منهم مساكن ورواتب في ويران شهر* .

---

(16) المصدر السابق نفسه، ص٣٩ ـ ٤٠ .(المؤلف)

* قامت الدولة العثمانية بإسكان الشيشان على ضفتي نهر الخابور من رأس العين وضفاف نهر زركان وجرجب الكبير والصغير ومواقع من جبل عبد العزيز بموجب سندات تمليك، وكانت قراهم تتوسع ثم تتقلص حيث كانت عشائر شمر تفرض عليها وعلى قبائل الجزيرة الأتاوة (الخوة) فاشتبك الشيشان وشمر على أثر محاولة شمر فرض (الخوة) عليهم وتمنع الشيشان من دفعها

كما أن علاقته كانت جيدة مع العلي، وان العلي هم خوال والده .

وكذلك كانت علاقته جيدة مع العكيدات ومع البو شعبان حيث كان هويدي يجمع الضرائب لصالح إبراهيم باشا .

٦ـ صلاته بالأجانب: بدأت هذه العلاقة بهم نتيجة قيام عدد من الشخصيات الأجنبية الأوربية بالتغلغل داخل الإمبراطورية العثمانية بحجة الرحلات العلمية والترفيهية ولكن بهدف جمع المعلومات وتقصي كافة الأمور الداخلية والتعرف على نقاط ضعف الإمبراطورية ليتسنى للدول الأوربية التي ينتمون إليها القضاء على هذه الإمبراطورية وتفتيتها واقتسامها، ومن هذه الشخصيات السير مارك سايكس* والفونستن* الانكليزيان والبارون فون أوبنهايم الألماني*، وبعد لقاءات متكررة بينه وبينهم توطدت صداقته بهم وخاصة مع الانكليزي السير مارك سايكس حتى إن إبراهيم باشا أخذ يصارحه بالتقارير السرية التي أرسلها له السلطان لمراقبة سايكس .

لرؤيتهم ذلك ذلاً واستعماراً جديداً، للمزيد من التفاصيل ينظر : عزت سليم بك، كيف ومتى استوطن الشاشان الأراضي السورية، في صبحي عبد الرحمن، كاليفورنيا، الشرق الجزيرة، (الحسكة، ١٩٥٤)، ص ٤٨ ـ ٥٠ .

* سياسي وضابط بريطاني عاش بين الفترة (١٨٧٩ـ ١٩١٩)، تولى مناصب عديدة من بينها، ملحق فخري في السفارة البريطانية في استانبول (١٩٠٥ـ ١٩٠٦)، وضابط في هيئة الأركان العامة (١٩١٥ـ ١٩١٦) ومناصب أخرى وقد ارتبط اسمه باتفاقية سايكس ـ بيكو١٩١٦، وكان قد قام برحلة طويلة في كوردستان الشمالية ما بين (١٨٩٩ـ ١٩٠٦) ودرس عن كثب حياة عدد من العشائر الكوردية، ينظر: د. عبد الفتاح علي بوتاني، المصدر السابق، ص ٢٠ ـ ٢١.

* ضابط بريطاني شأنه شأن مارك سايكس، كان ملماً بجوانب من حياة العشائر الكوردية اثناء خدمته في الدولة العثمانية، نتيجة معايشته لهم.

* ولد في ١٥ حزيران ١٨٦٠ في مدينة كولن بالمانيا، وبين السنوات ١٨٦٦ـ ١٨٧٩ درس في مدينة كولن ثم درس علوم القانون في شتراسبورج وبرلين وقام برحلتين إلى القسطنطينية وشمالي أفريقيا، في ١٨٨٣ إجتاز امتحان الخبرة في كولن، ونال الدكتوراه في القانون من جوتنجن، وفي ١٨٩٢ سافر إلى القاهرة ودرس الدراسات الإسلامية، وفي ١٨٩٦ تم تعيينه ملحقاً في القنصلية العامة القيصرية في القاهرة، رحل إلى دمشق ثم عبر حلب إلى رأس العين، ثم تم تعيينه مستشاراً دبلوماسياً في ١٩٠٠، وأسس مؤسسة خيرية لمتابعة التنقيبات الأثرية في تل حلف في ١٩٢٩، مات في مدينة لاندس هوت ودفن في مقبرتها في ١٥ تشرين الثاني ١٩٤٦، نادية خوليديس، لوتس مارتين، تل حلف والمنقب الأثري فون أوبنهايم، ت : د. فاروق إسماعيل، (سوريا، ٢٠٠٦ ٩)، ص ٣١ ـ ٣٣ .

وقد كتب سايكس في كتابه (ميراث الخليفة الأخير، ص٢١٥ ـ ٢١٧) واصفاً وقائع زيارته وأحاديثه الطويلة مع إبراهيم باشا فيقول :

انطلقنا من عمبار متوجهين نحو الشرق ونحن نقتفي آثار مضارب إبراهيم باشا وبعد مضي سبع ساعات وصلنا إلى مرابع عشيرة عدوان وكنا كلما نقترب من ممتلكات الباشا كلما نلتقي بقوافل صغيرة وبأناس من التجار والباعة المتنقلين بين مختلف الطوائف التي يتألف منها اتحاد العشائر المللية وناس من الأرمن من أرياف ويران شهر يتعاطون في أعمال تسويق الأعلاف والدهون من الباعة إلى مضارب الخيام منها وإليها وقد تأكد لي بعد التحقيق أن هؤلاء الناس كانوا على أتم الأمان والوفاق طالما كانوا في حدود بلاد العشائر المللية ويلقون المعاملة اللائقة .

وعند وصولنا خرج الباشا الذي سبق وأن التقيت به قبلاً لملاقاتنا وارتمى عليّ يحتضنني ثم اقتادني حالاً إلى الخيمة العظيمة التي كان يرفعها أكثر من مائة عامود والمصنوعة من قماش قياسه(١٥٠٠) ياردة مربعة وكان يقف حوالي(١٥٠) رجلاً حول الدكة المنخفضة التي تربع عليها الباشا في النهاية القصوى للخيمة وكان الناس الذين يحيطون به أناس ينتمون إلى شتى العشائر والمذاهب التي تحفل تركيا بها وقد جاء أغلبهم لتجارة وقضاء الحاجات، وإليكم قائمة بأحوال هؤلاء الناس الذين تحدثت إليهم أدرجهم تلقائياً لإلقاء ضوء على تنوع مناحيهم وأصولهم :

١ـ شخص يزيدي .
٢ـ طبيب تركي التحق بمعية الباشا وهو سياسي مبعد .
٣ـ شرطي(ضبطي) سابق من عشيرة الهموند الكردية، سبق أن سلب من بريد الاسكندرون(٢٠٠٠ليرة مجيدية) وحكم عليه بالسجن مدة(١٥) سنة، لكنه حفر نفقاً داخل السجن وهرب والتحق بالباشا .
٤ـ قاطع طريق قتل أربعة رجال وامرأة قريباً من حلب .
٥ـ أرمني صاحب حانوت للخمور .
٦ـ تاجر كان قاطع طريق التقيت به وألقيت القبض عليه بنفسي قرب نصيبين قبل سنتين .
٧ـ شخص من عشيرة شمر جاء لتحقيق مصالحة في قتال نشب بين أفراد عشيرته.
٨ـ شخص من عشيرة حيدرانلي الكردية وهو من قوات الحميدية في مدينة وان.
٩ـ أحد بكوات الجركس .

وقد برر الباشا حمايته لبعض هؤلاء الناس من الطبقات المختلفة بقوله إنّ قانون وعادات السهول والصحارى يحتمان عليه رعاية أولئك الذين يحلون ضيوفاً عليه وهذا هو الواقع ويجب أن نقول بحق بأن هؤلاء الناس كانوا يتصرفون تصرفاً جيداً ضمن حدود وسلطة الباشا .

وبعد محادثات حول مختلف المواضيع التي استغرقت بعض الوقت قام الباشا معي إلى خيمتي الخاصة وهناك كشف لي عن رسالة خاصة استلمها من الصدر الأعظم يطلب فيها وجوب مراقبتي مراقبة دقيقة وتقديم التقارير عن جميع تصرفاتي وسألني عما يجب عليه أن يفعله، فقلت له من الأفضل أن يقول الحقيقة وأن يكتب بأنني أبتغي من تجوالي النزهة والترفيه وأتوخى الفائدة الثقافية من رحلاتي، وتكلم هو خلال المحادثات حول الأكراد الملي وأكد أنهم فريق قائم بذاته وكشف الحقيقة بأن نفوذه وسلطته يمتدان أبعد بكثير من القبائل الراضخة له فعلياً، وأفادني أيضاً بأن العنصر الكردي ينقسم إلى ثلاث فرق : الأكراد الملي وأكراد زيلان وأكراد بابا، وقدم لي أيضاً استعراضاً لتاريخ قبائله مما لم يكن يخلو من فائدة، وقد تكثفت اتصالات الدول الأجنبية وخاصة الانكليز مع إبراهيم باشا في أواخر أيام السلطان عبد الحميد ، وبعد أن توطدت العلاقات بينهم وترسخت الثقة اتفقا على قيام إبراهيم باشا بالثورة بشرط أن يضمن الانكليز الاستقلال التام ويساعدوه في قيام دولة كردية تشمل كافة الولايات الشرقية بما في ذلك قسم من الأراضي التي تدخل ضمن الحدود الإيرانية، ولكن إبراهيم باشا وبسبب حنكته وسعة اطلاعه كان يرى بأن الظروف الموضوعية لم تتوفر بعد لمثل هذه الثورة خاصة وإن وجود السلطان عبد الحميد على رأس السلطة سيكون له تأثير سلبي ، كما وإنه كان يحمل وداً ومحبةً شخصية للسلطان، وكان إبراهيم باشا واثقاً من أن حكم السلطان زائل لا محالة، وعند ذلك فإن زمام الأمور سوف تفلت من يد الحكومة التركية وستكون الفرصة مناسبة للثورة وبالفعل هذا ما تم ولكن المساعدات الانكليزية التي كان من المقرر أن ترد إلى إبراهيم باشا عن طريق البصرة لم ترده، وترك لوحده يقاتل القوات التركية هو وقبائله الكردية والعربية إلى أن قضى نحبه) .

٧ـ **علاقته مع المسيحيين:** على الرغم من تولي إبراهيم باشا قيادة الآليات الحميدية وعلى الرغم من سياسة السلطان العثماني البشعة تجاه الطوائف المسيحية في الإمبراطورية العثمانية إلاّ أن علاقة إبراهيم باشا بالمسيحيين على مختلف طوائفهم تميزت بطابع الرعاية والحماية وتوفير الأمن لهم بل وأكثر من ذلك إنقاذ العديد منهم

أثناء تعرضهم للمذابح الوحشية، وقد أشار إلى هذه الناحية العديد من الباحثين وخاصة المستشرقين الأجانب ومنهم سايكس الذي ذكر في كتابه (ميراث الخليفة الأخير) ص(٣١٥) بأنّ الأرمن الذين كانوا يعملون في التجارة كانوا على أتم الأمان والوفاق طالما كانوا في حدود بلاد العشائر المليـة ويلقون المعاملة اللائقة، كما إن إبراهيم باشا كان يشجع النصارى(الأرمن والكلدان) على النزوح إلى ضواحي ويران شهر وإنشاء سوقٍ في هذه البلدة التي أخذت تنمو وتتسع، وفي الوقت الذي كان رؤساء وقبائل أخرى منهمكين في نهب وقتل الأرمن كان إبراهيم باشا يحمي المسيحيين من كل النحل والمذاهب، وقد قُدر أثناء المذابح التي ذهب الأرمن ضحيتها بأن إبراهيم باشا أنقذ(١٠٠٠٠)أرمني من الهلاك[١٧].

ويقدر الأكاديمي كرد ليفنسكي عدد الذين أنقذهم إبراهيم باشا بالمئات ويفسر ذلك كون هؤلاء أساس ازدهار عاصمة ويران شهر التي يصفها بـ(وليدته المحبوبة) [١٨].

وفي عام(١٩٠٨م) عندما حاصر الأتراك ويران شهر ودخلوها كان إبراهيم باشا مع جيشه في دمشق وعندما عاد أرسل إليه الأهالي يستنجدونه لإنقاذهم من ظلم الأتراك وبالفعل أمر جيشه بالهجوم على الأتراك فانتصر عليهم وأخرجهم من المدينة، وبذلك فقد أنقذ المسيحيين المتواجدين فيها من مذبحة مؤكدة وكان عددهم يقدر بالآلاف .

إن هذا الموقف الإيجابي الذي اتخذه إبراهيم باشا من المسيحيين يؤكد لنا صدق العلاقة الودية التي سادت بين الأكراد والمسيحيين طوال التاريخ الطويل كما يؤكد لنا فشل محاولات وضغوط السلطة العثمانية في سبيل تعكير صفو هذه العلاقات الأخوية وإن اشتراك بعض الأكراد المرتبطين بالسلطة العثمانية بالمذابح ضد المسيحيين وعلى نطاق ضيق يجب ألاّ يحجب عنا المواقف الأخرى التي وقفها الأكراد لمساندة المسيحيين وإنقاذهم، مثلاً ففي كتاب صدر باللغة الروسية في موسكو في العام(١٨٩٧م) باسم(المساعدات الأخوية لأرامنية تركيا المنكوبين) لفت الانتباه بصورة خاصة إلى مساعدات الكرد للأرمن ومواقفهم الأخوية تجاههم، فقد جاء في الكتاب المذكور أنه((كان هناك أغوات كثيرون أنقذوا العديد من الأرمن ولقد أنقذ محمود زاده بيت الله بيك الذي عُرف برجولته وشهامته جميع سكان منطقة مكس من الموت، لم يكن أثناء المذبحة في منطقته ولكن كان يعلم أن الأشقياء سيستغلون فرصة غيابه ويفتكون بالأرمن فعاد على جناح السرعة وجمع حوله(٤٠٠) فارس كردي شجاع وطارد رجال العشائر الكردية(يقصد الفرسان الحميدية ـ ك.م.) الذين كانوا يتجهون نحو مكس

---

(17) د. احمد عثمان أبو بكر : المصدر السابق نفسه ، ص٢٨ . (المؤلف)

(18) د. كمال احمد مظهر : كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى ، هامش ص ٢٩٦.(المؤلف)

للإسهام في المعركة وإن هذا البيك قدم في العام الماضي(٣٠٠)ليرة كتبرع للأرمن فضلاً عن المساعدات الأخرى التي قدمها لهم)) .

في العديد من المناطق كان الأكراد يساعدون الأرمن على الهروب والاختفاء وفي مناطق أخرى لم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقد انضم أكراد كثيرون بأسلحتهم إلى الأرمن ونهضوا لمقاومة رجال الحكومة بقصد وضع حد للمذابح، ولقد برز أكراد درسيم في هذا المجال بشكل خاص فقد انتفضوا مراراً جنباً إلى جنب مع الأرمن ولم يقصروا في مختلف مراحل المذبحة عن تقديم أي مساعدة ضرورية للمنكوبين منهم ولم يكونوا يتوجسون خيفةً من الاتفاق مع زعماء الأرمن بل إنّ ضابطاً كردياً يسمى مصطفى وفا انضم مع القوات التي كانت تحت إمرته إلى الروس للقتال ضد العثمانيين وذلك تنفيذاً لاتفاق من هذا النوع، وهكذا آوى أكراد درسيم أكثر من خمسة آلاف أرمني وأنقذوهم من الموت وقد اعترف الأرمن أنفسهم بمواقف أكراد درسيم الشهمة أكثر من مرة، وإن موقفاً مشابهاً من أكراد مكس أثناء مذابح العام(١٩١٥م) جعلتهم يتقاسمون الضحايا مع إخوانهم الأرمن[١٩] .

وفي أيام حرب القرم انفجرت حركة شعبية أخرى بقيادة يزدان شير وهو من أقارب بدرخان باشا عندما تحركت الجيوش التركية إلى الشمال للقيام بالحرب ضد روسيا، قام يزدان شير بحركته في هكاري وبوتان في سنة(١٨٥٥م) فاحتل بتليس والموصل وانحدر جنوباً حيث استولى على جميع الأراضي التي تقع بين وان وبغداد وكان انكسار الجيوش التركية شديداً وقد قتل خلق كثير من الموظفين والجنود الأتراك، ومما تجدر الإشارة إليه هو أنّ الحركة لم تكن ضد المسيحيين وإنما بالعكس فإن النسطوريين واليونانيين الذين كانوا يعيشون في كردستان قد نهضوا أيضاً وحاربوا تحت راية يزدان شير .

وفي التسعينيات من القرن الماضي حاول الأتراك استغلال الأكراد للغدر بجيرانهم الأرمن إلاّ أن الموقف الرائع الذي وقفه الشيخ عبيد الله سوف يبقى صفحة ناصعة في التاريخ، وقد اقترح بعض أنصار الشيخ عليه القيام بمذابح ضد المسيحيين، فقال الشيخ : (نحن الأكراد يحتاج إلينا الترك الآن للقضاء على المسيحيين وإذا ما أبدنا المسيحيين سيقضي الأتراك علينا)[٢٠] .

---

(19) كمال احمد مظهر : كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى ، ص ٧٩٧ ـ ٢٩٨٢.(المؤلف)

(20) مينورسكي : الأكراد ملاحظات وانطباعات ، ص٤٠ ـ ٤٣. (المؤلف)

٨ـ عاصمة إبراهيم باشا: ويران شهر هي عاصمة إبراهيم باشا، وقد شيدها فوق أطلال مدينة أثرية قديمة كانت تسمى بـ (السويداء) أيام الفتوحات الإسلامية وقد ازدادت أهمية ويران شهر وهي تجتذب إليها الثروة والقوافل التجارية على الرغم من قربها من مدينة أورفا مركز الولاية والسبب في ذلك يعود إلى مكانة صاحبها وعظمة بأسه وقوته حتى إنه يمكننا القول بأنها كانت عاصمة الشرق التركي بأسره .

وقد شجع إبراهيم باشا الأرمن والكلدان للنزوح إلى عاصمته من أجل المساهمة في تطويرها كما جلب إليها التجار والحرفيين من مختلف المدن، من أورفا وديار بكر وسويرك وماردين وأقيمت فيها الأسواق والقصور والحدائق والبساتين وكافة المرافق الحيوية، وفي أطرافها بنيت القرى التي ضمت مختلف الطوائف والملل دون تمييز وكانت حوالي أربعمائة قرية على أقل تقدير .

كان إبراهيم باشا يقيم في عاصمته خلال فترات معينة من السنة حيث يتوافد إليه الناس من مختلف الجهات لمعالجة سائر الأمور التي تهمهم، وعندما يغادر عاصمته وقصوره المبنية كان يتخذ من خيمته مسكناً له في السهول هذه الخيمة المصنوعة على الطراز الكردي يرفعها أكثر من(١٠٠) عامود ومقسمة إلى قسمين قسم للرجال والضيوف وقسم للنساء(الخواتين)حريم البيكوات، وكامل الخيمة كانت مفروشة بأفخر أنواع السجاد والبسط، وفي يوم الرحيل كانت الخيمة تحمل من قبل خمسين مای ـ أي جمل ذو سنامين ـ وجهامة إبراهيم باشا يوم الرحيل كانت تتألف من أكثر من خمسمائة جمل لحمل العدة والمؤونة وغيرها، ويصف سايكس يوم الرحيل قائلاً :

(أصدر الباشا أوامر بحل الخيام والاستعداد للرحيل ولم تمض أكثر من ساعة ونصف الساعة من الوقت حتى كانت جميع القافلة المحملة التي لم تكن تقل عن ألفين من المطايا آخذة بالحركة، واستغرقت وقتاً أكثر بقليل لنصب المعسكر مرة أخرى، وخلال الرحلة ركب الباشا ذلولاً يافعاً أبيض اللون على رأس القافلة وسار خلفه خمسون فارساً من خاصة رجاله وقطيع من(١٥) من كلاب الصيد، كان الجميع يشكل منظراً عجيباً أخاذاً)[٢١] .

وشبه سايكس مخيم إبراهيم باشا بمخيم آتيلا، كما إنه اعتبر خيمة إبراهيم باشا هي أكبر من خيمة سارا برنارد التي كانت تعتبر من أكبر الخيام في الشرق الأوسط.

---

(21) د. احمد عثمان أبو بكر : المصدر السابق ، ص٤١. (المؤلف)

وكبر جهامة الباشا كانت تقدر بمساحة عشر كيلو مترات مربعة، ويقال بأن الطير لم يكن ينزل إلاّ على رأس إنسان أو حيوان .

وإن رحلته الخريفية هذه كانت عادة باتجاه جبل عبد العزيز والسهول المحيطة به، حيث إن هذه المناطق كانت تحت سلطته المطلقة ويمنع العشائر الأخرى التي لا يرضى عنها من التمادي فيها، وبعد انتهاء فصل الشتاء كان الباشا يعود إلى عاصمته ويران شهر حيث يمكث فيها بعض الوقت ثم يغادرها ثانيةً لقضاء فصل الصيف في مصيفه في جبل قره داغ بمنطقة اسمها(مام دل) .

وفي فترة الإقامة في العاصمة كان يستقبل ممثلي السلطان العثماني والولاة إما في قصره وإما في خيم تنصب لهم، ومن أجل تأمين مستلزمات الضيوف والزوار كان هناك عدد كبير من الطباخين الأرمن والأتراك ووكيل عام للغرف وهؤلاء كانوا مسؤولين عن إعاشة الضيوف سواء أكان الباشا موجوداً أم غير موجود، حيث كانوا يعدون الطعام يومياً لحوالي خمسمائة شخص من الضيوف، وهكذا فأن عاصمة إبراهيم باشا ويران شهر كانت عاصمة بلاد واسعة واقعة ما بين البحر الأسود شمالاً ودير الزور جنوباً ونهر الفرات غرباً والموصل شرقاً، وقد ازدهرت في ظله وبقيت هكذا إلى أن دخلها الأتراك الذين عاثوا فيها فساداً وخراباً وحتى قصر إبراهيم باشا فقد حولوه إلى أكوام من الحجارة كما توضح ذلك الصورة في آخر الكتاب.

أسطورة إبراهيم باشا الملي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين لسان حال الشرق الأوسط : حيث إنه كان يملك جيشاً جراراً يتكون من عشرين ألف فارس ضمن ما يسمى بـ (الآليات الحميدية) وبذلك تعتبر قوته القوة الضاربة الوحيدة في المنطقة وهذا ما يفسر لنا إصرار السلطان عبد الحميد على تكليفه بكافة المهام والحروب التي تكون على درجة كبيرة من القساوة .

٩- ثروة إبراهيم باشا: كان إبراهيم باشا ثاني رجل في الشرق بعد السلطان عبد الحميد غنىً، وقد بلغت ثروته رقماً غير عادي حيث كان يملك مساحة سبعة ملايين دونم من الأراضي الزراعية عدا أراضي مدينة ويران شهر، ففيها عشرة قطعان من الإبل وخمسمائة قطيع من الغنم و(١٥٠٠٠) حصان عدا الخزائن المملوءة بالذهب والمجوهرات الثمينة والقصور المكدسة بأثمن السجاد الفارسي .

ومن الجدير بالذكر أن إبراهيم باشا كان قد أنشأ أنفاقاً تحت الأرض بعد خلع السلطان عبد الحميد ودفن فيها ملايين الليرات الذهبية وأن الاتحاديين قد كشفوا

قسماً منها وصادروها[*]، وإن مصدر ثروة الباشا هذه كانت تعود بالدرجة الأولى إلى الاستقرار والأمان الذي وفره الباشا في إمارته المترامية الأطراف حيث أخذت هذه الإمارة تجتذب إليها الثروة والقوافل التجارية كما أن الباشا مدَّ العاملين بالتجارة والصناعة برؤوس الأموال اللازمة من أجل تنشيط الحركة التجارية والصناعية في إمارته(كما هي الحال في المصارف الآن) والمصدر الآخر لثروته هو فرضه للضريبة على كافة الأموال والمتلكات والقوافل وكانت تسمى (الباح) وهذه الضريبة كانت تجبى لحسابه الخاص ولا يعطي منها شيئاً للسلطان، فضلاً عن الأموال التي كانت تقدم له من رؤساء العشائر التابعين له كهدايا .

١٠ـ سجن إبراهيم باشا: كان للباشا سجناً خاص به وكان اسم السجان عواد العبد(...) حيث كان يودع فيه أولئك الأشخاص الذين يرتكبون الأخطاء التي لا يرضى عنها الباشا وبعد أن يقضي الموقوف عقوبته كان الباشا يتركه وشأنه وفي بعض الأحيان كان يعطيه مبلغاً من المال تشجيعاً له لعدم ارتكاب مثل هذه الأفعال التي سجن من أجلها .

١١ـ المستشار الخاص لإبراهيم باشا: كان للباشا مستشار خاص هو (ملا خليل) وكان برتبة قائمقام وهذا المستشار هو الوسيط بين الباشا والسلطان العثماني حيث كان له صلاحية الدخول على الباشا في أي وقت يشاء وبدون إذن وكان يدخل قصر السلطان أيضاً بنفس الأسلوب .

ومن الجدير بالذكر أن هذا المستشار كان في آخر أيام إبراهيم باشا قد تحالف مع الأتراك سراً ضد إبراهيم باشا وبذلك خان الأمانة والثقة المطلقة التي أولاه إياها إبراهيم باشا فكان عقابه شديداً من قبل أولاد إبراهيم باشا حيث سجنوه لدى السجان عواد العبد وبقي في السجن إلى أن توفي .

---

[*] قد يكون في كلام المؤلف شئ من المبالغة، ولكن المصادر تذكر ان ابراهيم باشا الملي كان شخصاً غنياً على مستوى السلطنة العثمانية بكاملها، وكان السلطان عبدالحميد الثاني وحده من يفوقه غناً وثراءً.

الفصل الرابع

الباشوات بعد إبراهيم باشا

١ـ الباشوات بعد إبراهيم باشا
٢ـ العلاقة مع الأتراك
٣ـ العلاقة مع العشائر العربية
٤ـ العلاقة مع الأجانب
٥ـ عودة الباشوات إلى ويران شهر مرة أخرى ونزوحهم عنها
٦ـ الباشوات في رأس العين
٧ـ زيارة قائد قوات الشرق الأوسط للباشا في عام(١٩٤٣م) ، زيارة الباشوات للقدس
٨ـ زيارة مدام هلو(زوجة المفوض السامي الفرنسي العام) للباشوات في رأس العين
٩ـ الكرم وعمل الخير عند الباشوات
١٠ـ الزواج عند الباشوات
١١ـ الموسيقى عند الباشوات
١٢ـ نبذة عن حياة محمد علي بك بن خليل بك بن إبراهيم باشا
١٣ـ الخاتمة

١ـ الباشوات بعد إبراهيم باشا: توفي إبراهيم باشا في ظروف حربية قاسية حيث كانت القوات التركية التي توافدت من عدة جهات تتعقب قواته وكذلك فإن العشائر المعادية له وبإيعاز من السلطة التركية قطعت الطريق بينه وبين جبل سنجار فأضطر أولاده وهم : عبد الحميد ومحمود وإسماعيل وخليل وعبد الرحمن وتيمور بالتوجه شمالاً بعد أن كانوا قد وصلوا قرب الحسكة(صفيا) وعندما وصلوا شمال نصيبين وبالقرب من زين العابدين حاصرتهم القوات التركية حيث دارت رحى معركة بين قوات عبد الحميد بك(الابن الأكبر لإبراهيم باشا) والقوات التركية وبسبب التفوق التركي الكبير في العدد والعدة كانت الغلبة لهم، وهنا أشارت زوجة إبراهيم باشا (خنسا باشا) على أولادها بضرورة إنهاء الثورة بغية الحفاظ على ما تبقى من القوات والأموال لأن استمرارها في مثل هذه الظروف يعني الانتحار للجميع .

ومن الجدير بالذكر أن هذه المرأة وتمشياً مع الأخلاق الكردية كانت ذات مكانة عالية وكان نفوذها يوازي نفوذ زوجها إبراهيم باشا وهي كردية من قبيلة خلجان وابنة كبيرهم (بيت داود)، وفي أيام إبراهيم باشا كانت تجلس في ديوانها الخاص بها حيث تستقبل كبار الزوار من رسميين وشيوخ وأغوات ومن المعروف عنها أنه كان يشترط فيمن يزورها من كبار الشخصيات القبلية أن يقبل رأسها تعبيراً عن الاحترام والولاء لها[*] .

وبالفعل فقد عملوا بما أشارت عليهم والدتهم(خنسا باشا) واستسلموا للأتراك فاعتقلتهم السلطات التركية ومعهم قادة الثورة ومنهم حسين قنجو وبشار أغا ومحمد بك شقيق إبراهيم باشا ومحمد أغا وعمر أغا كوران وسنان أغا وخلف العلو كبير عدوان، وبعد أن أفرجوا عن النساء وصغار السن ساقوا البقية إلى سجن ديار بكر، وهناك توفي عبد الحميد مسموماً وبعد خمس سنوات أفرج عن المعتقلين وأعيدت لهم قراهم حيث كانوا مسجونين بطرابزون .

---

[*] عرف عن المجتمع الكوردي دوماً احترامه للنساء وتقديرهن تقديراً عالياً، وكان ذلك سبباً في جلوس بعضهن على كرسي الحكم خلال فترات متباعدة، واشهرهن كانت الاميرة السورانية (خانزاد) خلال فترة القرن السابع عشر والتي حكمت الامارة بحنكة ودراية، الامر الذي حبب فيها ابناء الامارة وتذكروا لها أياديها البيضاء عليها.

٢ـ العلاقة مع الأتراك: تميزت علاقة الباشوات بالأتراك بالصفة العدائية لأنها تولدت في ظروف حربية وقد تأصلت هذه الصفة العدائية خاصة بعد أن قتل الأتراك عبد الحميد بك بالسم في سجن ديار بكر، وبعد أن نهبوا ما استطاعوا نهبه من أموال الباشوات وأعوانهم، ولكن نظراً لسوء الأوضاع الداخلية في الإمبراطورية العثمانية نتيجة للثورات التي اندلعت في البلقان، وكذلك حالة الغليان السائدة في الأقطار العربية ورغبة شعوبها في التحرر من السيطرة التركية، وسعي الدول الغربية لاقتسام الإمبراطورية، حاول الاتحاديون التقرب مجدداً من الباشوات وكان الباشوات أنفسهم بحاجة إلى تحسين العلاقة معهم بغية إعادة بناء قوتهم السابقة وبالفعل أُعيد تشكيل القوات الخاصة وبذات التسمية السابقة (الآليات الحميدية)[*] وكانت بقيادة خليل بك ابن إبراهيم باشا وبمساعدة شقيقه تيمور بك النجل الأصغر لإبراهيم باشا، أما محمود بك وإسماعيل بك فكانا مسؤولين عن إدارة شؤون القبيلة، وفي هذه الفترة اشتركت قوات الباشوات بقيادة خليل بك بالحروب التي خاضتها الدولة العثمانية في بلغاريا وروسيا وقد تحسنت أوضاع الباشوات حيث جمعوا شمل قبائلهم وأعادوا بناء مدينتهم ويران شهر، ولكن في عام١٩١٧ حاولت قبيلة قره كيج الكردية النيل من الباشوات انتقاماً من والدهم فجرد الباشوات عليهم حملة تأديبية وانتصروا عليهم وصادروا جميع ممتلكاتهم، وعلى إثر ذلك ونظراً للصلة الجيدة بين قره كيج والأتراك استجد الخلاف بين الباشوات والأتراك حيث اعتبروا أن هذه الحركة بداية إشعال ثورة جديدة ضدهم غايتها الاستقلال بالأكراد وتكوين دولة مستقلة، ولكن الأمر لم يصل الى حد نشوب المعارك بين الطرفين بسبب إدراك السلطة التركية لأوضاعها الداخلية والخارجية وعدم رغبتها بفتح معارك إضافية في الوقت الحالي .

٣ـ العلاقة مع العشائر العربية: كانت علاقة الباشوات بالعشائر العربية استمراراً لعلاقة والدهم لذلك تميزت بالصداقة والود وقد تبادلوا الرسائل والهدايا مع عدد من الشخصيات والأمراء العرب، وفي فترة كان الشيخ رمضان الشلاش وهو من شيوخ العكيدات وضابط سابق بالجيش التركي واسطة الاتصال بين الطرفين .

---

[*] غيرت التسمية الى الافواج الخفيفة وافواج العشائر الاتحادية او اوغوز، لانه من غير الممكن بقاء التسمية القديمة (فرسان الحميدية).

ولكن هذه العلاقة الجيدة لم تكن مع جميع العشائر العربية بل إن علاقتهم مع البعض منهم كانت متوترة حتى أنهم خاضوا حروباً مع قسمٍ منهم، ففي عام١٩١٨ حاولت عشائر العنزة العراقية السورية مهاجمة الباشوات بقيادة شيوخهم ابن هذال وابن مقشيش وابن مجلاد ولكن الباشوات تصدوا لهم وقاتلوهم حتى أحرزوا النصر الحاسم عليهم فصادروا كافة ممتلكاتهم ومواشيهم،وقد ذهب مئات الضحايا في هذه المعركة ومن بينهم ابن عرنان الذي دفن في خربة عرنان، كما شن الباشوات غزوات عديدة على شمر وكان يقود معظم هذه الغزوات عبد الرحمن بك وكان فارساً شجاعاً وفي إحدى غزواته ضدهم أسر مدفعاً ولقب بالأعوج لشراسته في الحروب والغزوات.

علاقة إبراهيم باشا مع العشائر العربية في سوريا والعراق:

كانت هذه العلاقة قوية جداً حيث كانت هناك اتصالات دائمة وشبه متصلة بين إبراهيم باشا وبين هذه العشائر وعلى الأخص شيوخ عشائر عنزة مثل ابن شعلان وكذلك شيوخ كل من السبعة والحسنة و(...) .

ـ أما بالنسبة لعلاقته مع عشيرة شمر فلم تكن تتسم بالهدوء والاستقرار بل كانت مضطربة حيث إن شمر كانت العشيرة الوحيدة التي استمرت بينها وبين إبراهيم باشا المناوشات والحروب حيث إن العداء بين هذه القبيلة وإبراهيم باشا كان واضحاً.

والجدير بالذكر إن هذه العشيرة هي الوحيدة التي لم تعقد صلحاً حقيقياً مع إبراهيم باشا وقد جرت عدة وقائع بين إبراهيم باشا وعشيرة شمر وكانت الأفضلية دائماً له، ففي إحدى الوقائع أسر إبراهيم باشا كل من علي الشيوخ وحمد الشيوخ وهم من مشايخ شمر وعلى إثر ذلك قام فارس شيخ شمر يجمع لمام عشائره وهاجم إبراهيم باشا إلاّ أنه خسر المعركة تاركاً كل أمواله وأفراد عشائره وراءه وكانت هذه الهزيمة خاتمة مؤقتة للحروب بين شمر والباشوات حيث بقي الوضع هادئاً مدة سنتين ثار بعدها الهادي على القبائل المجاورة له واستغل قوته لفرض الأتاوات عليها مما اضطر إبراهيم باشا مرة أخرى أن يشن حملة تأديبية ضد الهادي وابنه العاصي حيث إن هذه الحملة كانت من القوة بحيث اكتسحت هذه العشيرة واضطرتهم إلى التراجع إلى الحدود العراقية.

ـ أما بالنسبة لعلاقة إبراهيم باشا مع عشائر الجبور وطيء والعكيدات فقد كانت جيدة جداً وبالذات مع عشيرة طيء وهذا أمر طبيعي فهي عشيرة أخواله .

وكذلك كان الأمر بالنسبة لعشيرة الجبور وعلى وجه الخصوص شيخها مسلط باشا والذي كان يعتبره بمثابة الأخ وقد قويت العلاقة بشكل أكبر خاصة عندما زوج إبراهيم باشا ابنه عبد الحميد من ابنة مسلط باشا وقد كان إبراهيم باشا يقدم كل الدعم اللازم لهذه العشيرة .

ـ أما بالنسبة لعشائر البكارة وهي بكارة الزور وبكارة الجبل وبكارة رأس العين وعشيرة عدوان والعبرة وحرب فكانوا الكل بالكل عند إبراهيم باشا وهم اشد أنصاره إخلاصاً له وخاصةً عشيرة عدوان والتي كانت بمثابة اليد اليمنى لإبراهيم باشا والذين يعتمد عليهم في أغلب غزواته ولم يكونوا يرفضون له أي طلب وكانوا يسيرون كافة أمور إبراهيم باشا الزراعية والاقتصادية لذلك حظيت هذه العشيرة بمكانة خاصة لدى إبراهيم باشا نظراً للخدمات التي كانوا يقدمونها له والولاء الدائم لقائدهم وقد اعتبرت عشيرة عدوان جزءاً من عشائر الملية .

علاقة إبراهيم باشا مع القبائل الكردية الشمالية: المقصود بها قبائل السرجه، حسنان، زركان، حيدرا، ايزولا، شكاكا، حيث إن هذه القبائل جميعها تحالفت مع إبراهيم باشا، وكانت تنظر إليه على أنه الزعيم الروحي لها، وعندما قام إبراهيم باشا بتشكيل الرايات الحميدية كان لهذه القبائل الدور الكبير ضمن صفوف هذا الجيش حيث إن غالبية عناصر هذا الجيش كانت من أفراد القبائل السالفة الذكر .

علاقة إبراهيم باشا مع أمراء الخليج العربي: لقد كان لإبراهيم باشا الملي علاقات واسعة مع العشائر المتواجدة في الخليج العربي وما سمي بالمملكة العربية السعودية حالياً ومع الهاشميين وكان رمضان باشا الشلاش هو ضابط الاتصال بين إبراهيم باشا وهذه القبائل وعلى وجه الخصوص الهاشميين، كما كان عقاب بن عجيل ممثل ابن رشيد في اسطنبول هو ضابط الاتصال بين ابن رشيد وإبراهيم باشا.

وكان إبراهيم باشا على اتصال دائم مع هذه العشائر حيث يتبادل معها الرسائل والهدايا، ولقد كانت علاقة إبراهيم باشا مع عشائر الخليج العربي ودية حيث إنه ونظراً لفقر أغلب هذه العشائر كان أمراءهم وخاصة ابن صباح على علاقة قوية بإبراهيم باشا وكانوا يزورونه بشكل مستمر في مقره الصيفي في جبل قره جداغ في

كل عام ويمكثون عنده فترة معينة ثم يغادرونه محملين بالأموال والهدايا التي كان إبراهيم باشا يقدمها لهم .

وكذلك الأمر كان بالنسبة لأبن سعود الذي كان وقتها لاجئاً في الكويت حيث إن علاقته كانت متينة مع إبراهيم باشا .

ومن هنا نستنتج أن علاقات إبراهيم باشا مع هذه القبائل كانت متينة للغاية وكان هذا الأمر مقصوداً من قبل إبراهيم باشا، والقصد الذي كان يرمي إليه هو جمع هذه القبائل وكسبهم إلى صفوفه والاستفادة من دعمهم عند إعلانه الثورة على الأتراك .

علاقة أولاد إبراهيم باشا بالبدرخانية: كان للباشوات علاقات قديمة بالبدرخانية (البدرخانيين نسبة لبدرخان باشا امير امارة بوتان) على اعتبار أن كل واحد منهم كان زعيماً على إمارته، وقد تطورت هذه العلاقة فيما بينهم تطوراً كبيراً توصل في النهاية إلى عقد تحالف بين أيوب بك والبدرخانية وصفوك شيخ شمر وذلك من أجل القيام بالثورة ضد العثمانيين إلاّ أن هذه الثورة فشلت وانتصر العثمانيون وكان السبب في ذلك هو لجوء العثمانيين إلى التمسك بالدين الإسلامي كأداة لجمع شمل جميع العشائر وحشدها ضد هذه الثورة وبالفعل كان لذلك أثر كبير حيث إن أغلب العشائر العربية وبعض العشائر الكردية دعمت السلطة العثمانية التي وجهت قوة كبيرة قامت بإخماد هذه الثورة وكان ذلك في عام(١٨٥٤م) حيث تم إلقاء القبض على زعماء العشائر الثلاث الذين قاموا بالثورة وأودعوا السجن وبقوا فيه إلى أن توفوا .

ـ إلاّ أن هذا لم يؤثر على العلاقة بين الباشوات والبدرخانية فقد بقيت العلاقة بينهم مستمرة ومتينة إلى عصر إبراهيم باشا بحيث أن العلاقة توطدت بشكل أكبر من ذي قبل وذلك بسبب السياسة التي كان يتبعها إبراهيم باشا في سعيه إلى إنشاء إمارة كردية وبالتالي كان لا بدّ له من تقوية العلاقة بشكل كبير مع هذه العائلة التي كان لها باع طويل في النضال ضد العثمانيين من أجل تأسيس الإمارة الكردية المستقلة، وقد استمرت العلاقة أيضاً بعد وفاة إبراهيم باشا، فبعد فشل الثورة التي قادها بدرخان بك ونفيه إلى اسطنبول بقيت العلاقة قوية بين أبناء إبراهيم باشا وأفراد هذه العائلة، ففي هذه الفترة ـ أي قبل الحرب العالمية الأولى ـ وقد سبق وذكرنا أنه حصل تقارب بين الباشوات والأتراك وتم تقوية العلاقة من جديد خاصة عند مشاركة كل من خليل بك وتيمور بك في حرب البلقان ولكن هذا التقارب كان ظاهرياً

حيث إن أولاد إبراهيم باشا استغلوا الرضا عنهم من قبل الأتراك ليقوموا بشكل سري بالالتقاء مع البدرخانيين والآشوريين والأرمن وبعض الزعماء العرب المنفيين إلى اسطنبول وذلك للتمهيد مرة أخرى لتحالفات جديدة من أجل القيام بثورة جديدة ضد الأتراك وكان ذلك بمباركة فرنسية انكليزية من أجل تقسيم السلطنة العثمانية وإعطاء كل الفئات السالفة الذكر الحقوق والأهداف التي يسعون إليها .

وقد تم الاتفاق على موعد للثورة وبالفعل وبعد أن بدأت الثورة العربية الكبرى ضد الأتراك وبمساعدة الانكليز والفرنسيين تم انسحاب العثمانيين من جميع الدول العربية التي حصلت على ما وعدهم به الانكليز غير إن الخاسر الأكبر كان هو الشعب الكردي والقضية الكردية والسبب في ذلك يعود إلى مصطفى كمال حيث إنه وبعد الوضع المتردي الذي آلت إليه الدولة التركية هدد بإدخال الأسطول الروسي في حالة استمرار دعم الانكليز والفرنسيين للشعوب الخاضعة للأتراك، وخاصة الأكراد مما اضطر الانكليز والفرنسيون إلى نكث عهودهم مع الأكراد، وفئات أخرى كالأرمن ولم يقوموا بمدهم بالدعم الذي وعدوهم به مما مكن الأتراك من السيطرة على الوضع فكان الرابح الوحيد هو الشعب العربي الذي نال استقلاله وبقيت القضية الكردية معلقة ولم يتمكن الأكراد من تحقيق حلمهم الذي كان قريب المنال .

وان دعم الأكراد لم يكن خيانة للقضية الكردية بل كان نتيجة للتغيير الحاصل في الوضع الدولي والذي نجم عن انتصار مصطفى كمال في حرب سقارية ضد اليونان الأمر الذي دفع بهم إلى التحالف مع مصطفى كمال وتأجيل البحث في القضية الكردية، وذلك ضماناً لمصالحهم في المنطقة التي تأتي في الدرجة الأولى وهذا أمر بديهي بالنسبة للسياسة الانكليزية والفرنسية في المنطقة .

ـ وعلى الرغم من هذا الوضع الحاصل في المنطقة حاول البدرخانيون الذين توجهوا إلى أوربا وخاصةً فرنسا بمحاولاتٍ شتى من أجل تأمين الدعم اللازم للقضية الكردية، إلاّ أن جهودهم هذه لم تثمر شيئاً وبقي الأمر على ما هو عليه وعند اعتراف البدرخانيين بعدم جدوى أي عمل واعترافهم بالواقع عادوا إلى سوريا وسكنوا مدينة حلب وفيها عادت العلاقة من جديد بينهم وبين آل إبراهيم باشا وقاموا بتشكيل

جمعية(خيبون) وكان رئيسها الفخري محمود بك إبـراهيم باشـا[*] والـتي كانـت تعنـى بالقضية الكردية والشعب الكردي وكنوع من أنواع الكفـاح الـسياسي وكانـت اجتماعـات هذه الجمعية تتم في حلب وأحياناً في مدينة رأس العين معقل آل إبراهيم باشا .

وقد حضر اجتماعات هذه الجمعية شخصيات كردية هامـة وكـثيرة مـنهم حـاجو أغا ومصطفى بك شاهين وأخوه بوزان شاهين وجميل باشا ونـايف باشا وزعمـاء كـرد كرشـيد أغـا، وفي عـام١٩٣٧ في ناحيـة عـامودا تم عقـد اجتمـاع طـوبز في قريـة بجانـب عامودا وحضرتها جميع الشخصيات السابقة الذكر وتم الاتفاق مع الفرنـسيين علـى أن يتـم تقسيم الجزيرة إلى قسمين : شمالي للأكراد وجنوبي للعرب علـى أن يـرأس القـسم الشمالي إما محمود بك إبـراهيم باشـا أو جـلادت بـدرخان إلاّ أنـه ومـع الأسـف ونتيجـة لسوء حظ الأكراد لم يـتم تنفيـذ أي شـيء مـن هـذا نتيجـة لخـروج فرنـسا مـن سـوريا عام١٩٤٢ ومن ثم طويـت صـفحة القـضية الكرديـة مـن جديـد لتبـدأ معانـاة الأكـراد في سبيل تحقيق قضيتهم[*] .

٤ـ العلاقـة مـع الأجانـب : سـبق وأن ذكرنـا بـأن إبـراهيم باشـا كانـت لـه علاقـات وصداقات متينة مع العديد من الشخصيات السياسية والعلمية الأجنبيـة ومـنهم البـارون اوبنهايم الألماني واللورد سايكس والفونستين الانكليزيـان وغيرهـم، وبعـد الحـرب العالميـة الأولى وازدياد التدخل الأوربي في شؤون الدولة العثمانية، حاولت الدول الغربيـة الاتـصال مجدداً مع الباشوات بغيـة التعـاون معهـم في سـبيل فـرض شـروطهم عليهـا ولأنهـم كـانوا يدركون مدى رغبة الباشوات في التخلص من السيطرة التركية عليهم.

وبالفعل فقـد اتـصل بهـم في عـام١٩١٨ الميجـر الانكليـزي نوئيـل(لـورانس الكـردي) وكان مرسلاً من قبل صديقهم القديم سايكس الذي كان يتفاوض بـدوره مـع الـشريف حسين من أجل الإعداد للثورة العربية ضد الأتراك .

---

[*] لم تذكر المصادر المعنية بظروف نشأة ونشاطات خويبون انه كان لمحمود بك ابراهيم باشا منصب الرئاسة الفخرية للجمعية. ويجوز ان دور المذكور كان مؤيداً للجمعية مثل غيره من الرؤوساء الكورد المتنفذين. ليس اكثر.

[*] لمعرفة المزيد عن السياسة الفرنسية تجاه الكورد في سوريا خلال فترة انتدابها على سوريا ينظر: علي صالح ميراني، الحركة القومية الكوردية في سوريا ١٩٤٦-١٩٧٠، (دهوك،٢٠٠٤).

فأخبرهم نوئيل(لورانس الكردي) بأن الشعوب العربية وكذلك شعوب البلقان قد ثاروا ضد الأتراك وعلى الأكراد أيضاً أن يثوروا ضد الأتراك وذلك بغية تأسيس دولة كردية مستقلة بقيادة محمود بك وإن الجيش الانكليزي سوف يقدم لهم المساعدات اللازمة، وبالفعل تم الاتفاق بين الطرفين على الإعداد للثورة وتجميع القوات ولكن السلطة التركية أدركت ذلك فدعت محمود بك إلى ديار بكر وألقي القبض عليه حيث سجن هناك، وعلى العموم أثار الوضع في كردستان تركيا مخاوف كبيرة لدى السلطات البريطانية في استانبول وفي بغداد على حد سواء فقد كان الصراع يجري هنا بين ثلاث قوى سياسية رئيسة في المجتمع التركي آنذاك وهي : أنصار حكومة السلطان التي لم يكن لها شعبية كبيرة والموالون للانكليز، والاتحاديون الذين حافظوا على نفوذهم في أماكن كثيرة، والكماليون الذين كان عددهم يشتد يوماً بعد يوم .

وحاولت هذه القوى جميعاً استغلال السكان الأكراد الذين طالبوا عفوياً بحق تقرير المصير لكنهم كانوا محرومين من قيادة سياسية وهادفة لأغراضها السياسية وأصبح الشعب الكردي المحب للحرية والمناوئ للاستعمار عرضة لاحتيال مكشوف وقد برز في" زمن الفتنة" هذه عدد من المرشحين للقيام بدور رئيس الدولة الكردية الغامضة، وهؤلاء كانوا باستثناء شريف باشا ـ الذي لم توله بريطانيا الثقة ـ عبد القادر والبدرخانيون ووجه جديد هو زعيم اتحاد عشيرة الملي القوية محمود بك ابن إبراهيم باشا الذي كان شهيراً حين أودعه الأتراك السجن أثناء الحرب، وفي أعقاب الحرب قامت السلطات التركية في جنوب شرق الأناضول الذي كان يقع تحت نفوذ الاتحاديين بإطلاق سراح محمود بك من السجن ووعدته بفرض سلطته على معظم أكراد الملي(الذين عاشوا إلى الغرب من نهر الفرات) فيما إذا قام بتنظيم المقاومة ضد الانكليز وطردهم من منطقة أورمية، إلاّ أن محمود بك لم يبد استعداداً للقيام بهذه المهمة الملقاة على عاتقه وفضلاً عن ذلك أقام علاقات مع الانكليز وبدأ يبرز بصفته مرشحاً (لمنصب فرضي لحاكم كردستان موحدة) لكنه لم يفلح هنا أيضاً[٢٢] .

ونتيجة لذلك تأجل تنفيذ الاتفاق بين الطرفين وبعد أن أفرج عنه انتفض الباشوات ضد الأتراك وخاضوا عدة معارك ضدهم ولكن الانكليز لم يقدموا لهم المساعدات التي وعدوا

(22) م . س. لازاريف: المسألة الكردية (١٩١٧ ـ ١٩٢٣م)، ص١١٥. (المؤلف).

بتقديمها فخسروا معاركهم هذه واضطروا لمغادرة مدينتهم ويران شهر مرة أخرى والتوجه إلى دير الزور* .

وفي عام (١٩٢٠م) كانت القوات الفرنسية قد وصلت إلى لبنان وقد أعلن الفرنسيون أنهم سيساعدون العرب والأكراد ضد الأتراك وما أن سمع الباشوات بذلك حتى توجه إسماعيل بك وتمر بك بأمر من محمود بك لمقابلة الجنرال دولاموت قائد القوات الفرنسية في حلب، وبالفعل تمت المقابلة وعقدوا معه اتفاقاً ينص على ضرورة التعاون بين الطرفين ضد الأتراك كما نص الاتفاق على تعهد فرنسا بتحقيق استقلال كردستان وإعلانها دولة مستقلة بقيادة الباشوات، وهناك في حلب قدم الفرنسيون للباشوات كميات هائلة من الأسلحة ومساعدات مالية أيضاً، وحيث إن المخافر التركية كانت لا تزال متواجدة في مناطق دير الزور ونواحيها، فتوجهت قوات الباشوات من حلب نحو دير الزور للقضاء على تلك المخافر وهناك وقعت معارك بين الباشوات من جهة والعكيدات من جهة أخرى انتصر فيها الباشوات حيث دخلوا دير الزور والبصيرة والبو كمال والميادين وتم القضاء على النفوذ التركي هناك* واستلموا السلطة بمدينة دير الزور أكثر من عام وبعد ذلك تابعوا تقدمهم باتجاه الحسكة ورأس العين وهم في طريقهم إلى عاصمتهم ويران شهر ولكن ما أن وصلوا رأس العين حتى أعلمهم الفرنسيون بضرورة التوقف عن محاربة الأتراك وذلك نتيجة لتحسن العلاقات بين الأتراك والفرنسيين، وعندما ذكرهم الباشوات بوعودهم بتأسيس دولة كردية

---

* حول تلك المسألة جاء مقال في مجلة روژا نو، بعنوان (مذبحة آل إبراهيم باشا ١٩١٩)وفيها تأسف لما وصلت إليها أحوال الأسرة وكيف أن الأتراك قد غدروا بإبراهيم باشا أولاً ومن ثم أبنائه، للمزيد من التفاصيل ينظر: Ebdilahadi Mihomed, Fermana Mala Brahim Pasa Sala 1919, Kovara Rojanu, Hejmar (12 - 13), Sal (1) Dusemb 19 Tirmeh 1943, Rapel 2

* في أعقاب الهزيمة العسكرية التي منيت بها تركيا وحليفتها المانيا على أيدي الحلفاء، انسحب الأتراك من دمشق في ٢٧ أيلول ١٩١٨، ومن حلب في ٢٥ تشرين الأول، و وقعت تركيا الهدنة مع الحلفاء في مودرس في جزيرة لمنوس في ٣٠ تشرين الأول، وأتمت انسحابها الكامل من سوريا في ١٢ تشرين الثاني بعد أن أخلت منطقة ديرالزور، وتسلمت القوات العربية التي أرسلها الشريف حسين بقيادة ابنه الأمير فيصل لحكم سوريا بمساندة القوات البريطانية، د. عبد الكريم رافق، من تاريخ سوريا الحديث العلاقات السورية ـ التركية ١٩١٨ ـ ١٩٢٦، مجلة دراسات تاريخية، العددان (١٩ ـ ٢٠)، دمشق، نيسان ـ تموز ١٩٨٥، ص٥٧ .

مستقلة قالوا بأن الظروف الدولية قد تغيرت الآن وإن الأتراك هم أصدقاء لنا، ولا نسمح بأي إزعاج لهم من قبلكم وإذا رغبتم البقاء في سوريا فإننا نوافق على ذلك وإذا رغبتم بالعودة إلى عاصمتكم أيضاً فإننا نضمن لكم الأمان بشرط تسليم أسلحتكم عند الحدود، وعند ذلك ونتيجة لعدم وفاء الفرنسيين بوعودهم ساءت العلاقات بينهم وبين الباشوات كثيراً فاختار الباشوات العودة إلى ويران شهر، والى مظالم الأتراك بدلاً من البقاء عند من لم يحترم عهوده ومواثيقه.

٥ـ عودة الباشوات إلى ويران شهر مرة أخرى ونزوحهم عنها: واصلت باريس السير في طريق التقارب مع الكماليين الأمر الذي أدى إلى عقد معاهدة صلح تركية ـ فرنسية منفردة وقعها المفوض الفرنسي فرانكلين ـ بويون في أنقرة في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢١م وكان ما يسمى (معاهدة فرانكلين ـ بويون) * نقطة هامة على طريق سقوط نظام سيفر في الشرق الأوسط لأنها دلت عملياً على انهيار جبهة دول الحلفاء المعادية لتركيا والمتشكلة في بداية الحرب العالمية الأولى والتي تقوضت بشكل كبير بعد أن وضعت الحرب أوزارها، وحسب المعاهدة تم إنهاء حالة الحرب بين فرنسا وتركيا وتخلت فرنسا عن معاهدة سيفر واعترفت بحكومة أنقرة وحددت بصورة نهائية الحدود التركية ـ السورية وأصبحت أنطاكية تابعة لتركيا، أما الأسكندرونة فلسوريا (مع حق تأليف نظام إداري خاص) زد على ذلك أن فرنسا انسحبت من كيليكيا ومن المناطق الواقعة إلى الشمال من الحدود التركية ـ السورية وبقيت سكة حديد بغداد العامة من الناحية الإستراتيجية والممتدة من تشوبان بك وحتى نصيبين داخل الحدود التركية ونالت تركيا حق نقل المعدات العسكرية عبر الخط الحديدي.

---

* تعد اتفاقية انقرة والتي يطلق عليها كذلك تسمية (اتفاقية فرانكلين بويون) أشهر الإتفاقيات التي عقدت بين الحلفاء وحكومة اتاتورك، حيث سارعت فرنسا عقب معركة سقاريا الأولى مباشرة إلى إرسال مندوبها (فرانكلين بويون) إلى أنقرة للتفاوض مع رجال مصطفى كمال وعقد إتفاقية بين تركيا الجديدة وفرنسا في ١٩٢١ بالمادة الثالثة من إتفاقية لوزان وبموجب المادة (١٦) من الإتفاقية تخلت تركيا عن جميع الحقوق الشرعية أياً تكن بشأن الأراضي الواقعة جنوبي تلك الحدود، وفي وقت لاحق في آيار ١٩٢٦ وقعت فرنسا وتركيا إتفاقية أكملت وأوضحت بنود إتفاق ١٩٢١، للتفاصيل ينظر : د. محمد طه الجاسر، تركيا ميدان الصراع بين الشرق والغرب،(دمشق، ٢٠٠٢)، ص ٢١١ ـ ٢١٥ .

وكان للمعاهدة الفرنسية ـ التركية في ٢٠ تشرين الثاني (١٩٢١م) صلة مباشرة بالمسألة الكردية بشكل عام ما دام أنها أبعدت أحد أعضاء دول الحلفاء الرئيسة من نظام سيفر وبالتالي حكمت على معاهدة سيفر نفسها وموادها الكردية بفشل محتوم، وأثرت معاهدة فرانكلين ـ بويون تأثيراً مباشراً على محور القضية الكردية، وكما يقال من جانب آخر فقد وجهت أقوى ضربة أخرى لا يمكن إصلاحها إلى السياسة الانكليزية في تركيا وجعلت طبقاً لذلك جميع الأحاديث القادمة عن كردستان المستقلة أو ذات حكم إداري لا غاية لها، واعترضت بريطانيا بشدة على هذه المعاهدة ولكن دون جدوى وقد ضاعفت اتفاقيات الفرنسيين مع الكماليين من الصعوبات القائمة أمام الحركة الكردية القومية أكثر من ذي قبل لأنها ساعدت أنقرة على ترسيخ مواقعها السياسية والعسكرية وتوطيدها في ولايات شرق الأناضول وعرقلت بصورة كبيرة الصلات الطبيعية بين العشائر الكردية في تركيا وسوريا، وتلقت كردستان تركيا في شخص سوريا (الفرنسية) جبهة معادية في المؤخرة، وكانت مقالة اوغيوست غوفين الصحفي الشهير آنذاك في (جورنادي ديبا) بتاريخ ٣١ كانون الثاني ١٩٢٢م نموذجية، حيث تناول فيها القضية الكردية أيضاً، وكتب غوفين وهو يشعر بالاستياء من أن الحكومة الفرنسية خانت الثوار الأكراد ضد السلطة التركية الذين أكدت لهم في ما مضى على أنها لن تنسحب من الأراضي التي أعطيت لفرنسا حسب سيفر (وإليكم ما ينبغي أن يرفع من نفوذ فرنسا في الشرق، إننا لا نعرف أمثلة شبيهة لهذه الدناءة في تاريخنا كله إذ يقوم السادة بريان وفرنكلين ـ بويون بإعطاء العدة الفرنسية لاستعباد أولئك الذين عملت فرنسا على حمايتهم منذ غابر الأزمنة، إن فرنسا في الشرق ليست ضحية لدسائس غريبة بل ضحية لأخطاء رعاتها الطالحين")[٢٣] .

وهكذا ونتيجة لخيبة الأمل التي أصابت الباشوات من جراء عدم تنفيذ الفرنسيين لاتفاقهم السابق فضل الباشوات العودة إلى عاصمتهم ويران شهر على البقاء تحت نفوذ الفرنسيين وقد تم ذلك في عام١٩٢٢ نتيجة الاتفاقية التي عقدت بين الأتراك والفرنسيين وسميت اتفاقية (عفو بيروت ـ أنقرة) وبموجبها أصدرت الدولة التركية عفواً عن الباشوات وسمحت لهم بالعودة إلى ويران شهر وذلك بعد أن تم تسليم كافة الأسلحة التي بحوزة الباشوات إلى السلطات الفرنسية عند نقطة الحدود السورية ـ التركية في تل أبيض، وهنا ضعفت قوة الباشوات كثيراً نتيجة لتخليهم عن أسلحتهم

(23) لازاريف: المصدر السابق، ص٢٧٤ وما بعدها. (المؤلف).

وتخلي حلفائهم عنهم بما في ذلك أعداد كبيرة من عشائرهم حيث فضلوا البقاء في سوريا وحتى الذين عادوا الى تركيا انضم قسم كبير منهم إلى أبناء عمهم من غير أبناء إبراهيم باشا، هؤلاء الموالون أصلاً للسلطة التركية، وفي هذه المرة بقي الباشوات في ويران شهر من عام (١٩٢٢م) وحتى عام (١٩٢٦م) وفي هذه الفترة توترت العلاقات بين سائر الأكراد من جهة والفرنسيين من جهة أخرى وذلك بسبب وقوف الأكراد في سوريا بوجه السياسة الفرنسية الاستعمارية " ولئن ساد هدوء نسبي على الحدود الجنوبية الشرقية لكردستان التركية في صيف عام(١٩٢٣م) فقد ازداد التوتر بالمقابل في حدودها الجنوبية من سوريا التي كانت محتلة من قبل الفرنسيين وكان سببه اضطرابات العشائر الكردية الدائمة، ويعود ظهور المسألة الكردية في سوريا إلى هذه الفترة الزمنية التي أصبحت تحت حكم الانتداب الفرنسي تبين أن عدداً من المناطق التي يسكنها الأكراد بصورة كثيفة (في مقاطعات الجزيرة وجبل الأكراد وعين العرب الواقعة شمال البلاد) قد انضمت إلى الأراضي السورية وأدت الحركة القومية للأكراد فيها إلى ظهور مسألة كردية مستقلة نسبياً في سوريا، ويكمن في أساسها كفاح الأكراد السوريين ضد المحتلين الفرنسيين كما شارك الأكراد في عدد كبير من الحركات التي قادها الشعب السوري ضد الاستعمار" [٢٤] .

ومن المعلوم أيضاً أن ثورة الشيخ سعيد اندلعت في تركيا في عام (١٩٢٥م) وذلك للمطالبة بتأسيس دولة كردية مستقلة عن الأتراك وكان للباشوات اتصالات سرية مع زعيم الثورة وكانوا من المؤيدين لها ولكن بسبب الضعف الشديد الذي أصابهم قبل ذلك لم يشاركوا بها بشكل فعال وكان الشيخ سعيد زعيم الثورة متفهماً لهذا الواقع وبعد فشل الثورة واعتقال زعمائها وإصدار الحكم عليهم بالإعدام من قبل الأتراك في مدينة ديار بكر وقبيل تنفيذ الحكم سافر خليل بك بن إبراهيم باشا إلى مرسل باشا الكردي الأصل وقائد القوات التركية في ديار بكر إلى منزله وذلك بحجة مرض ابنته حيث كانت هناك قرابة بين زوجة خليل بك (بلناز خانم) وبين مرسل باشا، والهدف الحقيقي من الزيارة هو سعي خليل بك لدى مرسل باشا لكي يبذل جهده في عملية إنقاذ الشيخ سعيد ورفاقه وبغية عدم تنفيذ حكم الإعدام بهم، وقد ردّ مرسل باشا عليه بقوله :

---

(24) لازاريف: المصدر السابق، ص٣٥٣. (المؤلف).

ـ يفضل أنتم الباشوات أيضاً أن تتركوا تركيا وتعودوا إلى سوريا لأن السلطة التركية سوف تقتلكم مباشرةً بعد الانتهاء من هؤلاء الزعماء وإنني أنا أيضاً خائفٌ على حياتي حتى لو كنت قائداً للقوات التركية في ديار بكر وذلك بسبب أصلي الكردي حيث إن السلطة التركية تهدف إلى القضاء على كل الزعماء الأكراد حتى الموالين لها .

عند ذلك غادر خليل بك مدينة ديار بكر على وجه السرعة وأخبر الباشوات بما جرى من حديثٍ بينه وبين مرسل باشا وتم الإعداد للنزوح من ويران شهر وفي بداية عام (١٩٢٦م) نزح القسم الأكبر منهم إلى سوريا وسكنوا مدينة رأس العين والى الآن، ولم يبق منهم في ويران شهر سوى عبد الرحمن بك وأبناء عمومتهم في تركيا، وفي عام١٩٣٢ قامت السلطة التركية بنفي عبد الرحمن بك وأقربائه حتى المناصرين منهم للأتراك إلى تراكيا (تركيا الأوربية) وصادرت أموالهم المنقولة وغير المنقولة وبقوا في المنفى زهاء (١٥) عاماً أذاقتهم الدولة التركية خلالها ألوان العذاب والاضطهاد، وبعد (١٥) عام تمكن عبد الرحمن بك من الهرب من هناك وحضر إلى أهله في سوريا، حيث عاش حتى توفي فيها، وبذلك صدقت نبوءة مرسل باشا لأن الموالين من الباشوات للأتراك لم يسلموا أيضاً من أذى ومظالم الأتراك .

٦ـ الباشوات في رأس العين: عاد مع الباشوات إلى سوريا عشائر كردية كبيرة وبسبب حرارة الطقس وعدم تعودهم على العيش في السهول فإن أغلبهم عاد مرةً أخرى إلى تركيا حيث الجبال وبقي من الباشوات في مدينة رأس العين حوالي (٥٠٠) عائلة من ألأكراد والعرب والمسيحيين، وكان الباشوات سادة مدينة رأس العين ومناطقها وعلاقاتهم كانت ودية مع سائر عشائر المنطقة الكردية منها والعربية ومن الطوائف المسيحية، وفي رأس العين انتقلت الزعامة من محمود بك إلى شقيقه خليل بك، وكان نائباً في البرلمان السوري لعدة دورات انتخابية .

وهنا عادت الشخصيات الأجنبية بالاتصال مجدداً بالباشوات في رأس العين، ففي عام (١٩٢٩م) عاد صديق إبراهيم باشا القديم البارون فون اوبنهايم إليهم حيث أجرى حفريات أثرية في تل حلف، ومن الجدير بالذكر أن اوبنهايم كان يعمل بشكل سري ضد السياسة الانكليزية في المنطقة تحت ستار التنقيب عن الآثار فتم التعرف بينه وبين الباشوات وكان يدعي أخوة إبراهيم باشا، وبعد عام (١٩٢٩م) كانت الاتصالات مستمرة بين الطرفين عن طريق المراسلة، وفي عام (١٩٣٩م) وقبيل الحرب العالمية

الثانية جاءهم أوبنهايم إلى رأس العين وكان يبلغ آنذاك من العمر (٨٥) عاماً* وكان عائداً من عند عجيل الياور شيخ شمر من العراق وقد طرح مجدداً على الباشوات المشروع الذي راود أحلامهم وأحلام أجدادهم منذ القدم وهو تأسيس دولة كردية مستقلة بزعامتهم ووعدهم بالسعي لدى هتلر من أجل تحقيق ذلك وأكد لهم حتمية التحقيق فيما لو نشبت الحرب وانتصرت ألمانيا فيها .

وبالفعل وبعد أن نشبت الحرب العالمية الثانية واكتسحت قوات ألمانيا النازية أوربا واحتلت باريس وتم تنصيب حكومة فيشي الموالية للنازيين في فرنسا، عقدت معاهدة بين فرنسا وألمانيا على ضرورة استلام كافة المستعمرات الفرنسية من قبل القوات الألمانية والإيطالية، وحيث أن سوريا كانت مستعمرة فرنسية في ذلك الوقت لذلك قدمت لجنة ألمانية ـ إيطالية في عام (١٩٤١م) إلى رأس العين وقابلت محمد علي بك الذي كان الساعد الأيمن لوالده في إدارة الأمور بل كان الزعيم الفعلي آنذاك وكانت مرسلة من قبل البارون اوبنهايم إلى الباشوات وبرئاسة الفون هنتش الوزير الألماني فوق العادة، وذلك بمهمة استلام سوريا من الفرنسيين وبقيت اللجنة مدة أسبوع في ضيافة الباشوات في رأس العين، وبعد ذلك غادروا المدينة إلى بيروت وقد دَعوا محمد علي بك لزيارتهم للتباحث في بعض الأمور، وبالفعل زارهم محمد علي بك واستقبلته اللجنة في فندق متروبول ببيروت وكان الاستقبال حاراً والضيافة كريمة جداً، واستغرقت الإقامة هناك عشرة أيام وقُطعت له الوعود السابقة، وبعد عودة محمد علي بك من بيروت ومروره بدمشق قام بزيارة صديقه الفرنسي الكابتن أنجلي وفجأة سأله الكابتن عن سبب زيارته إلى بيروت فأجابه محمد علي بك بأن الزيارة كانت لأسباب خاصة ، فرد عليه الكابتن قائلاً:

ـ بأنك كنت عند أصدقائك الألمان في فندق متروبول وبصفتك صديقي فإنني أنصحك بالابتعاد عن الاتصال بالألمان لأن الحلفاء سوف يربحون الحرب وأن الانكليز سيدخلون سوريا عن قريب وعند ذلك سيكون مصيرك في خطر .

---

* سافر البارون ماكس فون أوبنهايم إلى المنطقة في ربيع سنة ١٩٢٧، وليس ١٩٢٩، وكان قد قرر ترك وظيفته في السلك الدبلوماسي الخارجي في أوائل تشرين الثاني ١٩١٠ وتفرغ للتخطيط للتنقيبات المستقبلية، وكان يبلغ من العمر في ١٩٢٩ نحو (٦٩) سنة باعتبار أنه ولد في ١٥ حزيران ١٨٦٠ وليس (٨٥) سنة كما أورد المؤلف.

وبالفعل وبعد أقل من شهرين من ذلك الوقت وبينما كان محمد علي بك ووالده خليل بك في الديوان في رأس العين في الصباح جاءهم شخص فسأله خليل بك عن مكان قدومه فأجاب الرجل قائلاً :

ـ إنني من عشيرة الجبور وإنني قادم من نواحي تل براك وان، عندي خبر مفاده أن الانكليز قد وصلوا إلى تل براك .

وهنا تفاجأ محمد علي بك بالخبر حيث أصبح الموقف حرجاً بالنسبة إليه، فتباحث الأمر مع والده خليل بك فاتفقا على أن يقوموا بإرسال وفد إلى تل براك لاستقبال الانكليز، وبالفعل تم تشكيل وفد مشترك من الباشوات والشيشان وأعيان رأس العين، وفي الصباح الباكر توجه الوفد إلى تل براك بالسيارات حيث استقبله قائد الحملة الانكليزية الميجر كلارك وكان يتقن اللغة الفرنسية فسأل الكابتن محمد علي بك عن سبب زيارتهم للقوات الانكليزية فأجابه : بأننا جئنا للترحيب بكم، ثم سأله الكابتن عن وجود قوات فرنسية في مدينة الحسكة فأجابه بالنفي، ولكن يبدو أن الكابتن لم يصدق ذلك فطلب أن يصطحب معه اثنين من أعضاء الوفد كرهائن بسيارته ليقوم بالدخول إلى مدينة الحسكة وثكنتها العسكرية وهنا صعد معه السيارة كل من محمد علي بك وأمين أوسترخان الشيشاني وبوصول القائد الانكليزي إلى مدينة الحسكة شعر بالارتياح والأمان لعدم وجود أي عسكري فرنسي بالثكنة فطلب من الباشوات أن يقوموا بزيارته غداً، وفي صباح اليوم التالي وعند زيارة الباشوات للميجر كلارك وجدوا بأن الأشخاص المتعاونين مع الفرنسيين في رأس العين وبرفقتهم المترجم سليم جالسين عنده وقد قدموا له تقارير عن زيارة الألمان للباشوات وكذلك زيارة محمد علي بك للجنة الألمانية ـ الإيطالية في بيروت، وعند ذلك سألهم الكابتن عن صحة هذه المعلومات فأجابوا: نعم إنها صحيحة وأن الباشوات لهم علاقات مع كافة الأجانب بدءاً من البارون اوبنهايم ومروراً بسايكس ونوئيل والفونستين ...الخ .

وهنا قال الكابتن بأننا لا نحاسب على الماضي بل نحاسب على الحاضر، وفي اليوم التالي قام الكابتن بزيارة الباشوات في رأس العين وبعد استضافته أمر بتفتيش بيوت الموالين للفرنسيين فصادر بعض الأشياء وحبس آخرين منهم، وهكذا تمكن الباشوات من تحسين علاقاتهم بالانكليز بغية تحاشي الانتقام الفرنسي منهم بسبب وقوف الباشوات مع الوطنيين السوريين المعادين للفرنسيين وكان الدور الأساسي في ذلك هو لمحمد علي بك الذي كانت تربطه علاقة صداقة حميمة مع الكابتن نيرن الانكليزي السياسي بالحسكة .

٧ـ زيـارة قائـد قـوات الـشرق الأوسـط للباشـوات عـام(١٩٤٣م) وزيـارة الباشـوات للقدس: كانت الحكومة الوطنية قد عينت عبد القادر الميداني محافظاً للحسكة وذات يوم أرسل المحافظ المذكور برقية إلى محمد علي بك يعلمه بأن الجنرال باجيت قائد القوات الانكليزية في الشرق الأوسط سيقوم غداً بزيارة الباشوات في رأس العين وأنه سيتناول الطعام على مائدتهم، وفوراً تمت الاستعدادات اللازمة ووجهت الدعوة لجميع وجهاء رأس العين ومناطقها لحضور الوليمة وفي اليوم المحدد حضر الجنرال باجيت ومحافظ الحسكة والممثل الفرنسي وعدد من الصحفيين والمصورين من المجلة المصرية(المصور)، وفي هذه الوليمة ذبح محمد علي بك أكثر من خمسين رأساً من الأغنام، وقد لاقت الوليمة إعجاباً كبيراً من الجنرال باجيت، وقبل أن يغادر الجنرال رأس العين دعا محمد علي بك لزيارته في مقر قيادته بالقدس، وبعد شهر تقريباً توجه محمد علي بك ووالده خليل بك وعمه محمود بك برفقة سيارتين مسلحتين إلى القدس وعند وصولهم إلى دمشق توجه محمد علي بك إلى الجنرال الفرنسي اوليفاروجي بغية الحصول على الإذن اللازم للسفر الى القدس ولكن الجنرال الفرنسي لم يمنحهم الإذن فذهب محمد علي بك إلى صديقه الانكليزي الميجر بادن الذي قدم لهم المساعدات الممكنة وفي الليل توجهوا إلى فلسطين عن طريق جسر بنات يعقوب ووصلوا حيفا في منتصف الليل وفي الصباح توجهوا إلى تل أبيب وكان بصحبتهم ضابط في الجيش الأردني من أصل كردي يدعى مصطفى الملي، وكانت المراسم تقضي بأن يمر الراغب في زيارة قائد القوات الانكليزية على رأس دائرة الاستخبارات الانكليزية أولاً وعند ذلك توجهوا إلى هذه الدائرة فدخلوا على رئيس دائرة المخابرات وكان عجوزاً يبلغ من العمر أكثر من سبعين عاماً وفور مشاهدته لمحمود بك نهض عن كرسيه واستقبله بحرارة وذكره بالاسم (محمود بك)، ثم تابع حديثه مع محمود بك قائلاً له:

ـ ألا تعرفني ؟

فأجابه محمود بك :

ـ لا والله لا أتذكرك .

فأجابه الضابط :

ـ أنا اسمي الفونستين كنت أرافق الميجر نوئيل عند زيارته للباشوات، عندما كنت ضابطاً صغيراً وذات مرة أهديتني حصاناً أبيض .

عندئذٍ تذكره محمود بك وتعانقا بحرارة وكان في مجلسه أكثر من عشرين ضابطاً انكليزياً يتكلمون بمختلف اللغات الشرق أوسطية واللهجات المحلية، فتقدم ضابط من محمد علي بك وجلس بجواره وقال له :

ـ أنت محمد علي بك وأنا أعرفك جيداً لقد زرتكم أكثر من مرة في خيمتكم حيث كنت تجلس على كرسي وكنت توجه الشتائم بشكل مستمر للانكليز وتمدح الألمان أليس كذلك؟

فأجابه محمد علي :

ـ أنا لم أشاهدك أبداً .

وتبين أن هذا الضابط كان يعمل ضمن فرقة النور كطبّال وكان يسترق السمع في خيمة الباشوات ويرسل التقارير إلى دائرة الاستخبارات الانكليزية، وهنا تدخل الكولونيل الفونستين بالحديث ووجه كلامه إلى الضابط قائلاً له:

ـ إن الباشوات عائلة كبيرة وإن لهم علاقات مع مختلف الدول الأوربية وإن علاقة الانكليز بهم قديمة وهم لا يحملون أي حقد علينا، وإنما سوء معاملة الفرنسيين لهم دفعتهم إلى محاباة الألمان خاصة وإنهم الآن يعتبرون من الوطنيين السوريين المعادين للفرنسيين، ولكن يا محمد علي بك أطلب منك الآن عدم إزعاج الأتراك نهائياً لأنهم حلفاء لنا .

وبهذا الكلام خيب الكولونيل أمل الباشوات في إمكانية تلقي المساعدة من الانكليز في محاولتهم لاسترجاع أراضي إمارتهم من الأتراك .

ومن هناك توجه الباشوات إلى القدس واستقبلهم الجنرال باجيت ودعاهم لتناول الطعام على مائدته بصحبة الكولونيل الفونستين وعدد كبير من ضباطه .

ثم غادروا القدس متوجهين إلى عمّان حيث استقبلهم الأمير عبد الله وتناولوا الطعام على مائدته نهار العيد حيث جلس الأمير عبد الله بين محمود بك وخليل بك وأخذ يسايرهما بالحديث على الطريقة التقليدية، وقد قال الأمير عبد الله :

ـ إن الباشوات عائلة عريقة ومعروفة من قبل جميع أهالي منطقة الشرق الأوسط وإن علاقتنا بهم قديمة أيضاً، وإن رمضان الشلاش كان الوسيط بيننا وبينهم أيام الثورة على الأتراك .

وكان على المائدة أيضاً عدد من الوزراء والقادة والأمير نايف ابنه والملك حسين وكان عمره آنذاك اثنا عشر عاماً تقريباً فسأل خليل بك عن الصغير وهل هو ابن الأمير عبد الله؟ فأجاب الأمير عبد الله :

ـ لا إنه ليس ابني ولكنه أعز عليّ من أبني إنه حفيدي .

وهنا انزعج الأمير نايف ثم سأل خليل بك الأمير عبد الله :

ـ يقولون عنك بأنك تحب الانكليز كثيراً فهل هذا صحيح ؟

فأجاب الأمير عبد الله :

ـ (يا حيف عليك) يا خليل بك يا ابن إبراهيم باشا هل من المعقول أن يحب إنسان قاتل أبيه ؟

وبعد أن استأذنوا الأمير بالمغادرة توجهوا إلى الجنرال كلوب باشا قائد الجيش الأردني حيث دعاهم لتناول العشاء، وذلك رداً للضيافة التي أقامها الباشوات له عند زيارته لهم برفقة عدد من شيوخ القبائل السورية أمثال (ابن غبين وابن كتيشيش ونوري المثل) .

ومن الجدير بالذكر أن كلوب باشا كان قد زار الباشوات قبل فترة من هذه الزيارة وأن الباشوات كانوا قد أكرموا وفادته وذبحوا لعزيمته أكثر من خمسين رأساً من الأغنام، وإن الجنرال كلوب قبل مغادرته للباشوات كان قد أوصى رئيس حرسه بتقديم ظرف مغلق إلى محمد علي بك لأن من عادته أن يقدم الأموال لرؤساء العشائر التي يزورها، وعندما قدم رئيس الحرس الظرف إلى محمد علي بك امتنع هذا عن استلام الظرف وقال له :

ـ قل للجنرال بأن الباشوات لم يتعودوا أن يأخذوا قيمة طعامهم من أحد .

عند ذلك أحس الجنرال بالحرج وطلب من رئيس حرسه ترك محمد علي بك ووجه الدعوة للباشوات لزيارته في عمّان، فكانت هذه الزيارة من الباشوات له، وبعد ذلك غادر الباشوات عمّان متوجهين إلى دمشق وفي دمشق استضافهم سامي باشا مردم والد محافظ الجزيرة، وفي طريق عودتهم إلى رأس العين مروا على حماة حيث استضافهم كل من حسني البرازي ومحسن البرازي وفريد بك العظم وعبد الكريم العظم وحسين أغا الملي (وهذا أصله من ملية الباشوات) ومن هناك توجهوا إلى حلب حيث استضافهم رشدي الكبنجا وسعد الله الجابري وفي الرقة كانوا ضيوفاً عند أقربائهم الملية (كم نقش) وعند آل الكعكجي وآل الهويدي ومن هناك انطلقوا إلى رأس العين .

وهكذا نجد بأن للباشوات علاقات كثيرة مع مختلف الناس وفي معظم البلدان.

٨ـ زيارة مدام هلو زوجة المفوض السامي الفرنسي العام للباشوات في رأس العين:

حيث إن العلاقات لم تكن على ما يرام بين الباشوات والفرنسيين بعد عودة الباشوات إلى رأس العين من ويران شهر في عام (١٩٢٦م) وذلك بسبب عدم التزام الفرنسيين باتفاقاتهم مع الباشوات وكذلك بسبب تأييد الباشوات للحكومة الوطنية السورية، ولما كان الفرنسيون يودون تحسين هذه العلاقات بغية تقوية موقفهم تجاه الانكليز والوطنيين لذلك أرسل المفوض السامي الفرنسي زوجته مدام هلو بطائرة خاصة وبرفقة المندوب الفرنسي في دير الزور مسيو كاسان وقد جلبا معهما طبيباً خاصاً لمعالجة محمود بك الذي كان مريضاً وذلك إرضاءاً للباشوات وسعياً وراء نيل تأييدهم للفرنسيين، وبمناسبة هذه الزيارة نصبت أكبر خيمة في الشرق الأوسط وأقيمت وليمة كبيرة على شرف الزائرة حيث ذبحت أعداد كبيرة من الأغنام، وقد تعجبت مدام هلو من رؤيتها للخيمة الكبيرة وللوليمة خاصة وإنها عندما جلست أمام الوليمة لم تعد ترى الأشخاص الجالسين في الطرف الآخر بسبب ارتفاع الرز واللحم، وقد صورت العديد من المناظر ووعدت بإرسال نسخ منها للباشوات، ولكن بسبب نقل زوجها بعد فترة قصيرة من لبنان إلى مكان آخر لم ترسل الصور .

زيارة المفوض السامي الفرنسي مسيو سلمياك إلى الجزيرة عام ١٩٣٢م:

في عام (١٩٣٢م) زار المفوض السامي مسيو سلمياك الجزيرة وجرى لاستقباله احتفالاً كبيراً حيث نزل ضيفاً كبيراً على خليل بك إبراهيم باشا الذي اشاد له خيمة كبيرة خارج البلدة ليقيم فيها هو والحاشية التي ترافقه والتي كانت تضم كل من محافظي الحسكة والرقة ودير الزور .

وقد أقام خليل بك احتفاءاً بالمفوض السامي وليمة كبيرة حيث ذبح فيها ما يقارب المائة رأساً من الغنم وقد حدثت في هذه الوليمة حادثة ظريفة تتلخص في أن الطعام وضع في صينية كبيرة كانت تدعى بـ(الهرمة) وتتسع لما يقارب (٢٥) رأس من الغنم ووضعت هذه الصينية أمام مسيو سلمياك الذي لم يعد يستطيع رؤية زوجته التي كانت جالسة أمامه في الطرف الآخر وذلك بسبب ارتفاع كمية الرز واللحم .

وبعد انتهاء هذه الوليمة التي أدهشت المفوض السامي توجه بالشكر إلى خليل بك قائلاً له :

ـ خليل بك أنا وزوجتي نتوجه إليك بجزيل الشكر على الضيافة العظيمة التي أكرمتنا بها والتي لم نلقاها من أحدٍ قط كما إننا معجبون جداً بطريقة الاستقبال

والضيافة التي برزت منكم، وكل ما أرجوه منك أنه إذا كان لديك طلب خاص ترغب به فسأكون مسروراً لو قمت بتنفيذه لك .

فأجابه خليل بك قائلاً :

ـ لدي طلب ولكنه ليس بالخاص بل هو طلب عام حيث إني وبسبب تأخري أنا وسائر عشائري عن العودة من تركيا إلى سوريا لم نتمكن من التسجيل من أجل الحصول على الجنسية السورية لذلك فما أطلبه منك هو المساعدة في عملية تسجيلنا من أجل الحصول على الجنسية السورية .

فكان جواب المفوض السامي :

ـ أهلاً وسهلاً، وإني فور وصولي إلى بيروت سأبدأ الاتصالات اللازمة لتحقيق رغبتك .

وبالفعل كان المفوض السامي صادقاً بوعده حيث إنه وبعد فترة وجيزة تم تسجيل عشائر الملية ومن ضمنهم الباشوات وتم منحهم الجنسية السورية، وقد استفاد من هذا الأمر شخصيات كردية عديدة منها الدكتور نافذ زازا وأخيه نور الدين زازا وتوفيق أفندي (أبو جميل) وعارف بك والياس بيك الديركي وكثيراً من الأغوات والبكوات الذين شاركوا في ثورة الشيخ سعيد وهربوا من السلطات التركية بعد فشل الثورة .

وبذلك يكون خليل بك قد قدم خدمة كبيرة لسائر الملية حيث إنه استطاع الانتهاء من مشكلة كانت تشكل له مصدر قلق دائم .

٩ـ الكرم وعمل الخير عند الباشوات: اعتبر إبراهيم باشا بكرمه الزائد وحسبما ذكر الأجانب والمعاصرون له أن أعداداً كبيرة من الناس كانوا يعيشون على عطاياه وخاصة الفقراء منهم كما أنه ساهم في بناء العديد من المساجد والتكايا والأفران التي كانت تقدم الرغيف للناس بدون أي مقابل كما كانت عنابر المؤونة التي يملكها الباشا مفتوحة للجميع في أوقات الحروب والأزمات الأخرى وسنوات القحط والمجاعة .

وبعد إبراهيم باشا سار الباشوات على هذا الطريق حيث كانوا يشاطرون الآخرين لقمة العيش، ففي سنة (١٩١٧م) عندما نزحت أعداد كبيرة من الأكراد نتيجة الحرب الروسية ـ التركية وسكنت مدينة رأس العين وما جاورها وكانت حالة هؤلاء يرثى لها قدم الباشوات لهم مساعدات كبيرة جداً ووفروا لهم متطلبات المعيشة وفتحوا فرناً

خاصاً لإطعامهم كما كان خليل بك يذبح لهم يومياً جملاً في الصباح و ثوراً في المساء ولمدة ثلاثة أشهر .

وفي عام١٩١٨ فتح خليل بك مدرسة تتسع لمائة طالب على حسابه الخاص وكان يقدم لهم الطعام والشراب إضافة إلى المنامة والأساتذة وكل ذلك على حسابه الخاص وعدد من هؤلاء الطلاب الذين درسوا في هذه المدرسة لا زالوا على قيد الحياة وإن العديد من الباشوات الآخرين أيضاً اشتهروا بالكرم .

١٠ـ الزواج عند الباشوات: الباشوات يعتبرون أنفسهم زعماء مدنيين وروحيين للأكراد، لذلك فإنهم يعتبرون جميع بنات الأكراد ونساءهم بمثابة بنات وأخوات لهم (محرمات) وكذلك فإن الأكراد أنفسهم كانوا ينظرون نفس النظرة إلى خواتين الباشوات ولذلك فإن الزواج عندهم كان منحصراً إلى فترة قريبة داخل عائلة الباشوات أنفسهم عدا بعض الحالات النادرة .

وفي أحد أيام إبراهيم باشا وقعت حادثة لها دلالة كبيرة وهي أن عمر أغا وهو آغا گوران كان ولغاية (...) الخاتون محزمها في يوم زفافها وكان يأخذ على كل محزم مائة ليرة ذهبية إكرامية له، وذات يوم خطب عمر أغا إحدى الخواتين ولكن إبراهيم باشا لم يوافق وبعد هذا التاريخ وعندما زوج الباشا إحدى بناته من أحد أقاربه حضر عمر أغا كعادته وأحضر معه الكمر الحريري ليلبسه العروس وعندما سمع إبراهيم باشا بذلك أرسل في طلبه وقال له :

ـ إن الخواتين لم يعدن محرمات بالنسبة إليك لأنك تجرأت وخطبت احداهن لذلك لا يجوز لك أن تلبس اعتباراً من الآن الأكمار لهن وتم منعه من القيام بهذا العمل ومن يومها تولى العبد مرجان هذا العمل .

وفيما بعد انتشرت عادة الزواج الخارجي لدى الباشوات على نطاق أوسع مما كان في السابق فتزوجوا من مختلف الأسر والعشائر الكردية والعربية وعلى سبيل المثال فإن زوجة تمر باشا واسمها (هويه) كانت من أسرة كردية من أغوات الزركية، وإن (خنسا باشا) زوجة إبراهيم باشا كانت من عشيرة خلجان الكردية وإن زوجة عبد الحميد بك (جميلة) كانت من الملحم وبعد وفاته تزوجها إسماعيل بك، كما زوجوا (نورة) بنت خليل بك لشيخ شمر ميزر عبد المحسن ، و(جميلة) بنت عبد الرحمن بك للشيخ عبد العزيز المسلط وبعد وفاتها زوجو (بهجة)، لعلي البشير شيخ (...) ....الخ .

العلاقات الاجتماعية عند الباشوات:

للباشوات علاقات اجتماعية خاصة وغير مكتوبة أي بمثابة العرف حيث تلعب الأعراف فيها دوراً كبيراً شأنها شأن الدستور الانكليزي .

فهم ديمقراطيون بطبيعة الحال وذلك لعدة اعتبارات أهمها التنوع الأثني فيها نظراً لكثرة القبائل وتنوعها والتي تنطوي تحت ظلال الباشوات الذين كانوا يعاملون هذه العشائر جميعها على قدم المساواة ولا يفرقون بين أي واحدة من هذه العشائر.

أما بالنسبة للديانة التي يدين بها الباشوات فهي الديانة الإسلامية السنية حيث كان يوجد لديهم أئمة ورجال دين ومساجد ودور عبادة إلاّ أنهم لم يكونوا قط متطرفين دينياً، فقد كانوا يحترمون الديانات الأخرى كالمسيحية حيث كان المسيحيون يحتلون مكانة محترمة لديهم وكذلك اليزيدية وقد كانت أغلب أمور الباشوات الاقتصادية تدار من قبل أشخاص مسيحيين ويزيديين وكانت هاتان الفئتان تتمتعان بأمان مطلق لدى الباشوات حيث إنه لم يجرؤ أحد على المساس بهم.

وباعتبار أن الباشوات كانوا (ديمقراطيين) في حكمهم لذلك فإن كافة المشاكل كانت تحل إما بطريقة عشائرية أو بطريقة دينية أي استشارة رجال الدين وكان لا بد للحق من أن يأخذ مكانه .

ـ اقتصادياً فرض الباشوات ضريبة على الأموال كانت تسمى في حينها بـ(الباج) حيث كان يقتطع ما يقابل (١٠٪) من قيمة المال سواء أكان غنماً أم زرعاً أم عقاراً وكانت تفرض هذه الضريبة وتقتطع عن طريق جباة كانوا يقومون بتحصيلها من كافة الولاية حيث تجمع هذه الأموال وتوزع بموجب النسب التالية : (١٠٪) للدولة، (٥٪) للسلطان، (٨٥٪) لإبراهيم باشا .

١١ـ الموسيقى عند الباشوات: في أيام الأفراح والأعراس اهتم الباشوات بالغناء والموسيقى وكان هناك أشخاص من الأكراد يختصون بممارسة هذا العمل، حيث كانوا يغنون ويطربون الحضور مستخدمين الأدوات الموسيقية المختلفة كالطبل والمزمار، وقد سمي هؤلاء الأشخاص بـ(مطاربة الباشوات) .

وفي بعض الأحيان وفي بعض المناسبات كان يحضر إلى ديار الباشوات من الجنوب شعّار عرب كانوا يعزفون على الربابة .

ومن الجدير بالذكر أن الباشوات لم يسمحوا (للحجيات) بالرقص في مجالسهم نهائياً وإنما كانوايعطونهم الإكرامية ويرحلون مباشرة .

١٢ـ نبذة عن حياة محمد علي بك بن خليل بك بـن إبـراهيم بـاشـا : ولـد في مدينـة ويـران شهر عام١٩١٥ وعندما كان في الخامسة من عمره توفيت والدته وبعد ذلـك تولّت زوجة أبيه رعايته وتربيته وهـي أمـيرة تركيـة، كانـت امـرأة مثاليـة مثقفـة فأدخلت محمد علي بك إلى المدرسـة الابتدائيـة في ويـران شـهر حيـث درس حتـى الـصف الرابـع الابتدائي وتعلم اللغة التركية، وبعد نـزوح الباشوات إلى رأس العين في عـام ١٩٢٦ أرسـلته زوجة أبيه إلى حلب لإكمال دراسـته في مدرسـة ليليـة أجنبيـة هـي (ليتراسـنته) وتـابع الدراسة فيها ست سنوات تعلّم فيها اللغـات الفرنـسية والإيطاليـة والتركيـة واللاتينيـة، وهو يتقن بطبيعة الحال اللغة الكردية والعربية، وفي عام ١٩٣٢ أصبح والده خليـل بـك عضواً في المجلس النيابي السوري فسكن بدمشق مـع أسـرته وهنـاك حـصل محمـد علـي بك على البكلوريا الفرنسية ـ القسم الأدبـي ـ ولكنـه لم يكمـل تحصيله العلمـي بـسبب عـودتهم إلى رأس العـين وكـبر سـن عمـه ووالـده فتـولى المـسؤولية فاسـتطاع بحنكتـه السياسية تجاوز العديد من الصعوبات في تلك الفترة خاصة أيام الانتداب الفرنـسي، وفي عام ١٩٥٤ تـرك مدينـة رأس العين وسكن حلب من أجل تعليم أولاده .

وفي عام ١٩٥٨ صدر قانون الإصلاح الزراعي وشمل أول من شمل الباشوات، وفي عام ١٩٦٧ حرمت لجنة الاعتماد محمد علي بك من أراضيه فـساءت أحوالـه الماديـة فأضـطر للـسفر إلى تـركيـا إلى أقربائـه، حيـث لـه أمـلاك فيهـا ومـن هنـاك سـافر إلى لبنـان والى العراق،وفي عام ١٩٧٢ عاد إلى سوريا ومنذ عام ١٩٧٥ يقيم في مدينة الحسكة الـتي أحبهـا كثيراً .

ومن الجدير بالذكر أن محمد علي بك انتسب إلى الحزب القـومي الـسوري في عـام ١٩٤٩ ثم أوقف نشاطه السياسي عام ١٩٥٥.

تولي محمد علي بك زمام قيادة العشيرة:

باعتبار أنّ خليل بك والد محمد علي بك قد كبر في السن وكذلك عمه محمود بك ولم يكن يوجد في العشيرة من هو قادر على إدارة شؤونها سواه لـذلك فقـد بـدأ محمـد علي بك بتسيير شؤون هذه العشيرة بتفويض من والده وذلك نظراً للمزايا التي يتمتع بها من ذكاء وقّاد ودراية واسعة بالإضافة إلى اللغات العديدة التي كان يتكلم بها كاللغـة الفرنـسية والتركيـة والانكليزيـة والكرديـة حيـث كـان لهـذا الأمـر دوراً كـبيراً في تـسيير شؤون العشيرة وخاصة في فترة الانتداب الفرنسي وباعتبار والده وعمـه كانـا منتـسبين للحزب الوطني فقد كان هذا الأمر مزعجاً للفرنسيين الذين كانوا دائماً يعرقلـون أمـور

هذه العشيرة لكن محمد علي بك استطاع بفضل ذكائه كسب محبة الفرنسيين له وبالتالي تجاوز كافة الصعوبات وتقوية العلاقات معهم واستطاع أن يزيل كافة العقبات الموجودة بين عشيرته وبين الفرنسيين حتى استطاع وفي مرحلة معينة من إدارة عشيرته بشكل كامل وأصبح الرجل الوحيد القادر على حل أصعب المشاكل التي تعترض عشيرته والتي كانت تفترض به التنقل الدائم بين دير الزور ودمشق وبيروت، وتطور الأمر به حتى أصبح الرجل الوحيد لأغلب عشائر المنطقة لحل مشاكلهم .

لم يكن هذا الأمر باليسير عليه فليس من السهل على إنسان مدني مثقف أن يصبح عشائرياً ويدير أمور العشيرة لكن الظروف آنذاك وحاجة عشيرته إليه اضطرته لذلك وقد قام بمهمته بنجاح كامل سواء على الصعيد المدني الثقافي أو على الصعيد العشائري .

كان له الدور الكبير في إزالة الخلافات بين الباشوات والكثير من العشائر وخاصة الشيشان حيث كانت علاقة الباشوات بهم سيئة للغاية حيث كان زعيم الشيشان عزت سليم بك الرجل الذكي ذو الشخصية القوية يكره الباشوات ويضمر لهم العداء إلاّ أن محمد علي بك وانطلاقاً من قناعاته بضرورة تحسين العلاقات مع كافة القبائل المجاورة فقد بدأ بتحسين علاقاته مع الشيشان وخاصة مع عزت سليم بك عندما قام بخطبة ابنته لأخيه عبد الرزاق إبراهيم باشا فربط هذه العائلة مع الباشوات بعلاقة مصاهرة حسّنت علاقة الباشوات مع الشيشان ثم ليصبحوا بعد فترة وجيزة من أهم أنصارهم .

وكذلك قوّى محمد علي بك علاقاته مع الآشوريين عندما قوّى علاقته مع قياداتهم وخاصة مع /ملك لوقو - ملك ياقو - ملك هرمز/ فهم يعتبرون قادة الآشوريين وقد تحالف الآشوريون مع الباشوات في انتخابات المجلس التشريعي عام ١٩٦٢ حيث ربحت قائمتهم ودخل خليل إبراهيم باشا الصغير نائباً في البرلمان السوري .

الخاتمة

تعتبر عائلة الباشا من العائلات الكردية العريقة وقد أنجبت هذه العائلة العديد من الأمراء الأكراد الذين ساهموا بفعالية في الحياة السياسية ضمن الدولة العثمانية وفي معظم الأحيان تمتع هؤلاء الأمراء بالاستقلال الذاتي وبالسلطة الفعلية على مناطق واسعة، وقد توفرت في إماراتهم كافة أركان الدولة من جيش كردي مستقل وقضاء وسجن وجباية الضرائب من الولايات الخاضعة لنفوذهم لحسابهم الخاص ودون الرجوع إلى السلاطين، وبسبب كل هذه العوامل حاول السلاطين استرضاءهم ومنحهم الألقاب الباشوية وعدم التدخل في أمورهم الداخلية إلا عند استفحال أمرهم، وحاول الباشوات من جانبهم أيضاً عدم إزعاج السلاطين في بعض الأوقات وانتظار الفرص السانحة لإعلان الثورة على السلطة العثمانية بغية إقامة دولة مستقلة عنهم وقد تكرر هذا الأمر في عهود متعاقبة في عهد كلش عبدي وبشار باشا وتيمور باشا وإبراهيم باشا ...الخ .

ولكنهم لم يتمكنوا من تحقيق الأهداف التي سعوا إليها بسبب جملة عوامل فجار الزمان عليهم أكثر من مرة وقاسوا الكثير من الآلام ومع ذلك فهم كسائر أبناء قومهم يتطلعون بمزيد من التفاؤل نحو المستقبل .

محمد علي ابراهيم باشا

الملاحق

١- ابراهيم باشا الملي: امير امراء (كردستان).
٢- حفيد ابراهيم باشا الملي محمد علي الباشا في حديث مطول لمجلة الحوار الكوردية (دمشق).

الملحق (١)

إبراهيم باشا الملي: امير امراء (كردستان)[*]

د. صلاح محمد سليم هروري　　م / هوكر طاهر توفيق

الخلاصة:

تتناول هذه الدراسة حركة إبراهيم باشا رئيس عشيرة الملي الذي قدر له ان يحكم منطقة واسعة جنوب غرب كردستان وشمال سوريا، واتخذ من ويرانشهر عاصمة لحكمه. ويمثل إبراهيم باشا الملي الذي تزعم اكبر قوة من الفرسان الحميدية قمة الإقطاع الكردي، وكان يحكم منطقته بشكل مستقل عن الدولة العثمانية التي كان يرسل إليها سنوياً مجموعة من القوافل المحملة بالزيت والدهون وجلود الحيوانات...الخ. ونتيجة لما وصل إليه هذا الباشا الكردي زاره عدد من المستشرقين أمثال مارك سايكس والرحالة السويدي الكسيس والرحالة الألماني فيديمان ودونوا ملاحظات قيمة عن اتحاد عشائر الملي التي لا يمكن الاستغناء عنها عند التطرق إلى هذا الموضوع. المهم في الأمر ان الذي جلب الاهتمام إلى إبراهيم باشا هو انه صار من المتنفذين الكبار في الدولة العثمانية بعد السلطان نفسه، كما انه قام بأول حركة ضد الاتحاديين الذين قاموا بانقلاب تموز ١٩٠٨ وأزاحوا السلطان عبد الحميد الثاني عن السلطة.

---

[*] نشر هذا البحث في مجلة جامعة دهوك (الاكاديمية المحكمة) العدد (٢) المجلد (١١) ٢٠٠٨ ص٢٣٠-٢٤١

المقدمة:

حظي إبراهيم باشا الملي باهتمام العديد من الباحثين والمؤرخين الأجانب والكرد على السواء،[1] ومبعث هذا الاهتمام هو القوة التي وصل إليها هذا الباشا الكردي في أواخر عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦- ١٩٠٩)، حيث كان من كبار المتنفذين في الدولة العثمانية، هذا من جهة ومن جهة أخرى فان أول حركة قامت ضد الاتحاديين الذين قاموا بانقلاب ضد حكم السلطان عبد الحميد الثاني في ٢٣تموز١٩٠٨، هي الحركة التي قادها إبراهيم باشا الملي في جنوب غرب كردستان وسوريا وانتهت بموته بمرض الديزانتري عندما كانت القوات الحكومة تطارده بالقرب من سنجار[2].

وقبل الدخول في تفاصيل الموضوع من المفيد هنا إلقاء نظرة على أهم المصادر التي تناولت حياة إبراهيم باشا، ويأتي في مقدمتها مؤلف د. احمد عثمان أبو بكر والموسوم بـ(أكراد الملي وإبراهيم باشا)، ففضلاً عن المعلومات المهمة التي أوردها الكاتب عن هذه الشخصية، في الكتاب أيضاً ترجمة لأحاديث السير مارك سايكس[3] عن إبراهيم باشا ووصف حاله في بداية سنة ١٩٠٦ التي نشرها في كتابه (ميراث الخليفة الأخير)، إضافة إلى ترجمة نص مخطوطة عبد الكريم بهجت والمعنونة بـ(نبذة تاريخية من حياة المرحوم إبراهيم باشا الملي) التي كتبها في حوالي سنة ١٩١٤ والتي كشفت الشيء الكثير عن حركته التي قام بها في سنة ١٩٠٨. كما ان كتاب م.س.لازاريف (المسألة الكردية ١٨٩١-١٩١٧) قد تناول هذه الشخصية معتمداً على الوثائق الروسية. فضلاً عن ذلك لم يكن بالإمكان الاستغناء عن مؤلف محمد أمين زكي (خلاصة تاريخ الكرد وكردستان) حيث انه القى الضوء على أصول العائلة المليـة واهم زعمائهم قبل إبراهيم باشا، وكتاب ايوب قران والمعنون بـ (Kürt Milan Aşiret Konfederasyonu) لما فيها من معلومات مهمة عن ابراهيم باشا والزعماء الذين حكموا العشيرة من قبلة، وكتاب عثمان علي : (دراسات في الحركة الكردية المعاصرة ١٨٣٣- ١٩٤٦)، الذي اعتمد على وثائق عثمانية وبريطانية تنشر لأول مرة . بالإضافة إلى مصادر ومراجع عدة تم تثبيتها في الهوامش. وأخيراً فان اغلب المصادر المتناولة لم تحل كل القضايا المتعلقة بحياة الملليين وحركة إبراهيم باشا بل ظلت هناك أموراً عدة لم يتم التأكد منها وقد تم الإشارة إليها ضمن البحث.

موطن الملي واهم العشائر المنضوية تحت اتحادهم:

هناك إشارات تاريخية تفتقد إلى السند الصحيح تذكر بأنه في القديم كان جميع الكرد ينتسبون إلى مجموعتين هما (الميلان) و(الزيلان)، وان الملي هي أصل

الميلان القديمة التي تفرع عنها العديد من الطوائف الكردية وانهم كانون يسكنون في أقصى شمال شرق كردستان[٤].وتذكر بعض المصادر ان الموطن الأصلي للملي كان حول مدينة وان الا انه في حوالي القرن السادس عشر هاجرت هذه العشيرة إلى جنوب غرب كردستان نتيجة لافتعال بعض المشاكل هناك. المهم في الأمر ان هذه العشيرة تواجدت وما تزال بعد هذا التاريخ في جنوب غرب كردستان وامتد نفوذها إلى الأراضي السورية في بعض الأحيان. وأقصى ما وصل اليه نفوذ هذه العشيرة كان في بداية القرن العشرين عندما كان يحكمها إبراهيم باشا، فقد كانوا يحكمون الولايات الشرقية والجنوبية من تركيا الحالية وشمالي الشرق من سوريا. يحدها قوس يمتد من بلدة الجزيرة ونهر الخابور إلى بينكول صاعداً غرباً. والى الحسكة وجبل سنجار جنوباً. ومن هناك إلى ماردين والجزيرة شرقاً. فتقع مواطنها في الجنوب من جبال طوروس الشرقية وعلى نهر دجلة نحو الشرق والغرب. وتقع بلدة ويرانشهر- مركز رؤساء الملي- في وسط الخط بين ماردين واروفة[٥]. وقد خضعت لإبراهيم باشا اغلب العشائر الكردية والعربية في ولاية ديار بكر ووان وبادية الجزيرة وحلب[٦].

لا تشير المصادر المتناولة إلى تاريخ تشكيل اتحاد عشائر الملي واهم العشائر المنضوية إلى هذا الاتحاد في القرن التاسع عشر، الا ان مارك سايكس الذي زار إبراهيم باشا في بداية القرن العشرين ودرس حياتهم الاجتماعية ذكر ان عشيرة الملي كانت تتكون من ثلاثين أسرة فقط وتمكنت هذه العشيرة من تكوين اتحاد عشائري سميت في التاريخ الحديث باتحاد عشائر الملي واهم العشائر الداخلة في هذا الاتحاد كما أوردها مارك سايكس، هي:

"دانان ٢٥٠٥ أسرة، سيدان ٤٥٠ أسرة، كيران ٥٥٠ أسرة، دوديكانلي؟ أسرة، خالاجان ٧٠٠ أسرة، كليش؟ أسرة، مندان؟ أسرة، كومنارش ٣٥٠ أسرة، شركيان ٨٠ أسرة، ايل كاوات؟ أسرة، داشي؟ أسرة، مشكينلي؟ أسرة، كالندلان؟ أسرة، حاجي بيرام؟ أسرة، حسنكان ٢٦٠ أسرة، خالاجاري ٧٠٠ أسرة، ايليا؟ أسرة، اسيادات ٨٥ أسرة، تركان ٧٠٠ أسرة، ناسران ٧٥ أسرة، تجوفان ٢١٠ أسرة، سرتان ٨٠ أسرة، اوسباخان ٧٠ أسرة، ماتميه ٨٠٠ أسرة، جميكان ٢٥٠ أسرة، باركوهان ١٣٠ أسرة، هسوله ٥٥٠ أسرة، جيا ره ش؟ أسرة، زيروفكان ٢٠٠٠ أسرة، داغ باشي؟ أسرة، بوجاك؟ أسرة، هوشيان؟ أسرة، بسكي ٨٠٠ أسرة، حاجي مانلي ٥٠٠ أسرة، كاسياني ٥٠٠ أسرة، جاكالي ١٠٠٠ أسرة، مرديس ١٠٠٠ أسرة، ايوتركيج؟ أسرة، جانبيك؟ أسرة، بيليان بوركا ٥٠٠، أسرة درة جان ٨٠٠ أسرة، كاو ٥٠٠ أسرة، مولكان ٥٠٠ أسرة"[٧]. ومن الجدير بالذكر ان اغلب هذه

العشائر كانت عشائر رحل والقليل منها كانت مستقرة. كونت هذه العشائر ما كان يعرف باتحاد عشائر الملي.

التاريخ السياسي للملي حتى مجيء إبراهيم باشا:

مر سابقاً بأن الموطن الأصلي للملي كان حول مدينة وان الكردية على الحدود العثمانية الإيرانية، وبرز اسم زعيم قوي منهم هو (عمر أغا) الذي ما لبث ان قتل في إحدى المعارك بين العشائر هناك، ونتيجة لهذه الحوادث ترك الملي موطنهم وسكنوا في أقصى جنوب غرب كردستان[٨]. وأول زعيم قوي حكم الملي هو (تيمور باشا) الذي قضى الشطر الأول من حياته في استانبول وتقلد هناك مناصب عدة، الا انه ترك استانبول لحدوث بعض المشاكل وتوجه إلى كرد الملي الذين كانوا أحوج ما يكونوا اليه لانه قائد قوي يجمعهم ويبعد الظلم عنهم، فسرعان ما تزعمهم وتمكن من بسط سيطرته على شمال الجزيرة الفراتية وتوسع هناك كثيراً حتى هدد ديار بكر نفسها[٩]. يقول(السير بركينغهام) في كتابه (بين النهرين): "كان تيمور باشا قد حشد في جيشه كثيراً من الأشرار، والعتاة القساة في تلك الجهات، فتألفت عنده قوة غير قليلة من الجنود الفتاكة المجهزين تجهيزاً حسناً، بفضل ذكائه الطبيعي، وتعوده على حياة النضال والعصيان من القديم، الأمر الذي جعله يشتهر في مدة قليلة من الزمن في تلك المنطقة. فهابه واليا حلب وديار بكر وخافا مغبة أمره"[١٠].كثيراً ما تصف المصادر زعماء الملي وإبراهيم باشا على انهم كانوا لصوصاً وقطاعي طرق وسفاكي دماء[١١]، الا انه يظهر بأن العديد من هذه المصادر قد تحاملت على الملليين، وكانت ظروف المنطقة والظرف الزماني تفرض عليهم القيام بذلك للحفاظ على سلطتها في المنطقة، وفي الوقت نفسة كانت تلك الاعمال صفة اعتيادية يتحلى بها جميع العشائر، بل كانت مفخرة للعشائر كعشيرة الملي انذاك.

صار وجود تيمور باشا خطراً على المنطقة بنظر السلطات العثمانية وخاصة على طرق المواصلات التي تمر عبر أراضيهم، وعلى هذا الأساس طلب السلطان سليم الثالث (١٧٨٩- ١٨٠٧) من والي بغداد سليمان باشا الكبير (١٧٨٠-١٨٠٢) بالقضاء على تيمور باشا. فسار والي بغداد شمالاً على رأس جيش كبير إلى الموصل في أوائل سنة ١٧٩١ وانضم إلى قواته حوالي ثلاثين ألف فارس ثم توجه إلى ماردين لملاقاة تيمور باشا الذي لم يكن في يده القوة الرادعة لوالي بغداد ففر من المعركة، ثم نكل والي بغداد بالكرد الملليين بقساوة بالغة[١٢]. كما اعدم سليمان باشا شقيق تيمور باشا (سعدون بك)

وابن عمه (محمود بك). وعين إبراهيم باشا اخو تيمور باشا زعيماً للملي[١٣]. وبعد مضي فترة من الزمن عفا سليمان باشا عن تيمور باشا بعد ما سلم نفسه في بغداد وعينه واليا على اورفة، ثم على سيواس الذي ما لبث ان توفي فيها سنة ١٨٠٣[١٤] .

انتقلت رئاسة عشيرة الملي بعد إبراهيم باشا إلى أيوب بك الذي استمر حكمه لمدة طويلة، يحكم المنطقة بشكل مستقل ولا يلتفت إلى أوامر السلطات الحكومية التي أرسلت عليه جيشا وبعد عدة معارك القي القبض عليه وسجن في ديار بكر وبقي فيها حتى وفاته[١٥].

تولى زعامة الملي بعد أيوب ابنه (تيماوي باشا) حفيد تيمور باشا الذي مارس بدوره سلطة مطلقة في منطقته، وفي أثناء حملة إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا المصري على سوريا سنة ١٨٣٣[١٦]، تحالف تيماوي باشا مع الجيش المصري واحتل ماردين واسترددت إمارة ملي بعضاً من قوتها [١٧]. ولكن بعد انسحاب القوات المصرية هاجم عمر باشا والي ديار بكر على ماردين وقتل تيماوي باشا في إحدى المعارك[١٨]. وبعد جلاء الجيش المصري من المنطقة عادت سيطرة الحكومة العثمانية إليها مرة أخرى، وتعرضت عشائر الملي إلى نكبات شديدة وغارات كثيرة وبالتحديد من قبل عشيرتي طي وشمر العربيتين فقد استولتا على العديد من القرى والبلدات التي كانت تابعة للمليين[١٩].

استلم زعامة المليين بعد تيماوي باشا ابنه محمود بك، فقام هذا الزعيم بترتيب البيت الملي وجدد قلعة ويرانشهر. ولم يكد يمر وقت طويل حتى تجدد الصراع بينه وبين والي ديار بكر عمر باشا الذي تغلب على محمود بك وقبض عليه وأودعه السجن[٢٠]. عندئذٍ لجأ ابنه إبراهيم بك إلى الحكومة المصرية والتمس من الخديوي إسماعيل باشا (١٨٦٣- ١٨٧٩) حاكم مصر ان يسعى لإطلاق سراح والده من السجن فساعده الخديوي، واستصدر من السلطان عبد العزيز (١٨٦١- ١٨٧٦) فرماناً بالعفو عن محمود بك الذي أطلق سراحه فعلاً. ولكنه توفي بعد ذلك لسوء حالته في السجن وآلت زعامة المليين إلى ابنه إبراهيم في بداية عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦- ١٩٠٩) [٢١].

نكتفي بهذا القدر من المعلومات عن الزعماء المليين قبل إبراهيم باشا الذي كان الرجل الثاني بعد تيمور باشا الذي اوجد السمعة والقوة العالية للمليين التي امتازت بها عند استلامه لزعامتهم مما حدا بالمؤرخين إلى البحث عن تاريخ هذه الأسرة والعشيرة.

إبراهيم باشا الملي:

تعد حياة إبراهيم باشا الملي مثالاً نموذجياً لظهور سلالة كردية ووصولها إلى الحكم وسقوطها بفعل الأحداث الدولية، كما تعد حياته مثالاً حياً للقوة التي كان يتمتع بها الكرد في العهد الحميدي ولما آل إليه وضعهم في ظل حكم الاتحاديين[٢٢]. لا يعرف بالضبط سنة ولادته إلا ان اغلب المصادر تشير إلى انه كان في سن (١٧) سنة عندما ذهب إلى مصر واستنجد بالخديوي إسماعيل باشا ليخلص والده من السجن وكانت هذه الحادثة في ستينات القرن التاسع عشر، وهذا يدل على ان إبراهيم باشا قد ولد في أربعينيات القرن التاسع عشر ولكن مع هذا لا يعرف سنة ميلاده بالضبط[٢٣].

وينقل احمد عثمان الوصف التالي عن مارك سايكس الذي زار إبراهيم باشا في بداية القرن العشرين:

" كان إبراهيم باشا طويل القامة نحيف البنية، ذا وجه كردي صميمي، وله عينان نافذتان وذكيتان تلمعان تحت جبين عال وذا فم واسع...أفصح الباشا خلال الحديث عن معرفة دقيقة بشؤون وأحداث أوربا. ومنها علاقة انكلترا بايرلندا وغيرها من المعلومات التي دلت إلى انه يتلقى معلومات من مصادر عدة، إضافة إلى الجرائد التركية التي يحوز هو منها على الأعداد العظيمة بطبيعة الحال. وكان الناس الذين يحيطون به ينتمون إلى العناصر والمذاهب التي تحفل بها الدولة العثمانية...كان إبراهيم باشا شخصية عجيبة حقاً، فكان هو بلا شك قائداً طبيعياً للرجال يمتاز بقدرة عظيمة على ضبط النفس كما هي صفات أولئك الرجال الذين اختبروا الجوانب الأكثر قسوةً واضطراباً في الحياة...ففيه نرى حياً صفات الورويك الانكليزي (البارون) [٢٤]، من ذلك الطراز الذي لا يجدون لأنفسهم قريباً مكاناً حتى في الدولة العثمانية. فنرى فيه البارون الإقطاعي والمستبد الشرقي ورئيس الرحالة. ففي معسكره بين الخيم ان تتخيل بعض أوجه الحياة في معسكرات تيمور واتيلا. [٢٥] وفي صعوده إلى السيادة هناك بعض ملامح نجاح العثمانيين الأوائل. ففي قوته وضعفه تكمن بعض ميزات ومعايب ميرداد [٢٦].

ان هذا النص التاريخي يكشف بعضاً من صفات إبراهيم باشا على لسان مارك سايكس الذي يعد شاهد عيان حيث ينقل وصفاً دقيقاً عن شكله ومسكنه وجنوده وثقافته مما يوحي إلى ان إبراهيم باشا كان يختلف عن زعماء المنطقة في عهده، بأنه كان يتابع اغلب شؤون عصره وان كان هو نفسه من الكرد الرحل.

بعد ان أصبح إبراهيم باشا زعيماً للملي اخذ هو كأسلافه يتوسع في المنطقة في بداية عهده خاصة في المناطق الواقعة بين ماردين وديار بكر مما أزعجت السلطات الحكومية كثيراً التي ما لبثت ان جردت حملة عسكرية وألقت القبض علية ونفته إلى سيواس، ولكنه تمكن بعد ذلك الهروب من منفاه والرجوع إلى مسقط رأسه ويرانشهر[٢٧].

بعد ذلك التفت إبراهيم باشا إلى أموره الداخلية وحاول توحيد جبهة عشائر الملي، الا انه سرعان ما تولت ائتلافات من القبائل العربية والكردية، بقيادة شمر، شن هجومين كبيرين عليه، غير إنهما فشلا. وفي الهجوم الثالث لم يعد في استطاعة شمر ان تعتمد على حلفائها الكرد، بل ان قبيلة كيكان الكردية المهمة بدلت تحالفها وصارت تدفع الإتاوة إلى إبراهيم باشا وساعدت الملي في دحر شمر، حلفائها السابقين[٢٨].

ان المتتبع لحياة إبراهيم باشا الملي يرى بان نجمه قد سطع من خلال محطتين رئيسيتين، الأولى: هي الحرب الروسية العثمانية سنة ١٨٧٧ التي شهدت بروز معظم الزعامات الكردية التي لعبت دوراً أساسياً في الحياة السياسية الكردية أواخر القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين أمثال الشيخ عبيد الله النهري[٢٩] والشيخ سعيد البرزنجي[٣٠] وكذلك إبراهيم باشا. فقد أصبح من احد سياسات السلطان عبد الحميد الثاني بعد هذه الحرب هو التقرب إلى الكرد قدر المستطاع ودمجهم بالدولة العثمانية لأهداف سياسية عليا[٣١]. اما المحطة الثانية: فهي قيام السلطان عبد الحميد الثاني بتشكيل الفرسان الحميدية في سنة ١٨٩١ [٣٢] . التي انضم اليها إبراهيم باشا الملي بكامل قواته وشهد نفوذه بعد ذلك توسعاً كبيراً.

في سعيه لبناء إمارته اتخذ ابراهيم باشا سياسة مبنية على القواعد الثلاث التالية: مصادقة القوي، إرضاء الضعيف، وإرهاب الأضعف للخضوع له[٣٣]. فمثلاً أول عمل قام به إبراهيم باشا بعد انتهاء الحرب العثمانية الروسية ١٨٧٧ انه عقد صداقة متينة مع طائفة الشركس المقيمة في رأس العين، ثم بدأ يجمع تحت جناحه رؤساء وشيوخ من العشائر المجاورة ويضمهم اليه، وبهذه الصورة ضمن فرق مؤلفة من ١٠٠ الى ٢٠٠ خيمة[٣٤]. وقد أتقن هذا الفن الدبلوماسي لدرجة انه لم تمض إلا بضع سنين حتى أصبح كرد الملي قوة لا تقاس بما كانوا عليه في السابق. وقد تحقق ذلك عن طريق الدراية والمكر والمؤامرة في المقام الأول ولم يكن يدرك كنه هذه السياسة الآخرون الذين كانت تشغلهم نزاعاتهم وعصبياتهم[٣٥].

كان لظهور التشكيلات الحميدية سنة ١٨٩١ الأثر الأكبر في تقوية إبـراهيم باشـا الملي وسـاعدته هـذه القـوات غـير النظاميـة في ان يـصبح الرجـل الأول في المنطقـة دون منازع، ونتيجة لاشتراكه في هذه القوات والحـرب العثمانيـة اليونانيـة سـنة ١٨٩٧ رفعـت رتبته إلى (مير ميران – امير الامراء)، وعرف بذلك باسم ابراهيم باشا الملي.[٣٦].

ازداد نفوذ إبراهيم باشا يوماً بعد يـوم وبـدأ باسـتعمال سياسـة العـصا والجـزر مـع القبائـل الكرديـة والعربيـة الـساكنة بـين ديـار بكـر واورفـة. إذ قتـل وشـرد البـدو والعشائر العربية في البادية كشمر والعنـزة، وتزوج من بنت شـيخ طـي العربيـة المتنفـذة وبـذلك افـسد مـشروع القبائـل الكرديـة والعربيـة المنافـسة لـه، خاصـة عـشيرة الـبرازي الكردية[٣٧]، حتى انه الحق هزيمة قوية بشمر في نهاية المطاف[٣٨]، كما قطع الطريق علـى خـصومه مـن أعيـان ديـار بكـر والموصـل واورفـة وحلـب المتربـصين بـه، لأنـه كـان يهـدد مصالحهم الاقتـصادية ويفـرض علـيهم ضـريبة الحمايـة علـى القوافـل في المنطقـة والـتي كانت العشائر ترفضها [٣٩].

على الرغم من العلاقة القوية بين إبراهيم باشا وبين الـسلطان عبـد الحميـد الثاني حتى ان السلطان كان يدعوه بـ(ابني إبراهيم باشـا) وتيمنـاً بـه أسمـى إبـراهيم باشا احد أبنائه باسم عبـد الحميـد[٤٠]. الا ان إبـراهيم باشـا عـارض الـسلطان في مـرات عدة منها على سبيل المثال: اتخاذه موقفاً ايجابياً للغاية من الأرمن إثنـاء المرحلـة الأولى من المذابح (١٨٩٤- ١٨٩٦) إذ تمكن من إنقاذ حوالي عشرة ألاف ارمني[٤١]. وكذلك في سنة ١٩٠٥ عندما أمره الـسلطان بالتوجـه مـع لـواءين مـن الحميديـة إلى اليمن للقـضاء علـى تمرد وقع هناك، الا ان إبراهيم باشا رفض هذا الأمر بحزم[٤٢].

تعاظمت قوة إبراهيم باشا يوماً بعد يوم فقد امتلك مئات الألوف مـن رؤوس الأغنام وعشرات الآف الخيول وألآف الجمال وخمسة ألاف قطعة سلاح. وامتدت سـلطته على مساحة ٤٠٠ قرية، وبلغ عدد أفراد العشائر الخاضعين له عشرة الآف عائلة، وقـدم الأتاوات ليس كرد عشيرة ملي وحدهم بل والكثير من القبائل المجاورة الـتي ضـمن هـو حمايتها والدفاع عنها من العشائر الأخرى ومن السلطة العثمانية[٤٣]. حيث ألزم جميـع أفراد العشائر الخاضعة له بالتزامـات معينـة لكونـه خلفاً للخليفـة وكـان يأخـذ الزكـاة وعـشر مـدخول الفلاحـين سـنوياً، إضـافة إلى ذبيحـة تـسمى (خـير- صـدقة) [٤٤]. وصـار يقود لوحده خمسة ألوية حميدية من مجمـوع سـبعة ألويـة وكـان ذلـك قـوة عـسكرية كبيرة، حيث ان كل لـواء حميـدي كـان يتكـون مـن مجمـوع ١٠٠٠- ١٢٠٠ فـارس. وتحـول إبراهيم باشا بفعل هذه القوة إلى ثاني أغنى رجل في الدولـة العثمانيـة بعـد الـسلطان.

لـذلك جمـع بـين الإرادة الـسياسية والقـوة العـسكرية والاقتـصاد القـوي لبنـاء إمارتـه[٤٥].حتـى وصـل الأمـر بـإبراهيم باشـا المللي إلى ان قـال عنـه الـسفير الروسـي في اسـتانبول ي.أ.زينوفييـف:" كـان يتمتـع بنفـوذ كـبير في المنطقـة، لدرجـة ان مطاليبـه تحظى بالاحترام أكثر من أوامر السلطان نفسه"[٤٦].

لقد بدأت حركة عشائر المللي التي ترأسها إبراهيم باشا منذ عام ١٩٠١، وخـلال المدة ١٩٠١- ١٩٠٤،كانت عملياتـه تجـري في جبـال (قـةرةض داغ) وكـان فيـديمان الرحالـة الألماني الذي زار إبراهيم باشا عـام ١٩٠٣ في ويرانـشهر قـد كتـب: ان الباشـا كـان في هـذا الوقت في قمة جبروته، وسيطرته تمتد بـلا منـازع مـن بيرجيـك علـى نهـر الفـرات إلى الموصل على نهر دجلة. وبصدق كامل أطلقوا عليه آنـذاك لقـب (ملـك كردسـتان غـير المتوج) [٤٧].

في سنة ١٩٠٤ حدث نزاع مسلح بين إبراهيم باشا وعشيرة (قره كيج) الكرديـة الـتي كانـت تـسكن بـالقرب مـن سـيفيريك، بـسبب منافـستهم لمنـاطق النفـوذ في هـذه المنطقة، ورغم تـدخل الحكومـة العثمانيـة لفـض النـزاع الا ان إبـراهيم باشـا حـاربهم وواصل تقدمه حتى الحق هزيمة تامة بهم ونقلت خيـامهم وأمـوالهم إلى ويرانـشهر، الا انه لم تمض فترة قصيرة حتى تصالح إبراهيم باشا معهم وأعاد إليهم أموالهم. كما قـام بالمصالحة مع استانبول بأن أرسل لها قافلة مؤلفة من خمـسمائة جمـل محملـة بالـدهن والسمن[٤٨].

كثيراً ما اشتكى أهـل مدينـة ديـار بكـر للـسلطان مـن تـصرفات إبـراهيم باشـا وفرسانه الحميدية، الذي أصبح الحاكم الفعلي فيها نتيجة لتكرار هجمـات رجالـه علـى المدينـة وبث الفوضى فيها، فضلاً عن قيامهم في مرات عديـدة بنهـب وسـلب بعـضاً مـن ضواحي المدينـة كما حدث في سنة ١٩٠٥[٤٩] . كما اشتكى عليه (زكي باشا) [٥٠] نفسه مـن السلطان عبد الحميد مقترحاً اتخاذ إجراءات فوريـة ضـده. الا ان كـل هـذه الـشكاوى لم تأت بنتيجة تذكر، ففي كل مرة تحدث فيها مشاكل في مناطق نفوذ المللي كان إبـراهيم باشا يقـوم بإرسـال قافلـة هـدايا إلى اسـتانبول لغـض الطـرف عـن هـذه الـشكاوى، وكـان السلطان أيضاً من جانبه غير جاد في القضاء عليه[٥١].

قبل الدخول في تفاصيل نهاية إبراهيم باشا، وكيف كان سقوطه بعـد أحـداث انقلاب تموز ١٩٠٨. من المفيد إلقاء ولـو نظـرة مختـصرة علـى مدينـة ويرانـشهر حيـث مقر إبراهيم باشا.

ويرانشهر:

اكتسبت ويرانشهر- وتعني المدينة المخربة باللغة الكردية-شهرة واسعة في عهد إبراهيم باشا الذي سماها بـ (وليدته المحبوبة) [٥٢]، وقد كان محمود باشا والد إبراهيم باشا هو أول من اتخذ ويرانشهر مركزاً دائما لكرد الملي[٥٣]. وأصبحت ويرانشهر مقراً أصلياً لإبراهيم باشا، حيث كان يدير منها شؤون جميع المناطق التابعة له، وقد بقيت منطقة ويرانشهر مستقلة لان قيادته للفرق الحميدية أعطته سلطة الإشراف والهيمنة والإدارة. ولم تدفع ويرانشهر الضرائب، ومع ذلك لم تجرؤ اية قوة عسكرية ان تتواجد فيها، خاصة بعد ان ضمت كل من لجأ اليها من اثنيات ورتب ووظائف مختلفة[٥٤].وانشأ فيها سوقاً أخذت تنمو وتتوسع[٥٥]. ويذكر الباحث الروسي(كرديفسكي) بأن الأرمن الذين أنقذهم إبراهيم باشا من الموت بين سنوات ١٨٩٤- ١٨٩٦ وأسكنهم في ويرانشهر كانوا السبب في ازدهارها[٥٦].

نكتفى بهذا القدر عن ذكر ويرانشهر، ولكنها تركز على خيمة إبراهيم باشا التي كانت مقراً لحكمه فيها، فمثلاً يذكر مارك سايكس عنها:" اقتادني إبراهيم باشا إلى –خيمته- الخيمة العظيمة التي كانت ترفعها أكثر من مائة عمود، والمصنوعة من قماش قياسه ١٥٠٠ ياردة مربعة.. وكان يقف حوالي ١٥٠ رجلاً حول الدكة المنخفضة التي تربع عليها الباشا في النهاية القصوى للخيمة"[٥٧]. ويصف الرحالة السويدي (الكسيس - Alexis) إجراءات دخول الباشا إلى الخيمة بصورة أدق، التي علق فيها النفائس وفرشها بالسجاد النفيس، وجلوسه فوق كرسي مغطي بجلد أسد، وسماعه له يخطب بالحاضرين بعد الاستماع لمشاكلهم وكيف عقد محكمته. وكان الكرسي عرش إبراهيم باشا –كرسي الحكم- وكان السجاد فوق ارض طرفي الخيمة مخصصاً لجلوس الضيوف، والمرشد كان ارمنياً، وطلب جلوس الحاضرين، وبانتظار وصول الباشا شربنا قهوة مميزة، وظهر الباشا وكان يرتدي ثياب الباشوية وجلس على كرسيه ودعوته الكسيس بالجلوس بجانبه ولكن بانخفاض نصف متر عنه، ثم يضيف بأن علو منسف الطعام في خيمته كان متراً ونصف[٥٨].

واخيراً يذكر مارك سايكس عن هذه الخيمة، قوله:" خلال خمسة أيام من إقامتي في ضيافة الباشا، لاحظت ان جميع الأعمال والأمور تجري داخل الخيمة الواسعة. كان الفرسان الحاملون للرسائل والكتب والأوامر يجيئون ويروحون بلا انقطاع للقيام بكل أنواع المهمات والأشغال ولتنفيذ الصفقات التي كان الباشا يعقدها ويحلها بدراية فائقة من دون ان يتوقف ليفكر، بل كان واضحاً انه واثق دائماً من

نفسه"[٥٩]. المهم في هذا الأمر ووفق هذه الروايات التاريخية القليلة عن ويرانشهر وخيمة إبراهيم باشا مقر حكمه يتبين شكل الحياة والحكم في هذه المدينة التي كانت تحكم جنوب غرب كردستان وشمالي سوريا لما يقرب الثلاثة عقود.

انقلاب تموز ١٩٠٨ ونهاية ابراهيم باشا:

بعد ان صار إبراهيم باشا سيد هذه المنطقة دون منازع وكان ذلك على حساب زعماء ووجهاء المنطقة الآخرين الذين تضررت مصالحهم كثيراً نتيجة لاستحواذ إبراهيم باشا على مقدرات المنطقة السياسية والعسكرية والاقتصادية، فكان من الطبيعي ان تحاربه فئات عديدة من المجتمع الكردي والعربي هناك والتي بدأت تتربص الفرصة للقضاء عليه، ويمكن حصر أعداء إبراهيم باشا الملي بالفئات التالية:

أولاً: أهل المدن الكبيرة التي كانت تقع في مناطق نفوذ إبراهيم باشا، مثل مدن ديار بكر، ماردين، أورفة والموصل. وذلك بسبب جملة من الأسباب يأتي في مقدمتها: ان إبراهيم باشا كان من الكوجر (البدو) او من الريف الكردي وهو الإقطاعي المستغل الأكبر في المنطقة ومهما فعل إبراهيم باشا فهو يبقى في نظرهم غير متحضر ومن الريف، هذا من جهة ومن جهة أخرى فأن الهجمات الكثيرة التي شنها إبراهيم باشا وفرسانه الحميدية على هذه المدن وبالأخص على مدينتي ديار بكر واورفة وما واكب هذه الهجمات من عمليات سلب ونهب أدت بالتالي إلى نفور أهل المدن من الكرد الملية. كما كان لضعف الشعور القومي الكردي عند الجانبين اثر كبير في هذا الخلاف. فضلاً عن محاولة إبراهيم الباشا للسيطرة على الطرق التجارية القريبة من هذه المدن وفرض لضرائب على القوافل التجارية المارة بهذة الطرق.

ويأتي على رأس القائمة التي ناصبت العداء لإبراهيم باشا من أهل هذه المدن (ضياء كوك الب) [٦٠] من أهالي ديار بكر وكثيراً ما اشتكى هذا الشخص عند السلطان عبد الحميد من تصرفات إبراهيم باشا في المنطقة ولكن دون نتيجة تذكر. وكان قد كتب في صحف هذه المدن العديد من المقالات التي يهاجم فيها طبقة الأغوات وزعماء العشائر، وتطرق فيها إلى هذا الصراع بين أهل المدن وأهل الريف. فقد قال في احدى مقالاته عن هذا الموضوع:

" ما ان يتمكن احد الأغوات من وضع احد أعضاء الإدارة تحت تصرفه من خلال مهارته في فن الاكتساب السري للأعضاء الفاعلين، فانه يحاول على الفور تخليص رجال قريته في سن التجنيد من الجيش، والجناة من المحاكم، والذين كانوا مدينين بالضرائب ومستحقات بدل العمل من جباة الضرائب. انه يعيش كأمير مستقل في

حدود قراه من خلال هذه الخدمات. انه كان يحصل على الضرائب عن الجرائم، والزيجات والخطف كما يتلقى الكثير من الفوائد الأخرى. لقد كان القرويون الذين يعتقدون انهم الان تحت حكم الواجب، يدفعون المبالغ عن ضرائب المواشي وفق المبلغ المحدد بالضبط للأغا، وحتى يمنع ضريبة أي مزارع اخر على القروي ما عدا الأغا فانه أصبح كتوماً، ويطلق اتهامات كاذبة ويعطي أدلة مزيفة ويعمل كل ما يلزم"(٦١).

كما ان الباحث عثمان علي قد نشر وثيقة عثمانية بخصوص هذا الأمر تعود إلى سنة ١٩٠٧، وهذه الشكوى ضد إبراهيم باشا الملي موقعة من قبل (٢٥٠) شخص من أهالي ديار بكر ومن ضمنهم ضياء كوك الب. والشكوى مرسلة إلى غازي ادهم باشا رئيس دائرة الكتاب في قصر السلطان عبد الحميد الثاني. وجاء فيها ان أجدادهم خدموا الدولة العثمانية بإخلاص قبل الملليين بكثير الذين كانوا حينذاك من الرعاع يعيشون حياة دون الكفاف، الا ان الدولة الآن تفضلهم على الكل وتتغاضى عن أفعال وأعمال إبراهيم باشا وأتباعه في المنطقة حتى انه قتل في مرات عديدة ضباط وجنود الدولة أنفسهم ولكن دون عقاب له. وفي الأخير يطلب الأهالي من الدولة الرجاء التخلص من إبراهيم باشا وأولاده لخلاص المنطقة من شرهم وللحفاظ على سمعة الجيش العثماني(٦٢).

ثانياً: أما الفئة الثانية التي ناصبت العداء لإبراهيم باشا فهي العشائر الرحالة والشبه مستقرة من الكرد والعرب على حد سواء. فقد كان توسع سلطتة ونفوذه مبنياً بشكل كبير على التوسع على حساب العشائر المجاورة. فان إبراهيم باشا _كما مر سابقاً_ قد حارب العديد منهم كعشيرة شمر وطي وعنزة العربية وعشيرة برازي وقراكيج الكردية وانتصر عليهم ودخلت اغلبها (العشائر) تحت سيطرته، وهناك من العشائر من خافت منه فانضمت إلى إبراهيم باشا دون قتال كعشيرة كيكان الكردية. لذلك ناصبت هذه العشائر العداء له رغم انه تصالح مع اغلبها. وخير دليل على ذلك عشيرة شمر العربية التي كانت على رأس القوات العثمانية التي قضت على إبراهيم باشا أواخر سنة ١٩٠٨، كما سيأتي الحديث عنها لاحقاً.

ثالثا: اما الفئة الثالثة والأخيرة التي ناصبت العداء لإبراهيم باشا فهم القادة العسكريون في المنطقة وولاة المدن والولايات القريبة من مناطق نفوذه. كان من الطبيعي ان يعادي القواد العسكريون النظاميون إبراهيم باشا وذلك لأنهم همشوا بعد تشكيلات الفرسان الحميدية خاصة في كردستان التي أصبحت لها الكلمة العليا فيها،

فظهر استياء واضح من الجيش لهذه الفرق الحميدية غير النظامية في اجزاء من أرجاء كردستان، وبما ان إبراهيم باشا كان أقوى هؤلاء الزعماء الحميدية لذلك نرى بان هذه القوات لم تتقاعس بعد انقلاب تموز ١٩٠٨ في القضاء عليه. والحال نفسه ينطبق على ولاة المدن وخاصة ولاة ديار بكر وماردين الذين لم يستطيعوا أبداً من فرض سيطرتهم على المنطقة بوجود إبراهيم باشا.

حدث في يوم ٢٣ تموز ١٩٠٨ ان قام الاتحاديون بانقلاب ضد السلطان عبد الحميد الثاني واجبروه على الحكم وفق دستور على غرار الدول الأوربية. وسرعان ما أدى هذا الانقلاب إلى سقوط معظم الرموز والقوى التي كانت تدعم السلطان عبد الحميد الثاني ويأتي على رأسهم إبراهيم باشا الملي. فبعد ان سيطر الاتحاديون على الحكم كان من أهم أولوياتهم، كما يذكر احد قناصل السفارة البريطانية في استانبول، هو القضاء على إبراهيم باشا نجم القصر والولد المدلل للسلطان(٦٣).

بدوره كان إبراهيم باشا هو أول من قام بحركة ضد الاتحاديين، فقد كان قريباً من دمشق عندما وصلته أنباء هذا الانقلاب حيث كان في طريقه للقضاء على العشائر العربية الذين يعرقلون بناء خط سكك حديد الحجاز(٦٤). فأعلن الثورة وأراد تحويل سوريا إلى قاعدة للتحرك ضد الاتحاديين وجمع حوله خمسة ألاف فارس حميدي، وخلال أيام وقعت المنطقة الممتدة بين ارزنجان ودير الزور تحت سيطرته. ولكن الحكومة الجديدة حرضت عليه العشائر العربية وعلى رأسها عشيرة شمر. كما هاجمت قوات من الجيش العثماني مركز حكمه ويرانشهر فقرر عدم دخولها. وأرسل خبراً لأولاده بالزحف بقواتهم الحميدية وأسلحتهم للانضمام اليه خارج ويرانشهر. وبعد معارك كبيرة قرب ويرانشهر انسحبت قوات الحكومة بعد ان تركت ورائها ٣٠٠ قتيل وجريح. ولكن ما لبث ان وصلت إمدادات إلى القوات الحكومية من عدة ولايات قريبة اضطر على أثرها إبراهيم باشا إلى الانسحاب والتوجه إلى الجبال المحيطة بمنطقة سنجار للتحصن فيها، املا في الحصول على دعم حلفائه من الايزديين، لكن أضطر فيما بعد ان يعود باتجاه اورفة واصطدمت قواته في منطقة قريبة بالقوات الحكومية التي كانت تلاحقه. وتوفي إبراهيم باشا في هذه المنطقة، وفق اغلب الروايات نتيجة إصابته بالديزانتري ووفق أخرى توفي اثر نوبة قلبية، وهناك من يقول انه قتل في المعركة أو سمم في ظروف غامضة. وبعد موته استسلمت اغلب قواته من الحميدية إلى القوات الحكومية(٦٥).

استنادا على ما جاء في مخطوطة عبد الكريم بهجت، وهي ان السلطات الحكومية في دمشق كانت تنوي قتل إبراهيم باشا بعد ان مكث فيها لبعض الوقت وذلك بإيعاز من استانبول، الا ان قنصلا بريطانيا وفرنسا في دمشق أبلغا إبراهيم باشا بهذه المؤامرة وان عليه اخذ الحيطة والحذر[٦٦]. غير ان هذا الرأى لم تذكره المصادر الاخرى المتعلقة بهذا الموضوع.

ان الزوال السريع لإبراهيم باشا افرح مواطني ديار بكر، ولكنه شكل صدمة لطبقة الزعماء القدماء من الأعيان والشيوخ الذين تمتعوا بالنفوذ في ظل السلطان عبد الحميد الثاني[٦٧]. وقد سرت شائعة بعد ذلك مفادها ان شخصاً يدعى إبراهيم باشا كان يتجول في كردستان الشمالية يحشد المجندين ويحرض على العصيان. من الواضح ان اسم إبراهيم باشا، حتى بعد مماته، كان يتمتع بالهيبة وينظر اليه على انه الشخص القادر على حشد الشيوخ والزعماء المختلفين الطامحين بالقيام بانتفاضة شاملة لاعادة مواقعهم ومصالحهم[٦٨].

بعد وفاة إبراهيم باشا تعرضت عشيرة الملي إلى الكثير من الويلات، فنهبت قوات الاتحاديين ممتلكات إبراهيم باشا من الذهب والنقود المستودعة في صناديق مخبأة تحت الأرض وصودرت جميع ممتلكاته من الماشية، فشرد أهله في مدن مناستر وسالونيك واستانبول والشام. كما جرت محاكمات صورية لأبناء إبراهيم باشا وزجوا في السجن وسمم ابنه عبد الحميد في السجن. وانتهز الأشراف والتجار في ديار بكر وحلب وماردين واورفة الذين تضرروا من سياسة إبراهيم باشا هذه الفرصة للعمل على الانتقام من ابنائه فسجلوا دعاوى ضدهم. وفي آذار ١٩٠٩ بإيحاء من الاتحاديين قامت العشائر الكردية ككراكاجي وبرازي والعشائر العربية وشمر وعنزة وجيش بتكوين قوة عددها ١٠٠٠٠ شخص وهاجموا بها عشيرة الملي ونهبوا قراهم، وتم اسر أبناء إبراهيم باشا مرة أخرى واخذوا إلى السجن وحوكموا أمام محكمة عرفية[٦٩].ويفهم هنا ان هذة العشائر قد استغلت وفاة ابراهيم باشا للانقضاض على عشيرة الملي انتقاما منهم، وخاصة بعد ان فرض ابراهيم باشا سلطتة وعلى حساب تلك العشائر المجاورة.

قادت الملي بعد إبراهيم باشا زوجته خنسا خانم[٧٠] وكانت تكتب التماسات إلى الدوائر الرسمية والقناصل الأوربية تلتمس فيها اخراج أبنائها من السجن[٧١].ثم ما لبث ان برز ابنه محمود وأصبح ذا نفوذ كبير، وفي الواقع اختاره خبير بريطاني في عام ١٩١٩ بصفته احد انسب مرشحين اثنين لحكم المملكة الكردية التابعة التي كان البريطانيون ينوون تأسيسها في كردستان آنذاك[٧٢].

الخاتمة:

من خلال الدراسة والبحث في سيرة إبراهيم الباشا الذي تبوأ في بداية القرن العشرين مركزاً قوياً في الدولة العثمانية وامتلك أراضي ونفوذاً كبيرين في كردستان، توصلنا إلى نتائج عدة، أهمها:

أولاً: مثل إبراهيم باشا الملي قمة الإقطاع الكردي بعد انهيار الإمارات الكردية الإقطاعية سنة ١٨٥١. حيث لم تستطع الدولة العثمانية بعد ان قضت على هذه الإمارات الكردية المتوارثة منذ العصور الإسلامية من ملء الفراغ الذي تركته هذه الإقطاعيات الكردية، لذلك شهدت كردستان بعد سنة ١٨٥١ ظهور زعامات كردية جديدة عملت على ملء هذا الفراغ والمتمثلة بالقيادات الدينية الصوفية التي اشتد ساعدها بعد الحرب العثمانية الروسية سنة ١٨٧٧، وكذلك شيوخ القبائل وفي مقدمتهم إبراهيم باشا الملي الذي حكم منطقته بصورة مستقلة حتى وصل به الأمر إلى ان طلب من مارك سايكس دعمه لإنشاء دولة كردية[٧٣].

ثانياً: لقد وصل إبراهيم باشا الملي إلى القمة بعد ظهور التشكيلات الحميدية سنة ١٨٩١، فمن خلال هذه الألوية تقرب من السلطان عبد الحميد الثاني وأصبح صاحب قوة عسكرية كبيرة، وان كانت غير نظامية. استغل إبراهيم باشا هذه القوات الى أبعد الحدود وصار ثاني أغنى رجل في الدولة العثمانية بعد السلطان نفسه.

ثالثا: وصفت مصادر عدة إبراهيم باشا الملي على بأنه لص وقاطع طريق وسفاك للدماء، وأخرى وصفته بأنه تصرف بشكل لائق عندما وقف الى جانب الارمن عندما انقذهم من الموت بين سنتي ١٨٩٤-١٨٩٥ واسكنهم في مقره (ويرانشهر) التي ازدهرت بفضلهم . المهم في الأمر وبحثاً عن الحقيقة التاريخية نقول بأن إبراهيم باشا الملي قد تصرف كأي إقطاعي كبير شهدته الدولة العثمانية وإيران آنذاك، وأراد قدر الإمكان التمتع بممارسة النفوذ وجمع ثروة كبيرة تمكنه من إخراجه من المصائب متى وقعت.

الهوامش :

[1] ان اغلب المستشرقين الذين زاروا إبراهيم باشا الملي أوائل القرن العشرين ورأوا بأم أعينهم قوة هذا الباشا وما كان يتمتع به من نفوذ وسلطة في جنوب غرب كردستان، فوصفوه بعدة القاب مثل **ملك كردستان غير المتوج**. ينظر، مثلاً : مارتن فان بروينسن، الأغا والشيخ والدولة: البنى الاجتماعية والسياسية لكردستان، ترجمة: امجد حسين، ج(١)، بغداد، ٢٠٠٧، ص٤٠٩؛ م.س.لازاريف، المسألة الكردية ١٨٩١- ١٩١٧، ترجمة: اكبر احمد، السليمانية،٢٠٠١،ص١٧٤.

[2] للتفاصيل عن الاتحاديين وانقلابهم، ينظر: ارنست أ. رامزور، تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨، ترجمة: صالح احمد العلي، قدم له وراجعه: نقولا زيادة، بيروت، ١٩٦٠،ص١١٧- ١٢٥.

[3] مارك سايكس (١٨٧٩- ١٩١٩): سياسي وضابط بريطاني، تولى مناصب عديدة من بينها، ملحق فخري في السفارة البريطانية في استانبول (١٩٠٥- ١٩٠٦) وضابط في هيئة الأركان العامة(١٩١٥- ١٩١٦) وسكرتير لجنة الدفاع الإمبراطوري، وسكرتير سياسي لوزارة الحرب (١٩١٦- ١٩١٩) ونائب مستشار للشؤون العربية والفلسطينية في وزارة الخارجية البريطانية سنة ١٩١٨، كما حضر مؤتمر الصلح في باريس سنة ١٩١٩، وقد ارتبط اسمه باتفاقية سايكس –بيكو سنة ١٩١٦. ينظر:مارك سايكس، القبائل الكردية في الإمبراطورية العثمانية، ترجمة: أ.د. خليل علي مراد، تقديم ومراجعة وتعليق: أ.د. عبد الفتاح علي بوتاني، سوريا، ٢٠٠٧، ص٢٢؛ بيار مصطفى سيف الدين، السياسة البريطانية تجاه تركيا وأثرها في كردستان، عمان، ٢٠٠٧، ص٥٩- ٦٠.

[4] حول التاريخ القديم لهؤلاء الكرد، ينظر: جمال رشيد احمد، لقاء الكرد والآن في بلاد الباب وشيروان، ط٢، اربيل،٢٠٠١، ص٩ وما بعدها؛ ويذكر مارك سايكس في أحاديثه مع كرد الملليين هذه الأسطورة. ينظر: د.احمد عثمان أبو بكر، أكراد الملي وإبراهيم باشا، في عشائر كردستان، بيروت، ٢٠٠٢، ص١١٦.

[5] د. احمد عثمان أبو بكر، المصدر السابق، ص٩٥؛ فەیسەڵ دەباغ، كوردستان لەچاپكراوە عوسمانلییەكاندا،هەولێر، ٢٠٠٤، ل١٧٦.

[6] د. عثمان علي، دراسات في الحركة الكردية المعاصرة ١٨٣٣-١٩٤٦: دراسة تاريخية وثائقية، تقديم: أ.د. محمد هماوندي، اربيل، ٢٠٠٣، ص١٦٨.

[7] مارك سايكس، المصدر السابق، ص٧٠- ٧٧. ينظر ايضاً: محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان: من أقدم العصور التاريخية حتى الآن، ترجمة: محمد علي عوني، تقديم: أ.د. كمال مظهر احمد، القسم الثاني،ط٢، بغداد، ٢٠٠٥، ص٢٠٨- ٢٠٩؛ ويليام ايغلتون، القبائل الكردية، ترجمة: د. احمد محمود خليل، كردستان، ٢٠٠٦، ص١٢٧- ١٢٨.

(8) د. احمد عثمان ابو بكر، المصدر السابق، ص١٠٤- ١٠٦.

(9) محمد أمين زكي، مشاهير الكرد وكردستان(١-٢)، ترجمة: السيدة كريمته، قدم للجزء الثاني وزاد عليه: محمد علي عوني،ط٢، سوريا، ٢٠٠٦، ص١٥٥؛وينظر

Eyüp Kiran,Kürt Milan Aşiret Konfederasyonu,(Istanbul,2003),s.141;

د.سعدي عثمان حسين هروتى،كوردستان والامبراطورية العثمانية دراسة في تطور سياسة الهيمنة العثمانية في كوردستان ١٥١٤-١٨٥١م،مؤسسة موكرياني للبحثوث والدراسات،(دهوك،٢٠٠٨)، ص ص ١٤٦-١٤٧.

(10) نقلاً عن: محمد أمين زكي، خلاصة...، ص٢٢.

(11) ينظر على سبيل المثال: م. س. لازاريف، المصدر السابق، ص١٧٤- ١٧٥؛ سون ميرزا غلام حسين شيرازي، رحلة متنكر الى بلاد ما بين النهرين وكردستان، ترجمة: فؤاد جمبل، ج١، بغداد، ١٩٧٠، ص٦٢- ٦٣.

(12) ياسين خير الله العمري،غرائب الأثر من حوادث ربع القرن الثالث عشر، عنى بطبعه ونشره الدكتور محمد صديق الجليلي، (الموصل،١٩٤٠)،ص ٢٣-٢٤ ؛ستيفن هيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر الخياط، ط٤، بغداد، ١٩٦٨، ص٢٥٣؛ Kiran,A.G.E .s145

(13) محمد أمين زكي، خلاصة...، ص٢٣؛ Osman Aytar,Hamidiye Alaylaindan Köykouclğuna (Istanbul,1992).s.202.

(14) د.محمد علي الصويركي، معجم أعلام الكرد في التاريخ الإسلامي والعصر الحديث في كردستان وخارجها، السليمانية، ٢٠٠٦، ص١٦٦.

(15) د. احمد عثمان أبو بكر، المصدر السابق، ص١٠٩؛

Aytar,A.G.E .s 202.

(16) للتفاصيل عن هذه الحملة، ينظر: د. إبراهيم خليل احمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ١٥١٦- ١٩١٦، جامعة الموصل، ٢٠٠٥، ص١١٥- ١٧٧.

(17) Aytar, A.G.E .s 202.

(18) د. احمد عثمان أبو بكر، المصدر السابق، ص١٠٩.

(19) محمد أمين زكي، خلاصة...، ص٢٤-٢٥؛Kiran,A.G.E .s154

ئى .جى. ئار، تيَبينى سەبارەت هۆزێن كوردى ل باكورا ويلايەتا مويسل و رۆژئاڤا فوراتى، وەرگيرانا عبد الكريم فندى يحيى،(دهوك،١٩٩٦)، ص ٤٠.

(20) محمد أمين زكي، مشاهير...، ص٤٢٧؛Kiran,A.G.E .s147

(21) د. احمد عثمان أبو بكر، المصدر السابق، ص١١٠- ١١١.

(22) د. عثمان علي، المصدر السابق، ص١٦٨.

(23) ينظر، مثلاً: د. احمد عثمان أبو بكر، المصدر السابق، ص١١٧؛ يذكر د.عبد الفتاح علي يحيى انة قابل احد احفاده فذكر له ان ابراهيم باشا ولد في ١٨٤٥، مقابلة مع د.عبد الفتاح عليى يحيى في دهوك ايلول ٢٠٠٨.

(24) يقصد سايكس بالورويك أسرة من البارونات الانكليز من القرون الوسيطة المتأخرة ينظر: د. احمد عثمان أبو بكر ، المصدر السابق، ص١٢٤.

(25) ويقصد تمورلنك القائد المغولي المشهور، واتيلا زعيم قبائل الهون القوية الذي حاصر روما مرتين عندما كانت عاصمة الإمبراطورية الرومانية القديمة.يقصد سايكس بالورويك أسرة من البارونات الانكليز من القرون الوسيطة المتأخرة. وميرداد مؤسس الدولة الاشكانية الإيرانية القديمة. ينظر: د. احمد عثمان أبو بكر ، المصدر السابق، ص١٢٤.

(26) ينظر: د. احمد عثمان أبو بكر ، المصدر السابق، ص١٢٤؛ د. عثمان علي، المصدر السابق، ١٦٩- ١٧٠.

(27) محمد أمين زكي، خلاصة...، ص٦١؛

Aytar, A.G.E .s 203.

(28) مارتن فان بروينسن، المصدر السابق، ص٤١١.

(29) للتفاصيل عن الشيخ عبيد الله النهري، ينظر: جرجيس فتح الله، مبحثان على هامش ثورة الشيخ عبيد الله النهري، ط٢، اربيل، ٢٠٠١.

(30) للتفاصيل عن الشيخ سعيد البرزنجي، ينظر: د. عبد الله العلياوي، كردستان في عهد الدولة العثمانية من سنة ١٨٥١- ١٩١٤، السليمانية، ٢٠٠٥، ص٢٣٩- ٢٤٦.

(31) ان البحث في تفاصيل هذه السياسة العثمانية هي خارج عن موضوع البحث، وللمزيد عن هذه السياسة ودور الكرد في حرب ١٨٧٧، ينظر: جليلي جليل، م.س.لازاريف، م.أ.حسرتيان، وآخرون، الحركة الكردية في العصر الحديث، ترجمة: د. عبدي حاجي، بيروت، ١٩٩٢، ص٢٦-٣٩؛ ف.ف.مينورسكي، الأكراد ملاحظات وانطباعات: الأكراد أحفاد الميديين، ترجمة: د. معروف خزنه دار،بيروت، ١٩٨٧، ص٤١-٤٥.

(32) للتفاصيل عن هذه الفرسان، ينظر: ماجد محمد زاخويي، الفرسان الحميدية، دهوك، ٢٠٠٨.

(33) د. احمد عثمان أبو بكر، المصدر السابق، ص١٢١؛ د. عثمان علي، المصدر السابق، ص١٧٠.

(34) د. احمد عثمان أبو بكر، المصدر السابق، ١٢١.

(35) المصدر نفسه.

(36) مارتن فان برويسن، المصدر السابق، ص١٣٧;Kiran,A.G.E .s169 ؛د. عبد الله العلياوي، المصدر السابق، ص٢٥٣.

(37) Kiran,A.G.E .s167؛ د.عثمان علي، المصدر السابق، ص١٧٠.

(38) مارتن فان برويسن، المصدر السابق، ص١٣٧؛

Aytar, A.G.E .s 203؛ عەلائەدین سەجادی، شورشەکانی کورد وە کورد وکوماری عیراق، ئامادەکردن ولە چاپ دانەوەی: ئەحمەد موحەمەدی، تاران، ٢٠٠٥، ل٢٥.

(39) د.عثمان علي، المصدر السابق، ص١٧٠.

(40) Kiran,A.G.E .s175; المصدر نفسه، ص١٧١ وص١٧٥.

(41) د. كمال مظهر احمد، كردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى، ترجمة: محمد الملا عبد الكريم، ط٢، بغداد، ١٩٨٤، ص٢٩٦.

(42) م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص١٧٤- ١٧٥.

(43)المصدر نفسه، ص٥٥-٥٦.

(44)أحمد محمد أحمد، التاريخ الإجتماعي والإقتصادي والسياسي للأكراد في الدولة العثمانية(١٨٨٠م – ١٩٢٣م)،رسالة دكتوراة غير منشورة قدمت الى الجامعة اللبنانية/كلية الآداب والعلوم الإنسانية/قسم التاريخ، ص ٢٩٠.

(45) Anitari ve Kitabeleri ile Diyar Bakir Tarihi Başlangi çtan Akkoyunlular,a Kadar,Sevket Beysanoğlu,(Ankara,2003). S.763.

(46)جلبلي جليل واخرون، المصدر السابق، ص٥٦.

(47)م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص١٧٤.

(48) د. احمد عثمان ابو بكر، المصدر السابق، ص١٢٢- ١٢٣؛ Kiran,A.G.E .s183 .

(49) م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص١٧٤- ١٧٥؛ Ramazan Ozgûltekin Hûseyin Demir Bag,Tarihi ve Kurltûrûyle Siverek,(Ankara,2003). S. 135.

(50) ويقصد به زكي باشا المؤسس الأول للفرق الحميدية.

(51) م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص١٧٤- ١٧٥؛ Anitari ve Kitabeleri ile Diyar Bakir Tarihi…,s.765.

(52) د.كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص٢٩٦.

(53) أحمد محمد أحمد ، المصدر السابق، ص ٢٩١.

(54) المصدر نفسه، ص ص ٢٩١-٢٩٢.

(55) د.احمد عثمان ابو بكر، المصدر السابق، ص١٢٢.

[56] د. كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص٢٩٦.

[57] نقلاً عن: د. احمد عثمان ابو بكر، المصدر السابق، ص١١٣.

[58] أحمد محمد أحمد،المصدر السابق...ص ٢٩٢.

[59] نقلاً عن: د. احمد عثمان ابو بكر، المصدر السابق، ص١٢٥.

[60] ضياء كوك ألب(١٨٧٦- ١٩٢٤): ولد كوك ألب، واسمه الحقيقي محمد ضياء ، في ديار بكر في ١٨٧٦. كان والده مديراً صغيراً في مدينة كوك ألب، ورغم كونه كوردياً فقد تربى على استشراف المدنية العثمانية وعلى ازدراء طبيعي للثقافة الكوردية الريفية. وقد استحوذت كتابات عبدالله جودت على تفكيره وهو شاب. حيث برز على المستوى القومي في مؤتمر لجنة الاتحاد والترقي لعام ١٩٠٩ إذ مثل ديار بكر. وقد تم انتخابه في المجلس التنفيذي للحزب وكانت مساهمته الفكرية في الهوية القومية التركية من الأهمية لدرجة انه بعد مماته في ١٩٢٤ خلقت أفكاره حركة فكرية وفرت الإلهام اللازم من اجل تغيير العقلية الشعبية من الإمبراطورية إلى الأمة ومن الدين إلى العلمانية ومن الشرق إلى الغرب.ينظر: ديفيد مكدول، تاريخ الاكراد الحديث، ترجمة: راج ال محمد، لبنان، ٢٠٠٤، ص١٦١.

[61] نقلاً عن: المصدر نفسه، ص١٦٥.

[62] للتفاصيل عن هذه الشكوى ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص١٧٩- ١٨٠؛ وينظر كذلك Kiran,A.G.E .ss.187-188.

[63] د. عثمان علي، المصدر السابق، ص١٧١.

[64] جون س.گيست: الحياة بين الكرد..تاريخ الايزديين، ترجمة عماد جميل مزوري،(دهوك،٢٠٠٥)، ص٣٢٠؛جليلي جليل واخرون، المصدر السابق، ص٦٨؛ جرجيس فتح الله، يقظة الكرد: تاريخ سياسي ١٩٠٠- ١٩٢٥، اربيل، ٢٠٠٢، ص٦٣.

[65] Kiran,A.G.E .ss.194-198. ؛د. عثمان علي المصدر السابق، ص١٧٢- ١٧٣؛ م.رەسول هاوار، كورد وباكورى كوردستان لەسەرەتاى مێژووەوە هەتا شەرى دوهەمى جيهان، بەرگى يەكەم: هەتا كۆتابى شەرى يەكەم، سلێمانى، ٢٠٠٠، ل٣٥٤- ٣٥٥.

[66] للتفاصيل عن هذا الخبر، ينظر: د. احمد عثمان ابو بكر، ص١٣٠- ١٣٨.

[67] ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص١٦٦.

[68] المصدر نفسه، ص١٦٧.

[69] Kiran,A.G.E .ss.203-204. ؛د. عثمان علي، المصدر السابق، ص١٧٥.

[70] خنسا خانم: هي أخت دريعي رئيس عشيرة خلجان و المعروف بـ(أخو زركا)إذ كانت امرأة شجاعة وجسورة ودبلوماسية تكفلت للقيام بأعمال عشيرتها الملية بعد وفاة زوجها إبراهيم باشا الملي

عام ١٩٠٨، و ترأست عشيرة الملي، كانت المرأة الوحيدة التي حازت على لقب الباشا من السلطان عبد الحميد وما زال أسمها يتردد على ألسنة المعمرين الكرد والعرب هناك. ينظر: كونى ره ش، فلاشات بانورامية حول دور المرأة في المجتمع الكردي بالجزيرة في القرن الماضي، مجلة أوراق كردية، العدد (١٠)، ٢٠٠٣/٥/٣، على الموقع الالكتروني:
http://www.amude.net/ewraq/10/index.html

(71) Kiran,A.G.E .s202.

(72) تمتد حدود هذة المملكة من قارص وتفليس الى ادنة ومن طرابزون وملاطية الى رواندوز، حول هذة التفاصيل ينظر،د.احمد عثمان ابوبكر،كردستان في عهد السلام (بعد الحرب العالمية الأولى)،(اربيل،٢٠٠٢)، ص ص ٢٠٠-٢٠٤.

(73) ينظر: د. عثمان علي، المصدر السابق، ص١٧٢.

الملحق رقم (٢)

حفيد إبراهيم باشا الملي محمد علي الباشا في حديث مطول لمجلة الحوار الكوردية (دمشق)[*]

التحالف القبلي الملي في الجزيرة السورية وجنوب شرق الاناضول تجسيد حي وواقعي للعلاقات التاريخية والاجتماعية العربية-الكردية. وهذا التحالف القبلي تحول بحد ذاته الى نظام اجتماعي قبلي متميز وإكتسب نمطاً محدداً لنوعية حياة الرعي والبداوة وتداخلت مع طموحات سياسية وصراعات دولية. ونظراً لقلة المراجع التاريخية التي تطرقت الى هذا التحالف القبلي / المناخ الإجتماعي. لذلك إستعنا بهذا الحوار مع أحد ابناء العائلة التي كانت تقود الملية، وهذا الرجل في الواقع شاهد على التطورات التاريخية الهامة التي جرت في هذا القرن. فثمة إختزال لتاريخ المنطقة في تاريخ قبيلة، وتكثيف لتاريخ القبلية في تاريخ العائلة: عائلة الباشات، عائلة الفروسية والتمرد الكردي... العائلة التي تقاطعت في ظلها ماهو كردي عريق وماهو عربي أصيل، ولنقرأ معاً هذا السجل التاريخي، لنقرأ صفحات من تاريخ رجل يدعى محمد علي الباشا... يتأبط عباءته العربية، ويوزع السكاكر على أصدقائه في شوارع مدينة الحسكة التي عرفها قبل أن تولد، رجل خلف وراءه حوالي قرن من التحولات، رجل نسيج واقعه...

_____(آزاد علي)_____

الحوار: لنبدأ من أبو دحام، ولننطلق من خلاله للتعرف على تاريخ العائلة. هل تتفضل بالتعريف بشخصك الكريم؟

*ولدت في مدينة (ويران شهر Weran Sehir عام ١٩١٤). وبعد أن بلغت العاشرة سكنت عائلة الباشات مدينة راس العين. ثم درست في مدرسة الفرنسيسكان

[*] مجلة (كوردية) تصدر بشكل سري في دمشق والحديث منشور في العددين (١١-١٢) ربيع وصيف ١٩٩٦.

بحلب عام ١٩٢٧م وأتقنت الفرنسية، وإنتقلت الى معهد الايكك وحصلت على البكالوريا عام ١٩٣٤م ولم اتابع تعليمي لأنني إستلمت أمور العشيرة. ويمكن القول أنني نجحت في قيادتها وحل مشاكل أفرادها. بإختصار جاء يوم كنت في رأس العين الكل بالكل. سكنت بيت الشعر لفترة تتراوح بين عامي ٣٧-١٩٤٥م. وكنت أقرأ في الخيمة جبران وجرجي زيدان وكذلك لكتاب فرنسيين مثل جان جاك روسو وموليير، وهيغو ولامارتين. لقد تأثرت بجبران، وهو الذي فجر في داخلي الجوانب الإنسانية وجعلني لا أفرق بين إنسان وآخر. على الرغم من أن خيمتي كانت متنقلة لكنني لم أبتعد كثيراً عن رأس العين، وكنت أقتني سيارة جيدة.

الحوار: كما هو معروف لبعض المهتمين أن عائلتكم تبدأ بشخص أسطوري هو كلش عبدي، هل تستطيع إيجاز تاريخ العائلة عبر محطات رئيسية؟ ولماذا لاتبدو عائلتكم كبيرة العدد!؟

★بالنسبةللعائلة كسلالة: أنا محمد علي بن خليل بن إبراهيم بن معمو بن تمو بن محمود بن تمو بن محمود بن بشار بن محمود بن كلش عبدي، وأظن أن كلش عبدي كان منذ حوالي أربعمائة سنة وكان متسلطاً على الجبال الواقعة قرب أورفا، وسحب السلطة بالفروسية من الوالي العثماني في أورفه الذي إقترح على الباب العالي بدوره، أن يتسلم كلش عبدي ولاية أورفا لأنه هو الحاكم الفعلي. ومنذ ذلك الحين دخلت الباشوية عائلتنا وتطورت قوتنا وكبرت طموحاتنا مع الزمن وبلغت نقطة هامة عندما تحالف جدنا الأول تمر باشا مع إبراهيم باشا المصري وحاربا معاً العثمانيين وفي محطة أخرى تحالف مع قبيلة العبيد العربية ضد العثمانيين وكذلك قبيلة شمر العربية.

وصولاً الى جدي إبراهيم باشا الشخصية الفذة والذكية الذي كان يطمح لإنشاء دولة كردية وقد عمل فعلاً من النواحي العسكرية والدبلوماسية لذلك، وكان الرجل الثاني بعد السلطان عبدالحميد لسنوات عديدة وكان يستقبل شخصيات أوربية هامة ووفود... لكن طموحه لم يتحقق وتوفى قبل تفتت الدولة العثمانية في مطلع هذا القرن.

أما حول قلة أفراد العائلة فهذا يعود لتعرضنا الدائم للقتل والإبادة من قبل السلطات التركية هناك مثل كردي يقول: (سالي ملاً سالي فلا- : Sali Mila Sali Fila) أي بما معناه أن القتل والإبادة يكون دورياً سنة ضد الأكراد المليـة وسنة ضد

المسيحيين، وهكذا دوماً كانت السلطة التركية تبيدنا نحن الأكراد والمسيحيين وكان القتل يتركز ويوجه نحو العائلة الكردية الحاكمة كعائلتنا. ويبدو أن هذا هو السبب الأساسي لقلة أفراد العائلة نسبياً.

*جدي إبراهيم باشا كان أكبر إقطاعي في الشرق الأوسط ويعتبر الرجل الثاني بعد السلطان عبدالحميد وكان في الغالب سينشأ دولة كردية لو لم يمت مبكراً.

الحوار: التحالف القبلي الملي تحالف واسع وإن أخذ شكل قبيلة موحدة، لكنه يظل معتمداً على نواة قبيلة صرفة هي المللية، هل يمكنك إعطاءنا فكرة عن المللية وعدد أفخاذ العشيرة؟.

* التحالف القبلي الملي المعروف باللغة الكردية بـ(مِلان=Milan) تحالف واسع، لدرجة البعض يقول ملان هزار مل أي ألف قبيلة. وتاريخياً إنضمت الى المللية العديد من العائلات وقد يكون عدد المللية حالياً حوالي ثلاثة ملايين نسمة. لقد كان نطاق حكم المللية من جبال أرزنجان الى أورفه وقسم من ماردين متضمناً سهول الجزيرة السورية حتى جبل عبدالعزيز والبوادي الواقعة جنوبه متضمناً عدداً من القبائل العربية. حدود المللية شرقاً من زركان قرب بلدة الدرباسية، وبعد الدرباسية ومناطق الكيكية محسوب على زيلان أي بوطان. وكانت الرقة غالباً ضمن مجال نفوذ المللية وخاصة ريفها، علماً أن جدنا الأول كان والياً على الرقة وقسم كبير من عائلات الرقة القديمة هم من الأكراد المللية.

النواة القبلية المللية يسمونه بالكردية (بامري Bamiri) وهم سبعة أفخاذ من جملتها عائلة كلش عبدي.

الحوار : ماذا عن مللية الخضر ؟

* هم أيضاً مللية لكن غيرنا ابتعدنا تاريخياً عنهم وهم في منطقة ماردين وجنوباً حتى جبل الكوكب شرق الحسكة، حيث يسمونه: بكوكب المللية، أي مللية خضر، ومنسوب إليهم.

الحوار : نعود للتذكير ببعض المسائل التاريخية والسياسية، حول دور المللية وخاصة إبراهيم باشا الملي، كونه كان قائداً عسكرياً عثمانياً وقائداً قبلياً بنفس الوقت، هل تتفضل بتوضيح بعض المعلومات عن طموحات إبراهيم باشا السياسية؟

***كان جدنا إبراهيم باشا رجل زكي لأنه بعد أن دمر العثمانيين عائلتنا بسبب الإنتفاضات المستمرة ضدنا، وعندما كبر إبراهيم ذهب الى مصر الى العائلة المالكة هناك واوضح لهم بأن عائلة الباشات تدفع ثمن تحالفها مع عائلة محمد علي في مصر في وجه العثمانيين. فإعجب به الخديوي وطلب العفو له وتوسط لدى الباب العالي ليعود ابراهيم ويكسب الباشوية خلفاً لأباءه. أسس قواتاً كثيرة وطور مدينة ويران شهر.**

وتعاظمت قوته حتى أصبح عملياً الرجل الثاني بعد السلطان عبدالحميد. كانت لديه قوة عسكرية وإقتصادية. وعندما ظهرت حركات التحرر والاتحاد والترقي، كان إبراهيم باشا أيضاً ضمن هذه الأحداث وكان عملياً يطمح للإستقلال عن العثمانيين ولقد حاول السلطان التخلص منه عدة مرات، إلا أن
علاقاته الجيدة مع بعض الدول الأوربية وشدة ذكائه كانت تبعد عنه المخاطر.

لقد رفض إبراهيم باشا أوامر السلطان في كثير من المرات خاصة في رفضه الحرب مع اليونان وكذلك القيام بحملة على اليمن أما عن المشاركة في إضطهاد المسيحيين وقتلهم فقد رفض ذلك كلياً وحافظ في إطار باشويته على حوالي عشرة آلاف مسيحي.

في الواقع نحن الملية تحالفنا أولاً مع العرب والمصريين للتخلص من العثمانين لكننا لم ننجح وبعد ذلك تحالفنا ضمناً مع الانكليز والفرنسيين وبالتنسيق مع الخط العربي وقد نجحنا في طرد العثمانين من الجزيرة السورية بالتعاون مع القبائل العربية والفرنسيين. أزلنا المخافر التركية بدءاً من البوكمال وحتى تل أبيض مروراً بالحسكة فأزلنا كل المخافر التركية.

إتصلنا في حلب مع الجنرال دولومت وأخذ اعمامي منهم أسلحة ثقيلة وقمنا بإحتلال المخافر وكانت مهمتنا تنحصر في طرد الاتراك وإحتلال المخافر، وثمة من تعاطف مع الأتراك لأسباب دينية مثل الججان لكننا إحتلينا قرية السفح في رأس العين وضبطنا الأمور لصالحنا في اعوام١٩٢٠و١٩٢١ وإلى حد ماكان مسلط باشا والجبور متعاطفين مع الأتراك لأسباب دينية.

***الحوار : وهكذا سلمتم الجزيرة للفرنسيين، ألم تأخذوا الدروس والعبر من ابراهيم باشا عندما تعاون مع الغرب، ثم خدعوه ولم يفوا بوعودهم بإنشاء كيان كردي وتطبيق معاهدة سيفر؟!**

⋆لا الحقيقة الإنكليز والفرنسيين لم يخدعوا الأكراد وهذا رأي الشخصي إن إتصالات إبراهيم باشا مع الغرب والتنسيق من أجل إنهاء الحكم العثماني كان سيره جيداً إلا أن الظروف لم تساعدنا وعندما تراجع إبراهيم باشا أمام العثمانيين توجه الى جبل سنجار (سنجار اليزيدية) في شرق الحسكة لكي ينتظر القوات الإنكليزية القادمة من الهند عن طريق العراق ولكي يعيد الكرة في الهجوم على القوات التركية إلا أنه مرض ومات وإستلمت من بعده زوجته (خنسة خاتون) وهي التي أعلنت عن الفشل والاستسلام للعثمانين وأوقفت الانتفاضة إن جاز التعبير.

وفي المرة اللاحقة بعد الحرب الأولى كان الأوربيون جادون الى حد كبير لإنشاء كيان كردي لكن ظهور أتاتورك بدل الموازين والمعادلة. فالأوربيين لم يخالفوا وعودهم بقدر ماكانوا واقعيين في سياستهم مع تركيا ولأن مصطفى كمال هدد بالتحالف مع الروس وخاصة بعد انتصار الثورة البلشفية. وحاول تشكيل حلف ضد فرنسا وانكلترا في حال الإستمرار في سياستها التي تدعو لإستقلال شعوب الامبراطورية العثمانية وآخر هذه الشعوب الأكراد والأرمن. لقد كان الموقف حساساً للغاية كانت الأقسام الغربية من تركيا بيد اليونان. ولو تم إنشاء كيان كردي في شرق الاناضول معنى ذلك بقاء أنقرة وضواحيها فقط بيد أتاتورك

وإنكماش الامبراطورية العثمانية الى حجم ولاية أو ولايتين فقط!

لذلك طوي صفحة الكيان الكردي، وتم طلب العفو لعائلتنا من الأتراك وفضلنا الرجوع الى بلدنا وعاصمة ابراهيم باشا (ويران شهر) لأن الجزيرة كانت بادية خالية. إلا أن الأتراك لاينسون شئ وخاصة صراع عائلتنا الطويل معهم ولم نأمن جانبهم فنصحنا بعض المتنفذين من أقرباءنا بالعودة الى سورية، فعدنا الى رأس العين. ونظمنا حياتنا مع الوسط العربي من المللية.

الحوار : إذا يمكن القول بأن علاقة عائلة الباشات مع الفرنسيين كانت جيدة فما الذي جنيتم من وراء هذه العلاقة؟

⋆كما قلت تعاونا مع الفرنسيين جاء في سياق التخلص من الحكم التركي ولولا الظروف الدولية وظهور أتاتورك لكنا حررنا القسم الأكبر من الأراضي الكوردية من حكم الأتراك. ولقد لعبت دوراً في تحسين العلاقة مع الفرنسيين كوني كنت أجيد الفرنسية. ولقد تعرفت على كثير من المستشرقين وخاصة روجير أليسكوالذي كان يزورنا بصحبة البدرخانيين كاميران وجلادت وكانوا ينامون عندنا. أليسكو كان يجيد

اللغة الكردية وكان يهتم بالفلكلور الكردي وجمع حوالي ألف كلمة كردية ذات أصول مشتركة مع اللغة الفرنسية، كان يدرس اللغة الكردية في جامعات فرنسا وأخيراً أصبح سفيراً لفرنسا في الأردن.

المهم في المرحلة اللاحقة تحالفنا مع الحكم الوطني في دمشق ومع التيارات التي تطالب بالاستقلال وتحولنا الى الصف الوطني لطرد الفرنسيين وتحقيق الجلاء رغم معاتبة الفرنسيين لنا على هذا التحول.

الحوار : ثمة أحاديث ووثائق تشير الى توجهات فرنسية لإنشاء دولة كردية في سورية، ماهي المعلومات التي بحوزتك، وهل لمست هذا التوجه عند الفرنسيين؟

★كنت أتحدث دائماً مع الفرنسيين بخصوص الأكراد ولمست منهم في أواخر مراحل الانتداب شئ من هذا القبيل، حيث كانوا يميلون لإنشاء دولة كردية في شمال الجزيرة السورية.وفي ظل هذه الأجواء عقد مؤتمر لآغاوات الأكراد والعرب في قرية توبز (قرب عامودة) يسمونه مؤتمر طوبز واتخذوا عدة قرارات بخصوص إنشاء دولة كردية في الجزيرة السورية تضم الأكراد والمسيحيين وهولاء كانوا معروفين بالانفصاليين وثمة تيار آخر كانوا وطنيين أي مع استقلال ووحدة سوريا.

الحوار: متى عقد مؤتمر طوبز هذا وهل حضرته؟

★عقد عام ١٩٣٧م ولم أحضر المؤتمر إذ حضره والدي وأخي. وكما قلت كان مؤتمراً موالياً للفرنسيين ويميل الى تشكيل دويلة الجزيرة السورية ولذلك حضره بعض القبائل العربية التي تحبذ إستقلالية الجزيرة عن الداخل السوري وتشكيل إمارة عربية مستقلة.

الحوار : لماذا لم تنجح الفكرة أو على الأقل لماذا لاتظهر لها أي حضور فعال في تاريخ سوريا المعاصر؟

★لم تنجح لعدة أسباب أهمها إشتعال الحرب العالمية الثانية. إذ كانت أصلاً فكرة الفرنسيين تمديد فترة الانتداب لمدة ٢٥ سنة والبقاء في الجزيرة. إلا أن المزاحمة حدثت بين فرنسا وانكلترا حول مستقبل الانتداب الفرنسي في سورية. وكذلك رجحان الكفة لصالح الأكراد الوطنيين، والعداء الكردي الديني للفرنسيين...

وبعد الحرب قررت هيئة الامم المتحدة جلاء القوات الفرنسية والانكليزية من سوريا وتسليم الحكم لحكومة وطنية سورية.

الحوار : ماذا تتذكر عن انتفاضة سعيد آغا الدقوري ضد فرنسا؟

*لقد سمعت بها وكانت إنتفاضة محدودة أمام قوة فرنسا الضاربة في الجزيرة حيث الأراضي السهلية فكان من الصعب طرد الفرنسيين عسكرياً. في الواقع كانت هنالك تيارات سياسية وقبلية فكان هنالك من يعادي الفرنسيين وهنالك من يتقرب إليهم لمصلحته ومصلحة وسطه الاجتماعي. بلدة عامودة كانت فعالة سياسياً وكانت منقسمة الى قسمين وطنيين بقيادة سعيد آغا الدقوري ومعه أغلب الأكراد.

وتيار آخر من الأكراد والمسيحيين كانوا موالين للفرنسيين ولهم أفكار انفصالية ودائماً كانت للنزاعات الشخصية دور مهم في كل هذه التقسيمات والصراعات.

الحوار : لقد خيمت عائلتكم قرب القرمانية غرب الدرباسية في الثلاثينات من هذا القرن هل تتذكر تلك الأيام؟

*نعم، كانت سنة محل وجفاف توجهنا الى الدرباسية الى قرية خاص وكذلك القرمانية وزارنا هناك البدرخانية. وكانت قرى الأكراد عامرة في حينها مثل قرية تعلك وغيرها، والحياة الاجتماعية نشطة، لكل آغا في قريته أوضا-مضافة خيمنا هنالك ثلاثة أشهر حاول عمي حل بعض المشاكل بين المليه وعائلة جميل باشا التي كانت تسكن هناك قبل إستقرارها في دمشق.

الحوار : ثمة من يقول اليوم ومن ضمنهم مختصين في التاريخ بأن التواجد الكردي في الجزيرة السورية حديث العهد، وأن الأكراد هاجروا من المناطق الكردية في تركيا. بالنسبة لك كشاهد على تطورات الأحداث في المنطقة وكأحد أبناء باشوات الجزيرة السورية تاريخياً باشوات العرب والأكراد والمعروف عنك بموضوعيتك وعلميتك. نرجو منك التفضل بإبداء توضيحات حول هذا الموضوع الحساس. نريد منك حقائق تاريخية، حقائق موضوعية دون إنحياز لأي فكرة، حول هذه الهجرة أو الإنزياح السكاني إن جاز التعبير.

*الحقيقة التامة أن الجزيرة السورية تنقسم الى ثلاثة أقسام من الناحية الجغرافية، الجزيرة العليا والوسطى والسلفى. العليا هي مناطق الأكراد وموطنهم الدائم وأغلبها جبال. وثمة مناطق رعي صيفي فيها. أما المناطق الوسطى من الجزيرة والسفلى فكانت مراعي للأغنام ومضارب للرحل وليس فيها حضر وعمار، ولقد كنا وبعض القبائل العربية نسرح بأغنامنا فيها. ولقد كانت هذه القبائل العربية داخلة في حلف (المليه) مثل البكارة والعدوان والجيس، ولم تكن هنالك تقسيمات دقيقة للأراضي وأذكر عندما كنت صغيراً نصبنا بيتنا

وخيام القبيلة في منطقة قريبة من دير الزور إسمها (الحريثة) وكذلك ثمة أسماء قديمة تعود لعائلتنا مثل (جريب الآغا) في جبل عبدالعزيز وسط الجزيرة وعندنا (صهريج الخاتون) في الجبل نفسه وهي مواقع لينابيع وآبار ماء في منطقة جبل عبدالعزيز غرب الحسكة.

الحقيقة لم تكن في القديم حركات قومية، وإنما مصالح قبلية وبعض التنافس على المراعي.

الأكراد الملية كانوا رحلاً وإعتباراً من شهر نيسان ينسحبون شمالاً ليمضوا باقي أشهر السنة في الجبال والمراعي الصيفية حتى أول الشتاء ثم يعودون جنوباً نحو سهول الجزيرة، وكذلك كانت حركة بعض القبائل العربية. كنا جميعاً غنامة ورحل، ولم تكن هنالك حدود. الحدود تثبتت فعلياً في الأربعينات من هذا القرن.

كنا (أوبات Obat) كل عشر عائلات ترحل معاً، وتتبع حركة ومسار القبيلة وهي بدورها تتابع المراعي.

أود التأكيد بأننا كنا متفاهمين في الإطار الملي كعرب وأكراد ولم تكن هناك هجرات كبيرة ولا نزوح جماعي لأي جماعة أو قبيلة ولم تكن بيننا حدود يوماً. ولكن وبعد تثبيت الحدود التركية وزيادة المراقبة. وللحقيقة فإن قسماً كبيراً من الأكراد الملية إنسحبوا وأستقروا شمالاً في مراعيهم الصيفية. لأنهم لم يتعودوا البقاء صيفاً في سهول الجزيرة الحارة. ولأن المدن بقيت شمال الحدود التركية إستقطبت بعض السكان من الجنوب. أتذكر أن الحسكة كانت مجرد مخفر صغير وعدة محلات تجارية للمسيحيين (صوارنة). الحقيقة تراجعت عائلات عديدة وإستقرت شمال الحدود في الأراضي الخصبة.

الحوار : لنعود الى بعض المسائل العائلية الخاصة والتي تبدو لنا بأنها قادرة للكشف عن كثير من المسائل التاريخية والاجتماعية العامة. وعلى اعتبار أن عائلتكم كانت متخصصة في حكم الملية، أين هي آثار العائلة العمرانية والاقتصادية؟

*في مدينة ويران شهر قصر إبراهيم باشا مازال قائماً، والمدينة تقارب في حجمها مدينة قامشلي (٤٠كم شمال الحدود السورية التركية) وكانت في عاصمتنا ويران شهر مخزن كبير يسمى الهرم وكان يدخله الجمل مع حمله وتصب الحبوب بكميات كبيرة فيه وتفتح عادة في سنوات المجاعة والغلاء. إذ تقدم للفقراء مجاناً، أما للطبقة الوسطى فبنصف القيمة. وقد حوله الأتراك الى مكتب حبوب ثم هدموه فيما بعد. وكانت لنا بساتين وحدائق. ومناطق الملية عامرة ثامرة...

الحوار : إذا يمكن القول أن جدك إبراهيم باشا أسس بالفعل نواة دولة لم تتقصر على النواحي العسكرية والاتصالات الدبلوماسية بل تجاوزت ذلك الى مسائل التموين والاحتياط الغذائي وبناء إقتصاد قبلي-محلي قوي. هل يمكنك إعطائنا فكرة عن إقتصاد العائلة ومن كان عملياً يساعد إبراهيم باشا؟

★إبراهيم باشا كان رجل ذكي منذ شبابه وكان يساعده أفراد الشعب والآغوات الملية وكان ثمة حضر يدعمونه وكذلك ضباط الجيش العثماني وكان له أنصار في أوساط كبار الضباط من الأكراد والعرب.

أما عن إقتصاد العائلة فيمكن أن أعطيك فكرة عن ممتلكات إبراهيم باشا. فلقد حصل على سند تمليك من الدولة العثمانية بإمتلاك مايوازي (٦) ستة ملايين دونم أراضي ومراعي (ستة آلاف كيلو متر مربع = نصف مساحة لبنان) وتوجد وثائق لهذه الملكية وبذلك يكون أكبر ملاك أرض في الشرق الأوسط. وبعد حروبنا مع الأتراك ووفاة إبراهيم باشا وتثبيت الحدود صادروا ثلاثة ملايين دونم في تركيا (شمال الحدود) أما الثلاث ملايين دونم المتبقي جنوب الحدود فقد إستثمرناه مع عائلة أصفر ونجار في عهد الحكومات الوطنية السورية.

الحوار : ماهي قصة أصفر ونجار هذه؟

★أصلهم من مسيحي دياربكر ونزحوا أثناء الأحداث الى القامشلي وعملوا في الزراعة وكانت لنا علاقات قديمة فتعاقدنا معهم بواسطة صديقي عبدالباقي نظام الدين. وهم منتجون ومخلصون وعملنا معاً حوالي عشرين سنة، وكانت أراضينا واسعة شاسعة لدرجة لاتكفي فلاحتها بالجرارات فكنا نفلحها بالشاحنات الكبيرة (الكمايين) أما هذه الأراضي الواسعة التي كانت تبدأ غرب رأس العين وتتوجه غرباً نحو تل أبيض بطول حوالي ٩٠كم فقد إستولت عليها الدولة ضمن إطار قانون الاصلاح الزراعي ولم يمنحوا الباشات سوى دونمات قليلة من الأرض. منحوا أراضينا الى المغمورين والشركة الليبية-السورية وإستوطن فيها الفلاحون العرب.

الحوار : لنعود الى إقتصاد إبراهيم باشا.

★كان لإبراهيم باشا خمسمائة قطيع غنم موزعين على المربين وتعود إيراداتها له. عدا مايدر عليه الأرض والتجارة وبعض الضرائب والأتاوات.

عند مماته كان قد أخفى /١٤/قدر كبير من الليرات الذهبية صادر الأتراك أغلبها وضاع بعضها وماوصل الى العائلة هو قدر واحد ملئ بالذهب. أما في عهدي فكان لدينا عدة قطعان من الغنم وكنا نستثمر هذه الأراضي الواسعة.

الحوار : إذا سمحت لنا ابو دحام سنعود الى بعض المسائل الخاصة. والمرتبطة بك. ليس كأحد ابناء الباشات وإنما كأحد أوائل مثقفي الجزيرة السورية. كيف كنت توفق بين هذه الحياة القبيلة القاسية وطموحاتك الثقافية؟

*كان من الصعب التوفيق بين الحياة القبيلة والتوجه الثقافي لكنني كنت أملك سيارة وأسافر الى بيروت وحلب ودمشق. الحقيقة كان يحيط بي الخدم وكنت أنتظر مراجعات المواطنين لحل مشاكلهم التي كانت غالباً قبلية متخلفة وضد مفاهيمي لكنني كنت مضطراً للتعامل مع الواقع القبلي وعملت كثيراً ضد قناعاتي وحتى ضد وجداني ولقد ندمت على ذلك كثيراً. فأخرجت /١٥/قاتل من السجن حسب قانون القبائل. وكان لكل ذلك دور لأن أترك زعامة العشيرة والاعتماد على الزراعة وبعد مصادرة الأرض إنسحبت الى حلب وعملت على إلاهتمام بتدريس الأولاد. وأخيراً العودة الى الحسكة.

الحوار : إذا عدنا بك الى أجواء الجزيرة في الخمسينات وحيث إهتمامك السياسي، هل يمكن إدراج تفاعلك مع الفكر القومي السوري الى مرجعية عائلية؟ بمعنى أن جو عائلة الباشات وقيادتها لتحالف كردي-عربي-مسيحي في الجزيرة السورية ومناخ التعايش الأثني-الديني في ظله دفعتك لتأييد فكرة القومية السورية كموزاييك أثني تربطه الرابطة الحضارية-الجغرافية السورية؟.

*ربما يكون ذلك في لا وعي. ولكن عائلتنا لم تتقبل هذه الفكرة السياسية ولا العشائر الملية تقبلتها. في الواقع لم تكن هنالك أحزاب جماهيرية. حتى القضية الكردية لم تكن قضية ملحة ويومية، ولم تكن تجد لها أي أثر أو صوت في الأوساط الشعبية كان ثمة وجود للحزب الشيوعي السوري والحزب الوطني وحزب الشعب ولم ادخل هذه الأحزاب. بل أيدت حزب الشباب والوعي والذي كان يتجسد في ذلك الحين في القوميين السوريين. دخلت إنتخابات عام ١٩٥٤ وفشلت فيها. نجح المنافسون لنا من باقي الأحزاب ولقد ضحيت بنجاحي في سبيل فكرة نخبوية إنسانية. ولم يكن حزباً مسيحياً كما هو معتقد وللأسف لم يؤيد الأكراد هذا الحزب ولا العرب. لذلك تراجع شعبيته في الجزيرة. وأنا لم أوفق سياسياً.

الحوار : يمكننا القول أن عمليات إستيطان وإستقرار الفلاحين في القرى جاءت متأخرة خاصة في مناطق الملية لماذا؟

*بدأ العمران وعمارة الأرياف في مناطقنا متأخراً غرب رأس العين لكن كانت مناطق الأكراد شرق رأس العين وشرق الدرباسية عامرة وكانت هنالك قرى قديمة في مناطقكم مناطق بوطان على الأنهار والينابيع.

منطقتنا كانت خالية من القرى كنا رحل وقرى المليـة العـامرة كانـت في الـشمال كمـا تعلم. بدأنا ببناء القرى والعمران في عام ١٩٤٣ مع بدايـة زراعـة الأراضي وفلاحـة الأراضي البـور وأزدهـرت الزراعـة كـثيراً في الخمـسينات حتـى جـاء الاصـلاح الزراعـي ووزعـت أراضـينا علـى الفلاحين العرب الذين إستقروا في الأراضي التي منحتها لهم الدولة وبذلك ظهرت قرى جديدة في الستينات وأخرى ظهرت للفلاحين المـستقدمين مـن الرقـة (قـرى الغمـر) وهكـذا إختفـت حيـاة الغنامة والبداوة وظهرت القرى وحياة الفلاحة وأخيراً الزراعة المروية في الثمانينات.

الحوار : ومتى ظهرت قرى الشاشان وقرى الآشوريين؟

*جاء الشاشان من روسـيا قبـل حـوالي /١٥٠/ سـنة كهجـرة دينيـة وقبـل بهـم الأتـراك وإستقروا في ضفاف الخابور من رأس العين وجنوباً الى قرب تـل تمـر. وهـم شـعب طيـب وجيـد الطبع. لكن المناخ كان صعباً عليهم تحمله فمـات الكـثير مـنهم ونـزح بعـضهم الآخـر الى منـاطق أخرى وإندمج قسم منهم. وحالياً يتواجد في رأس العين وقرية السفح عدد منهم. وقد تـزوجت عائلتنا من الجيجان.

أما بالنسبة للآشوريين فمن المعروف أن بريطانيا وفرنسا قررت إستيطان قـسم مـنهم على الخابور بين تل تمر والحسكة في مطلع الثلاثينات بعـد الأحـداث الطائفيـة في شمـال العـراق وقسم من تركيا.

الحوار : يبدو لي أن المللية وأنتم الباشات كسائر البدو لم تهتموا بالمرأة وفي هذه النقطة بمقدار ماتقتربون من عرب البادية تبتعدون عن التقاليد الكردية لماذا هذا الإجحاف بحق المرأة؟. ولماذا لم تتزوجوا من نساء المللية؟

*لا، بالعكس كانت المـرأة في عائلـة الباشـات إسـتقراطية، لهـا خـدم وحـشم ولاتعمـل في الغالب ومع ذلك تستقبل الضيوف بشكل دائم ولاتحتجب مطلقاً. قد تكون لها غرفتها الخاصة وضيوفها الخاصين من النساء. والدليل على ذلك أنه ظهرت في عائلتنـا شخصيات نـسائية هامـة مثل خنسة باشا زوجة ابراهيم باشا وأرمتله التي حكمت القبيلة مـن بعـده. أي حتـى عـام ١٩٣٢ وقد جاءها لقب الباشاوية رسمياً من السلطان عبدالحميد. كانت تجلس على تخت خشبي داخـل الخيمة أو في القصر ولايجوز لأحد أن يجلس على تختها. كانت قوية السلطة وتوجه أولادها علـى كيفية حكم القبيلة. وكانت نساء المللية كرديات الطبع ولهن دور مهم في حياة الأسرة. ولكن عـدم زواجنا منهم يعود الى عادة قديمة يعتبر من خلالها الباشات آباء للمليـة ولايجـوز لنـا الـزواج مـن المللية.

الحوار : حتى بالنسبة لك كشخص عاش طوال هذا العمر الموزع على الخرائط والمعاهدات والمفسوح تحت خيمة القبيلة. رغم ثقافتك وتحررك، ليس للمرأة موقع لائق في حياتك؟!

*اهتمامي كان عادياً بالمرأة، بل ثانوي. لقد كان يحق لي مالايحق لغيري لكنني لاأحب الخلاعة ولا أحب الشرب ولا القمار. وأنا ملحد كما تعلم!!

الحوار : من يصادف أبو دحام لايعرف مطلقاً أنه من أفراد عائلة باشات الأكراد. زيه ولسانه العربي البدوي... هل يمكنني أن أعتبر أن عائلة الباشات تركت اللغة الكردية كرد فعل على الفشل السياسي في تحقيق الحلم الكردي أو تحقيق زعامة المشروع الكردي...؟ أم هي عملية إبتعاد عن الوسط الكردي؟

*موضوع اللغة موضوع نسبي ومتعلق بالوضع العام والمعيشة والمحيط. لأنه في أيام ابراهيم باشا كان العرب الداخلين في الحلف الملي يتحدثون باللغة الكردية بطلاقة وخاصة هؤلاء العاملين في مجال الخدمة والجباية. فكان من مقتضيات العمل التوجه الى القرى الكردية والتحدث الى المواطنين باللغة الكردية في الوقت نفسه كان قسم كبير من الأكراد الملية يتحدثون باللغة العربية. بعد تثبيت الحدود السورية-التركية واستقرارنا في رأس العين. الوسط المحيط بنا كان عربياً لأن معظم الأكراد الملية والحاشية والمقربين إختاروا الاستقرار في قراهم شمال الحدود، لخصوبة هذه الاراضي... المهم نحن وقسم من العرب إخترنا الاستقرار جنوب الحدود وبنينا منازلنا في بلدة رأس العين على الحدود مباشرة. أما أبناء عائلة الباشات الذين إستقروا في الريف كانوا داخل القبائل العربية لذلك نسوا كلياً اللغة الكردية. حالياً ثقل الأكراد الملية ظل داخل تركيا. أما الثقل العربي فظل داخل سورية واستقروا في الأراضي التي هي بإسم عائلة الباشات تاريخياً.

كما يجب أن لاتنسى أننا تصاهرنا مع العرب خاصة الجبور، فبات محيطنا الإجتماعي عربياً. ومع ذلك أوكد على آسفي لأنني ساهمت في أن ينسى أحفادي لغتهم الكردية الأصيلة. وعلى أبنائي وأحفادي أن يتعلموا لغتهم الكردية.

الحوار : يمكن القول أن محمد علي الباشا عاش قرنين من الزمن، عاش أجواء القرن التاسع عشر وعاش فعلياً القرن العشرين. لقد عشت البداوة وسكنت الخيمة ووصلت الى عصر الدش وآخر انجازات التكنولوجية. كنت شاهداً على أحداث عالمية ومحلية كبيرة، هل عشت بسعادة، ماهي حصيلة النتائج التي توصلت لها وأنت تؤدي دورك على مسرح الحياة بفصولها الطويلة؟

***عاشرت الملوك، جلست مع الملك عبدالله على مأدبة الغذاء في الأردن عام ١٩٤٣ اجتمعت مع الملك فيصل قبل أن يصبح ملكاً. أهديت الملك حسين حصاناً عندما كان عمره ١٣ سنة. إلتقيت رؤساء جمهوريات. وكنت على صداقة مع أغلب زعامات المنطقة. وعندما كانوا ينادوني في شوارع رأس العين ياباشا، يابيك رفضت اللقب، وعندما جاءني ولد سميته دحام ومن يومها أصبحت أبو دحام.**

أنا سعيد، وعشت حياة حافلة بالأحداث. لكنني أتبنى فلسفة القناعة والصدق أنا لاأزعج نفسي كثيراً. وأن يعيش الانسان سعيداً ليس بالضرورة أن يكون مليونيراً. والسعادة يصنعه الانسان وخاصة المتفائل. أحب العلم والثقافة وأنا ضد القديم المتخلف. تعلم أنني الآن لا أملك منزل في الحسكة. لقد ذهبت الاملاك والمال وأنني أعيش الآن لنفسي ومتفائل بمستقبل شعبي.

مير ميران كردستان

((أمير أمراء كردستان))

ابراهيم باشا الملي

(١٨٤٥ - ١٩٠٨)

تأليف

= محمد علي بك ابراهيم باشا

(٦)

علاقة ابراهيم باشا بالعشائر العربية في سورية والعراق

كانت هذه العلاقة موثقة جداً فقد كانت هناك اتصالات واسعة وعلاقات بين ابراهيم باشا وبين هذه العشائر وعلى الأخص شيوخ عشائر عنزة مثل ابن شعلان وكذلك شيوخ آل بن السبتي والحسنة والهدبة.

- أما بالنسبة لعلاقته مع عشيرة شمر فلم تكن تتسم بالطابع المستقر لأن كانت تضطر حيناً أن شمر كانت العشيرة الوحيدة التي استمرت بعيدة عن ابراهيم باشا إذ أنه كان يحرص حيناً أن العداء بين هذه القبيلة وابراهيم باشا كان واضحاً وواجباً. إذ كان هذه العشيرة هي الوحيدة التي لم تقصد مهاداة ومصالحة مع ابراهيم باشا رغم جهود عدة وتتابع بين ابراهيم باشا وعشيرة شمر وكانت رئاسة وزعامة وإباء له تضع في حرج الوقت أمر ابراهيم باشا كواحد من قادة الشيوخ وهو الشيوخ رؤوف من شيوخ شمر وعلى أثر ذلك قام بارسال شيخ شمر جميع لما كان يرى وهو ابراهيم باشا إلا أنه رفض الحركة تماماً وكل أموال وأذرعات التي وجدت هذه الطريقة خوفاً موثقة الحرية بين شمر وابراهيم باشا حيث يعتبر الشيخ رؤوف سيد شمر وكان يحاول على الضغط الجاهزة له واستغل مرتين لرفض الاتصالات عليها أرسل ابراهيم باشا مرة أخرى أن شيخ جهات تأديبية هذه الطريقة وأنه الباحث حيث أن هذه الحملة كانت من القوة بحيث أكسبت هذه العشيرة وأرهبتهم الى ابراهيم الى الحدود الموثقة

- أما بالنسبة لعلاقة ابراهيم باشا مع [illegible] والعلاقات فقد كانت جيدة جداً بالذات من عشيرة آل وهذا أمر طبيعي بعض عشيرة أهوال وكذلك كان الأمر بالنسبة لعشيرة الجبور وعلى الجانب الآخر فإن عشيرة عنزة وبالذات عندما تزوج ابراهيم باشا ابنة عبد الحميد من أسرة سعلوك باشا وقد كان ابراهيم باشا يقيم كل الدعم والمساندة لهذه العشيرة.

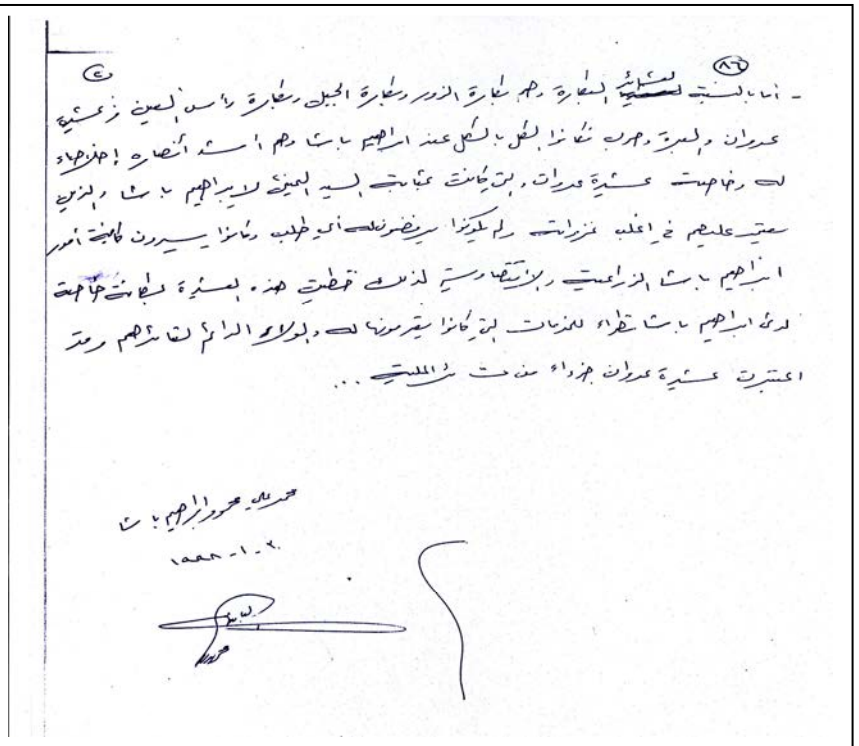

- أنا بالنسبة لعشيرة الجعارة وهم عجارة الدور وعجارة الجبل وعجارة رأس العين زعشيرة
عمران والعبرة وهرب نعانزا الكل بالكل عند ابراهيم باشا وهم أشد أنصاره إذ وقعت
له وقائع عشيرة عمران وبنو كانت عيالت السيد العيني لابراهيم باشا والذي
صعب عليهم في اغلب غزواته ولم يكونوا سيفضلونه أو طلب وعانوا سيدون كانت أمور
ابراهيم باشا الزراعية وبناء قناطر وسد لذلك قطعت هذه العشيرة لعلاقات خاصة
لدى ابراهيم باشا فقراء للغزوات التي كانوا سيقومون له وبولاء الدائم لقائدهم ومدة
اعتبرت عشيرة عمران جزءاً من ذات الملك...

محمد علي محمود ابراهيم باشا
٢٠-١-١٩٨٨

(١١٦)

العلاقات الإجتماعية عند الباشاوات

كانت علاقات الباشاوات اجتماعية خاصة وغير متكررة أي علاقة تعرف حقيقة بالأشراف منهما وورائه كبراء شأن باشاوات الإستقراطي.

هم وتقراطيون طبقة المال وذلك لعدة اعتبارات أهمها التفوق المالي الذي نراه كثيرة التأمل وتتطور تحت ظروف الباشاوات الذين كانوا يعاصرون هذه الظاهرة ويتم المساواة ولا يفرقون بين أي واحدة من هذه الظاهرة.

أما بالنسبة للعلاقات التي تربط الباشاوات بالطبقة الإرستقراطية السنية حيث كان سيد هؤلاء أعلى رجال دين ومساجد ودور عبادة إلا أنهم لم يكونوا مقطعين وبناء عقد كانوا يتبرعون للبنات الأخرى كالمسيحية حيث كان المسيحيون يملكون مكانة شريفة لديهم وكذلك كان اليهودية وقد كانت أقلية أغلب الباشاوات تدرس من قبل أشخاص مسيحيين وبريطانيين وكانت هناك فتيات الفتيان تتفقان بأمان مطلقة لدى الباشاوات حيث أنه لم يحرك أحد على الإطلاق بهم.

وباعتبار أن الباشاوات كانوا وتقراطيون في حكمهم لذلك كان كانت قبل الباشاوات طبقة ثانية أو طبقة وسيطة أو استشارة رجال الدين وكان لابد للحكام أن يأخذ مكانة.

واستطاع نرجس الباشاوة هذه على الأموال كانت تسمى خيري / بالباج / حيث كان يقطع ما يقارب ١٠٪ من دخل المال سواء كان تجار أم زراع أم عقارات وكانت تعرض هذه الضريبة وتقطع عن طريق جباة كانوا يتعهدون بتحصيلها من كانت الدولة حيث تجمع هذه الأموال وتتوزع بموجبها النسب التالية ١٠٪ للدولة ٥٪ للسلطان ٨٥٪ لإبراهيم باشا.